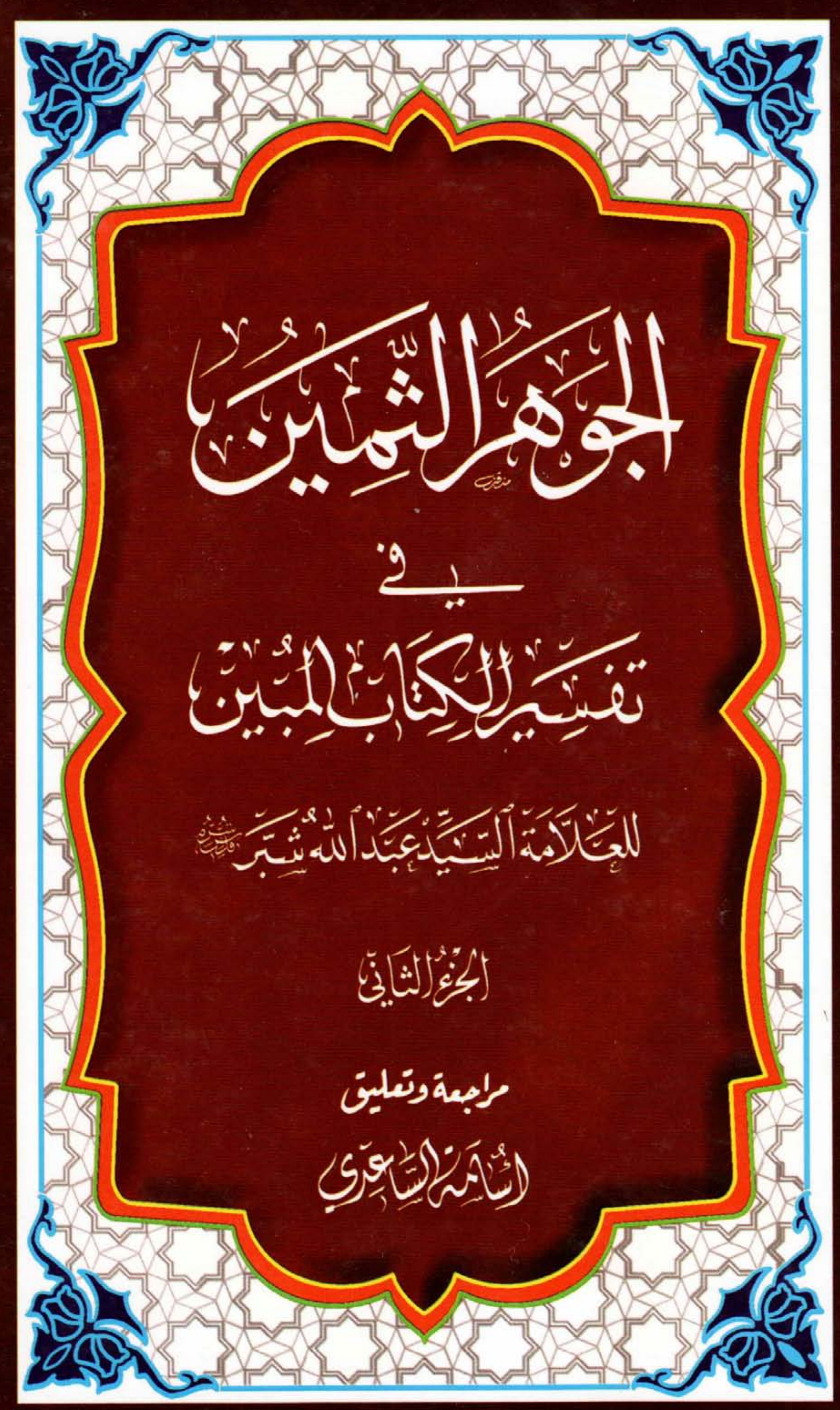
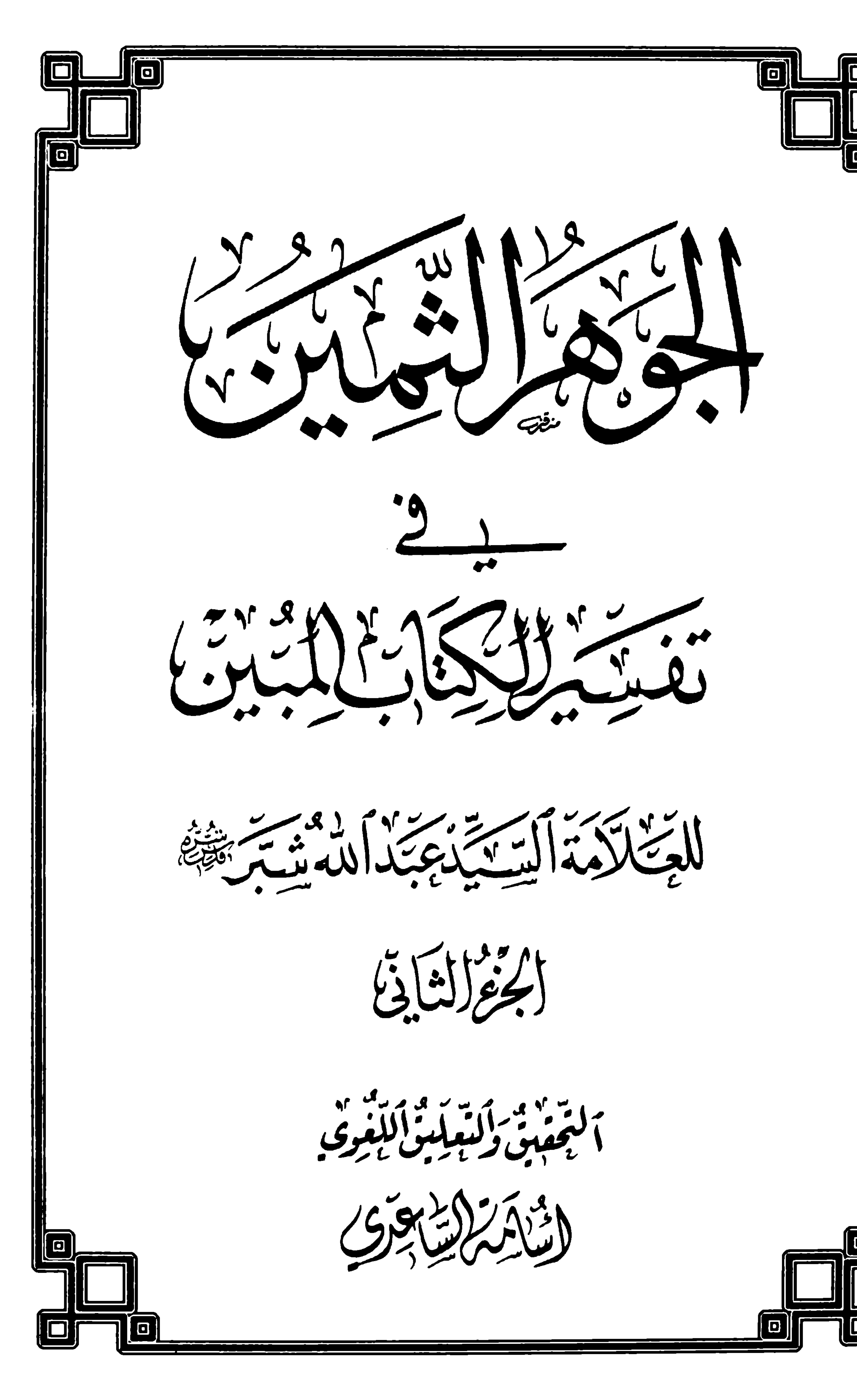

الجوهر الثمين
في
تفسير الكتاب المبين
للعلامة السيد عبد الله شبر
الجزء الثاني
مراجعة وتعليق
أسامة الساعدي



الجوهر الثمين

في

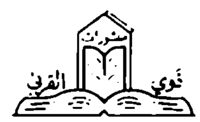
تفسير الكتاب المبين

للعلامة السيد عبد الله شبر قدس سره

الجزء الثاني

التحقيق والتعليق اللغوي
أسامة الساعدي

شبر ، عبدلله ، ۱۷۷۴ ـ ۱۸۳۶ م .
الجوهر الثمين فی تفسير الكتاب المبين / لعبدلله شبر؛التحقيق والتعليق اللغوی اسامه الساعدی.
قم: ذوی‌القربی، ۱۳۸۸.
۲۱۶۰ ص .
دوره ۶ جلدی ISBN:978 - 964 - 518 - 318 - 7
فهرستنويسی بر اساس اطلاعات فيپا.
كتاب حاضر تفسير وسيط از تفاسير سه‌گانه مولف می‌باشد
موضوع: تفاسير شيعه - قرن ۱۳ ق،
رده بندی كنگره: ۹ ج ۲ ش / ۹۷ BP
رده بندی ديويی: ۱۷۲۶ ـ ۲۹۷



▫ اسم الكتاب : الجوهر الثمين فی تفسير الكتاب المبين ج ۲

▫ المؤلف : السيد عبدالله الشبر

▫ الناشر : ذوي‌القربی

▫ الطبعة : الأولیٰ

▫ تاريخ الطبع : ۱۴۳۱ هـ ق

▫ الكمية : ۱۰۰۰

▫ المطبعة : سليمانزاده

▫ شابك دوره : ۷ ـ ۳۱۸ ـ ۵۱۸ ـ ۹۶۴ ـ ۹۷۸

▫ شابك (ج ۲) : ۶ ـ ۳۶۰ ـ ۵۱۸ ـ ۹۶۴ ـ ۹۷۸

▫ مركز التوزيع : قم ـ پاساژ قدس ـ الطابق الاوّل ـ رقم ۵۹ ـ تليفون: ۷۷۴۴۶۶۳ـ۲۵۱ـ۹۸+

سورة النّساء

مائة وست وسبعون آية، مدنية.

[الآيات ١ — ٩]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَٱبْتَلُواْ

ٱلۡيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴿٦﴾ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَۚ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَـٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٨﴾ وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا ﴿٩﴾

عن الصادق (ع): من قرأ النساء في كل جمعة أمن من ضغطة القبر، وعن النبي (ص): من قرأها فكانما تصدق على كل من ورث ميراثاً وأعطي من الأجر كمن اشترى محرراً وبرأ من الشرك وكان في مشيئة الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم﴿ بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ يا أيهَا النَّاسُ﴾ خطاب يعم بني آدم، ويفيد تكليف الكفار بالفروع ﴿ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ﴾ هي آدم (ع)﴿ وخَلَقَ مِنْها زَوْجَها﴾ عطف على محذوف، أي: من نفس واحدة أنشأها وخلق من فضل طينتها أو من

ضلعها أمكم حواء، أو على (خلقكم) أي: خلقكم من نفس واحدة وخلق منها أمّكم ﴿ وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾ بيان لكيفية تولدهم منهما أي: ونَشَر من النفس وزوجها ذكوراً وإناثاً كثيرة، واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها لاقتضاء الحكمة كثرتهن ورتب الأمر بالتقوى على هذه القصة لدلالتها على كمال القدرة الموجبة خشية القادر، وتمام النعمة الموجبة طاعة المنعم، أو لأنّ المراد إن يتّقوا فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم كما تعطيه الآيات الآتية، روي: إن حواء خلقت من جنب آدم وهو راقد[1]، وروي: من ضلعه الأيسر، وعن الصادق (ع) ردّ ذلك وإنها خلقت من فضل طينته، وعن الباقر (ع): (إن الله أنزل حوراء من الجنة إلى آدم فزوجها من أحد إبنيه، وتزوج آخر إلى الجن، فولدتا جميعاً، فما كان في الناس من جمال وحسن خلق فهومن الحوراء، وما كان فيهم من سوء الخلق فمن ابنة الجان، وأنكر أن يكون زوج بنيه من بناته ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ أي: يسأل بعضكم بعضاً به فيقول: (أسألك بالله) وأصله (تتساءلون) فأدغمت التاء في السين، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بطرحها﴿ وَالأَرْحَامَ﴾ بالنصب عطف على محل به، أو على (الله) أي: واتقوا الأرحام إن تقطعوها ـ كما عن الباقر (ع) ـ وجرّها حمزة عطفاً على الضمير المجرور، واقترانها باسمه تعالى يؤذن بأن صلته منها بمكان ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ حفيظاً، عن الصادق (ع): (هي أرحام الناس إن الله أمر بصلتها وعظمها الا ترى إنه جعلها معه) وعن الرضا (ع): (إنها رحم آل محمد (ص)، ثم هي جارية في أرحام المؤمنين) ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾ إذا بلغوا وإنستم منهم رشداً ـ كما في الآية

---

(١) أي: نائم.

الأخرى ـ جمع (يتيم) وهو الذي مات أبوه من (اليتم) وهو الأنفراد ومنه (الدرة اليتيمة) على إنه أجري مجرى الأسماء كـ(صاحب) جمع على (يتايم) فقلب يتامى أو جمع (يتمى) ثم جمع (يتمى) على (يتامى) كـ(أسرى وأسارى) ومقتضى الاشتقاق وقوعه على الصغار والكبار ولكن خص عرفاً بمن لم يبلغ﴿ ولا تَتَبَدَّلُوا﴾ أي: تستبدلوا ﴿ الْخَبِيثَ﴾ الحرام من أموالهم﴿ بِالطَّيِّبِ﴾ بالحلال من أموالكم، أو بما أعد في الجنة لمن عف عن مالهم﴿ ولا تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إِلى أَمْوالِكُمْ ﴾ ولا تنفقوها مضمومة إلى أموالكم حتى لا تفرقوا بينهما الا قدر أجرة المثل بسبب القرض أو الاستحقاق ـ على الخلاف ـ فليأكل بالمعروف﴿ إِنَّهُ﴾ أي: الأكل﴿كانَ حُوباً كَبِيراً﴾ ذنباً عظيماً﴿ وإِنْ خِفْتُمْ الا تُقْسِطُوا﴾ أن لا تعدلوا﴿ فِي الْيَتامى﴾ يتامى النساء إذا تزوجتم بهن﴿ فَانْكِحُوا﴾ فتزوجوا﴿ ما طابَ﴾ ما حلّ﴿ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ﴾ من غيرهن، إذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضناً[1] بها فربما يجتمع عنده منهن عدد لا يقدر على القيام بحقوقهن، فإن خفتم الا تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرجتم منها، فخافوا أيضاً الا تعدلوا بين النساء فإنكحوا مقدار ما يمكنكم الوفاء بحقه، لأنّ المتحرج من الذنب ينبغي أن يتحرج من الذنوب كلها على ما نقل: إنه لما عظم أمر اليتامى فتحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء واضاعتهن، فنزلت، وقيل: كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنى، فقيل لهم: إن خفتم أن لا تعدلوا في اليتامى فخافوا الزنا فإنكحوا ما حلّ لكم، وعبّر بـ(ما) قصدا إلى الوصف وإيذاناً بقلة عقولهن، وعن علي (ع): (إن المنافقين اسقطوا

---

(١) حرصاً عليها

بين القول في اليتامى وبين نكاح النساء من الخطاب) والقصص أكثر من ثلث القرآن[١] ﴿مَثْنى وثُلاثَ ورُباعَ﴾ أي: اثنين اثنين، وثلاث ثلاث، واربع اربع منصوبة على الحال من فاعل (طاب)، أو مما طاب بالفتحة لأنّها غير منصرفه للعدل والصفة، فإنها بنيت على صفات وإن لم تبن أصولها، وقيل: لتكرير العدل فإنها معدولة باعتبار الصيغة وباعتبار التكرير لأنّها أخرجت عن الأوزان الأصلية، وعن التكرير إلى الواحدة، ومعناه التخيير في العدد لكل أحد إلى اربع، وإنما اتى بهذه الصيغ وبالواو دون كلمة (أو) إذ لو أفردت، وقيل: (اثنتين وثلاثاً وأربعاً) كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الأعداد دون التوزيع، ولو ذكرت بـ(أو) لذهب تجويز الاختلاف في العدد، وإنما لم يذكر الآحاد لأنّ المراد نفي الحرج في الزائد، وعن الصادق (ع): (لا يحل لماء الرجل أن يجري في أكثر من اربعة أرحام من الحرائر)، وعنه (ع): (لا يجمع الرجل ماءه في خمس)﴿ فَإن خِفْتُمْ الا تَعْدِلُوا﴾ بين هذه الأعداد﴿ فَواحِدَةً﴾ فأنكحوا واحدة وذروا الجمع﴿ أو ما مَلَكَتْ إيمانكُمْ﴾ سوّى بين الحرة الواحدة والإماء لخفة مؤنتهن﴿ ذلِكَ﴾ أي: إختيار الواحدة أو التسري[٢] ﴿ أدْنى الا تَعُولُوا﴾ أقرب من أن لا تميلوا، من (عال الميزان: مال) و(الحاكم: جار) وقيل: أن لا تكثر عيالكم من عال الرجل عياله مإنهم، فكنى عن كثرة العيال بكثرة المؤن، ويعضده قراءة: (أن لا تعيلوا) من عال كثر عياله، وقلة العيال بالتسري لأنّه مظنة قلة الولد بالعزل﴿ وآتُوا النِساءَ صَدُقاتِهِنَّ ﴾ مهورهن﴿ نِحْلَةً﴾ أي: هبة عطية من: نحله كذا:

---

(١) سبق وأن أشرنا مراراً إلى أن روايات النقص والتحريف في القرآن الكريم مطروحة وغير معتبرة عند جميع علماء المسلمين.

(٢) يطلق (التسري) في اللغة العربية ويراد منه أن يتزوج رجل من بنت ما لكثرة ماله وقلة مالها، وهو لئيم وهي كريمة فيسمى هذا الفعل(تسري) ويظهر إن المؤلف (قده) قد توسع في معنى التسري.

أعطاه، إياه عن طيب نفس، نحلة ونحلاً ونصبت مصدراً إذ معناها الأيتاء، أو حالاً من (الواو) أو (الصدقات) أي: آتوهن صدقاتهن ناحلين، أو منحولة، أو عطية من الله لهن، أو فريضة منه، فهي حال من الصدقات، والخطاب للأزواج، وقيل: للأولياء لأنّهم كانوا يأخذون مهور بناتهم، وعن الباقر (ع): (كان الرجل إذا زوج أمة أخذ صداقها دونها فنهاهم الله عن ذلك)، وعن الصادق (ع): (من تزوج امرأة ولم ينو أن يوفيها صداقها فهو عند الله زان) ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ﴾ من الصداق حملاً على المعنى﴿ نَفْساً﴾ تمييز، وتوحيدها لبيان الجنس أي: فإن وهبن لكم شيئاً من الصداق وتجاوزت عنه نفوسهن طيبات ﴿ فَكُلُوه﴾ فخذوه وأنفقوه﴿هَنِيئاً مَرِيئاً﴾ حلالاً بلا تبعة من (هنؤ) و(مرؤ) أي: ساغ بلا غص، وقيل: (الهنيء) ما يلذه الآكل و(المريء) ما يحمد عاقبته، وهما وصف للمصدر، أو حال من (الواو)، أو صفتان نائباً مصدريهما، روي: إن أناساً كانوا يتأثمون إن يقبل أحدهم من زوجته شيئاً ممّا ساق إليها، فنزلت﴿ وَلا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أَمْوالَكُمُ﴾ قيل: نهي للأولياء عن أن يؤتوا الذين لا رشد لهم أموالهم فيضيعوها، وإنما أضاف أموالهم إلى الأولياء لأنّها في تصرفهم وتحت ولايتهم، وقيل: نهي لكل أحد عن إعطاء ماله كل سفيه، أو زوجته وأولاده ثم ينظر إلى أيديهم، وسمّوا (سفهاء) استخفافاً بعقلهم ﴿ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِياماً﴾ أي: يقومون بها، وعلى الأول: يراد به التي من جنس (ما جعل لكم قياما) وقرأ نافع (قيماً) بمعناه ﴿ وارْزُقُوهُمْ فِيها واكْسُوهُمْ﴾ واجعلوها مكاناً لرزقهم وكسوتهم بأن يتجروا فيها وتمونوهم من ربحها﴿وقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾ حسناً شرعاً أو عقلاً من وعد جميل، عن الصادق (ع): (هم اليتامى لا تعطوهم حتى تعرفوا منهم الرشد، قيل: فكيف يكون أموالهم أموالنا؟ قال: إذا كنت أنت الوارث لهم) وعنه (ع) في

هذه الآية قال: (من لا تثق به) وعن الباقر (ع) في الآية: (لا تؤتوها شراب الخمر ولا النساء) وعنه (ع) في الآية قال: (فالسفهاء النساء والولد إذا علم الرجل أن امرأته سفيهة مفسدة وولده سفيه مفسد لا ينبغي له أن يسلط واحداً منهما على ماله الذي جعله الله له قياماً) ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى﴾ اختبروهم قبل البلوغ بتتبع أحوالهم في صلاح الدين وإصلاح المال ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ كنّى بذلك عن البلوغ وهو: أن يحتلم، أو ينبت، أو يبلغ الذكر خمس عشرة والأنثى تسعاً ﴿ فَإِنْ آنَسْتُمْ﴾ أبصرتم ﴿ مِنْهُمْ رُشْداً﴾ تهدياً إلى حفظ المال ﴿ فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ عند تحقيق البلوغ والرشد بلا تأخير، عن الصادق (ع): (إيناس الرشد حفظ المال) وعن الباقر(ع): (الرشد العقل وإصلاح المال)﴿ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَنْ يَكْبَرُوا﴾ مسرفين ومبادرين كبرهم، أو لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم﴿ وَمَنْ كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ عن أكلها ﴿ وَمَنْ كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بقدر أجرته، أو كفايته، أو أقلهما، عن الصادق (ع): (من كان يلي شيئاً لليتامى وهو محتاج ليس له ما يقيمه وهويتقاضى أموالهم ويقوم في ضيعتهم فليأكل بقدر ولا يسرف، فإن كأنت ضيعتهم لا تشغله ممّا يعالج لنفسه فلا يرزئن من أموالهم شيئاً) وعنه (ع): المعروف هوالقوت وإنما عنى الوصي أو القيم في أموالهم وما يصلحهم، وعنه (ع): ذلك رجل حبس نفسه عن المعيشة فلا بأس إن يأكل بالمعروف إذا كان يصلح لهم أموالهم فإن كان المال قليلاً فلا يأكل منه شيئاً، وعن الباقر (ع): (من كان فقيراً فليأخذ من مال اليتيم قدر الحاجة والكفاية على جهة القرض ثم يرد عليه ما أخذ إذا وجد) ﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾ بأنهم تسلموها دفعاً للتهمة والتخاصم ولزوم الضمان ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً ﴾ محاسباً، فلا تتعدوا حدوده ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾

هم المتوارثون بالقرابة ﴿ وللنِّساءِ نَصيبٌ ممَّا تَرَكَ الْوالدان والأَقْرَبُونَ ممَّا قَلَّ منْهُ أو كَثُرَ﴾ بدل من (ما) بتكرير العامل﴿ نَصيباً مَفْرُوضاً﴾ نصب مصدراً بمعنى قسمة مفروضة، أو على الاختصاص أي: أعني نصيباً مقطوعاً واجباً لهم، نزلت ردّاً للسنة[1] الجاهلية من عدم توريث النساء﴿ وإذا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ قسمة التركة﴿ أو لُوا الْقُرْبى﴾ ممن لا يرث ﴿ والْيَتامى والْمَساكينُ فَارْزُقُوهُمْ منْهُ﴾ أي: من المقسوم شيئاً، تطييباً لنفوسهم﴿ وقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً ﴾ وهو الدعاء لهم،والاعتذار إليهم، القمي: هي منسوخة بقوله (يوصيكم الله)، وعن الباقر (ع): (نسختها آية الفرائض)وسئل الباقر (ع) منسوخة هي؟ قال: (لا إذا حضروك فأعطهم) وحمل على أن نسخ الوجوب لا ينافي بقاء الرجحان ﴿ ولْيَخْشَ الَّذينَ لو تَرَكُوا منْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعافاً خافُوا عَلَيْهِمْ﴾ أمر للأوصياء بأن يخشوا الله في أمر اليتامى ليفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذراريهم الصغار بعدهم، وعن الصادق (ع): (من ظلم يتيماً سلط الله عليه من يظلمه وعلى عقبه أو على عقب عقبه) ثم تلا هذه الآية، أو أمر للحاضرين المريض[2] عند الايصاء بأن يخشوا الله في أولاده ويحبون لهم ما يحبون لأولادهم، فلا يتركوه إن يضرّ بهم بصرف ما زاد على الثلث عنهم، و(لو) بما في حيزه صلة (الذين) ومعناه: وليخش الذين صفتهم إنهم لو شارفوا أن يخلفوا ذرية ضعافاً خافوا عليهم الضياع ﴿ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ﴾ تأكيد للأمر بالخشية ﴿ ولْيَقُولُوا قَوْلاً سَديداً﴾ لليتامى بالشفقة والملاطفة كما يقولون لأولادهم، أو للمريض بمنعه عن تجاوز الثلث وأمره بالتوبة وغيرها.

---

(١) السنة هنا بمعنى العادة.

(٢) كان حق العبارة أن يقال: (لحاضري المريض) اذ إن جمع المذكر السالم اذا اضيف حذفت منه النون.

[سورة النساء الآيات ١٠ -١٤]

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَـٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ

مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾

﴿ إن الَّذينَ يَأْكُلونَ أموالَ اليَتامى ظُلْماً ﴾ ظالمين، أو على وجه الظلم﴿ إنما يَأْكُلونَ في بُطُونِهِمْ﴾ ملء بطونهم ﴿ ناراً﴾ ما يجر إلى النار، أو ما يكون ناراً يوم القيامة، عن النبي (ص): (يُبْعَث ناس من قبورهم يوم القيامة تؤجج من أفواههم نار) فقيل: من هم؟ فقرأ الآية، وعن الباقر (ع): (إن آكل مال اليتيم يجيء يوم القيامة والنار تلتهب في بطنه حتى يخرج لهب النار من فيه، يعرفه أهل الجمع إنه آكل مال اليتيم) ﴿ وسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾ أي: سيدخلون ناراً ملتهبة فظيعة، وضم الياء ابن عامر وأبوبكر، يقال: (صلى النار) أي: قاسى حرّها، وأصليته ألقيته فيها ﴿ يُوصِيكُمُ اللّهُ ﴾ يأمركم﴿ في أولادكُمْ﴾ في شأن ميراثهم، وهو إجمال تفصيله: ﴿ لِلذَّكَرِ﴾ أي: منهم، حذف للعلم به ﴿ مِثْلُ حَظِّ الأنْثَيَيْنِ﴾ حيث اجتمع الصنفان، وقدم الذكر لفضله كما ضوعف حظّه لذلك، ونقصت الأنّاث لما روي: إنهن يرجعن عيالاً عليهم، ولما جعل الله لها من الصداق، ولأنّه ليس عليهن جهاد

ولا نفقة ﴿ فَإن كُنَّ﴾ أي: المولودات ﴿ نساءً﴾ خلّصاً ليس معهن ذكر﴿ فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ خبر ثان، أو صفة لنساء ﴿ فَلَهُنَّ ثُلثا ما تَرَكَ﴾ المتوفى المعلوم من المقام ﴿ وإن كانت ﴾ أي: المولودة ﴿ واحِدَةً﴾ ورفعها نافع على التامة﴿ فَلَهَا النِّصْفُ﴾ واختلف في الاثنتين، فعن ابن عباس حكمها حكم الواحدة لأنّ الثلثين لما فوقها ومن عداه، وهو الأصح على إن حكمها حكم ما فوقهما للإجماع ويؤيده إن للواحدة الثلث مع أخيها فأولى إن تستحقه مع أخت مثلها، وإن للأختين الثلثين والبنتإن أمسّ رحما ﴿ ولأبويْهِ﴾ لأبوي الميت ﴿ لِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا﴾ بدل منه بإعادة العامل، ذكر تنصيصاً على استحقاق كل واحد منهما السدس﴿ السُّدُسُ﴾ وتأكيداً بتفصيل بعد إجمال السدس ﴿ مِمَّا تَرَكَ إن كان لَهُ﴾ للميت ﴿ وَلَدٌ﴾ وإن نزل ذكر، أو إنثى متعدد أو لا لكنهما يشاركان البنت في الباقي بعد السهام فيقسم أخماساً ﴿ فَإن لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ ووَرِثَهُ أبواهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ مما ترك أجمع - ولو مع احد الزوجين عندنا - وثلث ما بقي بعد نصيبه عند الجمهور، ولم يذكر ما للأب لظهور أن له الباقي ﴿ فَإن كان لَهُ إِخْوَةٌ﴾ لأب، أو أبوين، أقلهم ذكران وتنوب الأختان ذكراً، وأريد بالجمع ما فوق الواحد اجماعاً - ممن عدا ابن عباس - حيث اعتبر الثلاثة فما زاد﴿ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ﴾يحجبها الاخوة عن الثلث إلى السدس ولا يرثون، وعن ابن عباس: إن لهم ما حجبوا عنه الام، وكسر حمزة والكسائي همزة (فلأمه) اتباعاً لما قبلها﴿ مِنْ بَعْدِ﴾ متعلق بجميع ما تقدم من قسمة المواريث إلى هذه الحصص للورثة﴿ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِها أو دَيْنٍ﴾ (أو) للاباحة، ويفيد تساويهما في وجوب التقديم على القسمة - إنفردا أم اجتمعا - وقدمت (الوصية) على (الدّين) - مع تقدمه شرعاً - اهتماماً بشأنها لأنّها شاقة على الورثة لشبهها بالإرث فهي مظنة التفريط، بخلاف الدّين لإطمئنانهم إلى أدائه، وابن كثير وابن عامر وأبو

بكر (يوصى) للمفعول﴿آباؤكُمْ وأبناؤكُم لا تَدْرُونَ أيهُمْ أقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً﴾ اعتراض مؤكد لأمر القسمة، أو تنفيذ الوصية أي: لا تعلمون من أنفع لكم ممن يرثكم من أصولكم وفروعكم، فاقسموا على ما بيّنه اللّه تعالى ولا تفضلوا بعضاً وتحرموا بعضاً، أو ممن ترثونه منكم أمن أوصى فعرّضكم للأجر بتنفيذ وصيّته أم من لم يوص فوفر عليكم ماله﴿ فَرِيضَةً مِنَ اللّه﴾ مصدر مؤكد أي: فرض ذلك فريضة ﴿ إن اللّهَ كان عَليماً﴾ بالمصالح ﴿ حَكِيماً﴾ فيما فرض﴿ ولَكُمْ نصفُ ما تَرَكَ أَزْواجُكُمْ إن لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾ وإن نزل، ذكراً أو أنثى، منكم أو من غيركم ﴿ فَإن كان لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِها أو دَيْنٍ﴾ في الصورتين ﴿ولَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إن لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ﴾ ولومن غيرهن﴿ فَإن كان لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِها أو دَيْنٍ﴾ وتستوي الواحدة والأكثر منهن في الربع والثمن﴿ وإنْ كان رَجُلٌ يُورَثُ﴾ صفة رجل بالبناء للمفعول، أي: يورث منه أي: الميت ﴿كَلالَةً﴾ خبر كان، أو يورث خبره وكلالة ـ حال من الضمير فيه، والكلالة ـ حينئذ ـ من لم يخلف ولداً ولا والداً، أو مفعول له والمراد بها: قرابة ليست من جهة الوالد والولد، ويجوز أن يكون الوارث ويورث من أورث، وكلالة من ليس بوالد ولا ولد، وقرئ يورث على البناء للفاعل، فالرجل الميت وكلالة يحتمل المعاني الثلاثة وعلى الأول خبر أو حال، وعلى الثاني مفعول له، وعلى الثالث مفعول به، وهي في الأصل مصدر بمعنى (الكلال) فاستعير لقرابة ليست بأحدهما لأنّها كالّة بالإضافة إليها ثم وصف بها الموروث، والوارث: بمعنى ذي كلالة، وعن الصادق (ع): (من ليس بولد ولا والد) أي: القريب من جهة العرض لا الطول، والمراد به ـ هنا ـ الاخوة والأخوات من الأم خاصة، وفي الآية

الاخرى من الأب والأم أو الأب فقط كذا ـ عنهم (ع) ـ ﴿ أو امْرَأَةٌ﴾ عطف على رجل﴿ ولَهُ﴾ أي: للرجل، وحذف حكم المرأة للعلم به من العطف﴿ أَخٌ أو أُخْتٌ﴾ من الأم، للإجماع والأخبار، ويؤيده قراءة أخ أو أخت من الأم، وإن آخر السورة إن للأختين الثلثين وللاخوة الكل، ولا يليق بأولاد الأم والمقدر هنا فرض الأم فيليق بأولادها ﴿ فَلِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإن كانوا أَكْثَرَ مِنْ ذلكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ يستوي الذكر والأنثى في القسمة ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصى﴾ فيه القراءتان ﴿ بِها أو دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ﴾ حال من فاعل (يوصي) المذكور على البناء للفاعل، أو المدلول عليه بـ(يوصي) على البناء للمفعول أي: غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث، أو قصد المضارة بالوصية لا القربة، أو الإيصاء بدين لا يلزمه ﴿وَصِيَّةً مِنَ اللّهِ﴾ مصدر مؤكد ﴿ واللّهُ عَلِيمٌ﴾ بمن ضارّ وغيره ﴿ حَلِيمٌ﴾ لا يعجل العقوبة ﴿تِلْكَ﴾ الاحكام المذكورة في اليتامى والوصايا والمواريث﴿ حُدُودُ اللّهِ﴾ شرائعه، فإنها كالحدود المضروبة الممنوع تعديها﴿ ومَنْ يُطِعِ اللّهَ ورَسُولَهُ يُدْخِلْهُ﴾ (وحدّ) الضمير للفظ، وقرأ نافع وابن عامر بالنون ﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها﴾ حال مقدّرة لا صفة (جنات) وإلاّ لأبرز الضمير لجريانها على غير من هي له، وجمع للمعنى﴿ وذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ومَنْ يَعْصِ اللّهَ ورَسُولَهُ ويَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ﴾ بالقراءتين﴿ ناراً خالِداً فِيها﴾ حال لا صفة (نار) كما مرّ ﴿ ولَهُ عَذابٌ مُهِينٌ﴾ يتضمّن إهانته.

[سورة النساء الآيات ١٥ - ٢٣]

وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧﴾ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ

شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

﴿ واللاتي يأتين الفاحشةَ منْ نسائكُمْ﴾ أي: يفعلنها، والفاحشة: الزنا سمي بها لزيادة قبحها وشناعتها﴿ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾ فاطلبوا من قاذفهن

شهادة أربعة رجال من المؤمنين عليهن﴿ فَإن شَهِدُوا فَأمْسكُوهُنّ﴾ فاحبسوهن ﴿ فِي الْبُيوت حَتَّى يَتَوَفَّاهُنّ الْمَوْتُ﴾ ملك الموت، أو يستوفي أزواجهن الموت، وهذه الآية وما بعدها منسوختان بآية الزانية والزاني ـ كما قد ورد عنهم (ع) ـ وربما احتمل ارادة صيأنتهن بعد جلدهن عن مثل فعلهن فكنى عنه بالإمساك ﴿أو يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنّ سَبِيلاً ﴾ هوالنكاح، أو الحد، قيل: لما نزلت آية الجلد قال (ص): (قد جعل الله لهن سبيلاً) ﴿ والَّذإن يَأْتِيانها مِنكُمْ﴾ أي: الزاني والزانية، وشدّد ابن كثير نون (اللذان)﴿ فَآذُوهُما﴾ بالتوبيخ والتعيير﴿ فَإن تابا وأصْلَحا فَأعْرِضُوا عَنْهُما﴾ فكفوا عن إيذائهما ﴿ إن اللَّهَ كان تَوَّاباً رَحِيماً﴾ علة الأمر بالإعراض، قيل: هذه سابقة على الأولى نزولاً، وكان عقوبة الزنا الأذى ثم الحبس ثم الجلد﴿ إنمَا التَّوْبَةُ﴾ قبول التوبة من تاب عليه قبل توبته واجب ﴿ عَلَى اللَّهِ﴾ بمقتضى وعده وفضله﴿ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهالَةٍ﴾ متلبسين بها سفهاء، إذ ارتكاب الذنب جهل وسفه ﴿ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ﴾ زمان ﴿ قَرِيبٍ ﴾ وهو ما قبل حضور الموت لقوله تعالى(إذا حضر أحدهم الموت) وقوله (ع): (من تاب قبل أن يغرغر[1] تاب اللّه عليه) و(من) للتبعيض أي: يتوبون في أي جزء من الزمان القريب الذي هوما قبل إن ينزل بهم سلطان الموت أو قرين السوء، وعن النبي (ص): (من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه، وإن الساعة لكثير من تاب قبل أن يغرغر تاب الله عليه) وفي آخر: (من تاب وقد بلغت نفسه هذه- وأهوى بيده إلى حلقه- تاب الله عليه) ﴿ فَأولئكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ عدة بالوفاء بما أو جب على نفسه بقوله (إنما التوبة على اللّه) ﴿ وَكان اللَّهُ

(١) الغرغرة: تردد الروح في الحلق ساعة الموت. ساعدنا الله في تلك اللحظات.

عَليماً﴾ فيعلم توبتهم﴿حَكيماً﴾ فيما يعاملهم به﴿ ولَيْسَتِ التَّوبَةُ لِلَّذينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ حَتَّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إِني تُبْتُ الأنَ ولا الَّذينَ يَمُوتُونَ وهُمْ كُفَّارٌ﴾ سئل الصادق (ع) عن هذه الأية فقال: (ذلك إذا عاين أمر الآخرة) وعنه (ع) قال: (هو الغرار تاب حين لم تنفعه التوبة ولم تقبل منه) قيل: نفى التوبة عمن سوّفها إلى حضور الموت ومن مات كافراً، وسوى بينهما في نفيها لمجاوزة كل منهما وقت التكليف والاختبار﴿ أولئِكَ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذاباً أَليماً﴾ تأكيد لعدم قبول توبتهم، وبيان لتهيئة عذابهم، وإنه يعذبهم متى شاء، والاعتداء: من(العتاد) وهو العدة، وقيل: أصله (أعددنا) فأبدلت الدال الأولى﴿ يا أيهَا الَّذينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ إن تَرِثُوا النِّساءَ كَرْهاً﴾ وضمه حمزة والكسائي أين جاء، وهما لغتان، وقيل: ـ بالضم ـ المشقة،وـ بالفتح ـ: ما يكره عليه، عن الباقر (ع): (كان في الجاهلية في أول ما أسلموا في قبائل العرب إذا مات حميم الرجل وله امرأة ألقى الرجل ثوبه عليها وورث نكاحها بصداق حميمه الذي كان أصدقها يرث نكاحها كما يرث ماله) وعنه (ع): (نزلت في الرجل يحبس المرأة عنده لا حاجة له إليها وينتظر موتها حتى يرثها)، وعن الصادق (ع) ـ في الآية ـ: الرجل يكون في حجره اليتيمة فيمنعها من التزويج يضرّ بها تكون قريبة له ﴿ ولا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ عطف على (إن ترثوا) و(لا) لتأكيد النفي، وأصل العضل: التضييق أي: لا تمنعوهن النكاح ﴿ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ ما آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ عن الصادق (ع) قال: (الرجل يكون له المرأة فيضر بها حتى تفتدي له منه فنهي عن ذلك)، وعنه (ع): إن المراد بها الزوج امره اللّه بتخلية سبيلها إذا لم يكن له فيها حاجة وإن لا يمسكها إضراراً بها حتى تفتدي ببعض ماله ﴿ إلاَّ إن يَأْتينَ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ ظاهرة كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف، وعن الباقر (ع):

(كل معصية)، وعن الصادق (ع): (إذا قالت له: لا اغتسل لك من جنابة، ولا ابرّ لك قسماً، ولأو طئن فراشك من تكرهه حلّ له إن يخلعها ويحل له ما أخذ منها)، والاستثناء من أعم عام الظرف، أو المفعول له تقديره ولا تعضلوهن للإفتداء إلا وقت إن يأتين بفاحشة، أو لا تعضلوهن لعلة الا لأنّ يأتين﴿ وَعاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالأنصاف في الفعل والإجمال في القول ﴿ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسى إن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾ أي: فلا تفارقوهن لكراهة النفس إذ قد تكره الأصلح ديناً والأكثر خيراً وتحب ضدّه، (وعسى) علة الجزاء نائبة عنه والتقدير: فإن كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى إن تكرهوا ما هوخير لكم ﴿ وإن أَرَدْتُمُ اسْتِبْدالَ زَوْجٍ مَكان زَوْجٍ ﴾ تطليق امرأة وتزويج أخرى﴿ وآتَيْتُمْ إِحْداهُنَّ﴾ إحدى الزوجات، وجمع الضمير لأنّه أراد بالزوج: الجنس ﴿ قِنْطاراً﴾ مالاً كثيراً، وعن الباقر والصادق (ع): (القنطار ملؤ مسك ثور ذهباً) ﴿ فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً﴾ قليلاً ﴿ أ تَأْخُذُونَهُ بُهْتاناً وإِثْماً مُبِيناً ﴾ إستفهام إنكار وتوبيخ أي: تأخذونه باهتين وآثمين، أو للبهت والإثم، قيل: كان الرجل منهم إذا أراد جديدة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها إلى الإفتداء منه بما أعطاها ليصرفه إلى الجديدة فنهوا عن ذلك، والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذا فسّر هنا بالظلم﴿ وكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وقَدْ أَفْضى بَعْضُكُمْ إلى بَعْضٍ﴾ القمي: الإفضاء: المباشرة وهو إنكار لاسترداد المهر والحال إنه وصل إليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر﴿ وأَخَذْنَ مِنكُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً﴾ عهداً وثيقاً، عن الباقر(ع): (هو العهد المأخوذ على الزوج حالة العقد من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، وعنه (ع): (الميثاق هي: الكلمة التي عقد بها النكاح، وأما غليظاً فهو ماء الرجل

يفضيه إليها)﴿ ولا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ﴾ أي: التي نكحها آباؤكم ـ وإن علوا ـ وإنما ذكر (ما) دون (مَن) لأنه أريد به الصفة، أو إشارة إلى نقصان عقولهن وقيل: ما مصدرية على إرادة المفعول من المصدر﴿ مِنَ النِّساءِ﴾ بيان ما نكح على الوجهين ﴿ إلاَّ ما قَدْ سَلَفَ﴾ استثناء من المعنى اللازم للنهي كانه قيل: تستحقون العقاب بنكاح منكوحة آبائكم الأ ما قد سلف أو من اللفظ للمبالغة في التحريم والتعميم كقوله:

ولا عيب فيهم غير إن سيوفهم   بهن فلول من قراع الكتائب[1]

أي: ولا تنكحوا حلائل آبائكم الا ما قد سلف إن أمكنكم إن تنكحوه، أو الاستثناء منقطع أي: لكن ما قد سلف لا مؤاخذة عليه ﴿ إنهُ كان فاحِشَةً ومَقْتاً﴾ علة للنهي أي: إن نكاحهن فاحشة عند الله ما رخّص فيه لأمّة من الأمم، ممقوتاً عند ذوي المروات، أو موجباً لمقت الله تعالى﴿ وساءَ سَبِيلاً ﴾ سبيل من دإن به﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُمْ وبَناتُكُمْ وأَخَواتُكُمْ وعَمَّاتُكُمْ وخالاتُكُمْ﴾ أي: حرم نكاحهن، لأنه معظم ما يقصد منهن ولقرينة ما قبل وما بعد، وللتبادر كما تبادر الأكل من حرمت عليكم الميتة، والأمهات تعم من وَلَدَتْكَ أو وَلَدنَ مَن وَلَدَك ـ وإن علت ـ والبنات تتناول من وَلَدتَها أو وَلَدْتَ من وَلَدَها وإن سفلت، والأخوات يشمل الأخوات من الأوجه الثلاثة، وكذا الباقيات، والعمة أخت كل ذكر وَلَدَك ـ وإن علا ـ والخالة أخت كل إنثى ولدتك ـ وإن علت ـ ﴿ وبَناتُ الأَخِ وبَناتُ الأُخْتِ ﴾ وإن نزلن ﴿ وأُمَّهاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وأَخَواتُكُمْ مِنَ الرَّضاعَةِ﴾ سماها أمّاً وأختاً لقول

---

(١) ينسب هذا البيت الى النابغة الذبياني من قصيدة له يمدح فيها غسان يقول في مطلعها:

كلني لهم يا أميمة ناصب   وليل أقاسيه بطيء الكواكب.

راجع ديوان النابغة ص٤٤-٤٥

النبي (ص): (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب) وقوله (ص): (للرضاع لحمة كلحمة النسب) فعم التحريم﴿ وأُمَّهاتُ نسائكُمْ ﴾ وإن علون﴿ ورَبائبُكُمُ اللاّتي في حُجُورِكُمْ مِنْ نسائكُمُ اللاّتي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ ويحرم بالمصاهرة أم الزوجة وإن علت وبنتها من غير الزوج وإن نزلت، ربّاها أم لا وسميت (ربيبة) وقيدت بالحجر لتربيته لها في حجره غالباً، وللبعث على حفظها كولده، ولتقوية العلة وتكميلها أي: إذا دخلتم بأمهاتهنّ وهنّ في احتضانكم قوي الشبه بينها وبين أولادكم فهي أحق بالتحريم، ومن نسائكم متعلق بربائبكم لقربه فلا تحرم الربيبة مؤبداً الاّ بالدخول بالأم اجماعاً ولا يصح تعلقه بأمهات نسائكم أيضاً لأنّ (من) إذا علقت بها تكون بياناً لنسائكم، وإذا علقت بالربائب تكون ابتدائية، ولا تحمل كلمة واحدة على معنيين فتحرم أم الزوجة ـ مدخولاً بها أم لا ـ خلافاً لشاذ فاعتبر الدخول، وعن علي (ع): (إذا تزوج الرجل المرأة حرمت عليه ابنتها إذا دخل بالأم فإذا لم يدخل بالأم فلا بأس إن يتروج بالإبنة، وإذا تزوج الابنة فدخل بها أو لم يدخل بها فقد حرمت عليه الأم) وقال: (الربائب حرام كنّ في الحجر أو لم يكنّ) وفي آخر: الربائب حرام مع الأمهات التي قد دخل بهن في الحجور وغير الحجور، والأمهات مبهمات دخل بالبنات أو لم يدخل بهن، وفي اخرى هذه مستثناة وهذه مرسلة وأمهات نسائكم فما ورد بخلاف ذلك محمول على التقية ﴿ فَإن لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ﴾ تصريح بعد إشعار دفعاً للقياس﴿ وحَلائِلُ أبنائكُمُ﴾ زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلّها أو لحلولها مع الزوج ﴿ الَّذينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ﴾ احترازاً عن المتبنى لا عن أبناء الولد فإنهم الأولاد للصلب فيشملونهم ـ وإن سفلوا ـ

وعن الباقر (ع) في حديث: (هل كان يحل لرسول الله (ص) نكاح حليلتي الحسن والحسين؟ فإ ن قالوا: نعم كذبوا وفجروا وإن قالوا: لا فهما ابناه لصلبه)﴿ وإن تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ﴾ عطف على المحرمات، والمحرم الجمع دون العين فلو فارق إحداهما حلّت له الأخرى﴿ إلاّ ما قَدْ سَلَفَ﴾ ولكن ما معنى مغفور كقوله ﴿ إن اللّهَ كان غَفُوراً رَحِيماً ﴾ فلا تيأسوا من رحمته.

[سورة النساء الآيات ٢٤ - ٢٦]

وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ

بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦﴾

﴿والمُحْصَناتُ مِنَ النّساء﴾ ذوات الأزواج، أحصنهن التزويج أو الأزواج، وقرأ الكسائي بكسر الصاد لأنّهن احصنّ فروجهن، وعن الصادق (ع): (هن ذوات الأزواج)﴿ إلاّ ما مَلَكَتْ إيمانكُمْ﴾ من اللاتي سبين ولهن أزواج كفار فإنهن حلال للسابين ـ كما عن علي (ع)ـ واللاتي اشترين ولهن ازواج فإن بيعهن طلاقهن ـ كما عن الصادق (ع) ـ وفي عدة روايات واللاتي تحت العبيد فيأمرهم مواليهم بالاعتزال ويستبرؤهن ثم يمسوهن بغير نكاح ﴿كتابَ اللّهِ﴾ مصدر لفعل محذوف أي: كتب ذلك كتاباً ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ وقريء (كُتّب اللّه) بالجمع والرفع أي: هذه فرائض اللّه﴿ وأُحِلَّ لَكُمْ﴾ عطف على (كتب) المضمر وبناه حمزة والكسائي للمفعول عطف على (حرمت) ﴿ ما وَراءَ ذلِكُمْ﴾ ما عدا ما ذكر من المحرمات الاّ ما خص بالسنة كالمنكوحة على عمتها أوخالتها وغيرها﴿إن تَبْتَغُوا﴾ بدل اشتمال من (ما)، أو مفعول له أي: أحل ذلك إرادة إن تطلبوا النساء﴿ بِأمْوالِكُمْ ﴾ بصداق أو ثمن وقد لا يقدر له مفعول، كانه قيل: إن تصرفوا أموالكم﴿ مُحْصِنِينَ﴾ أعفّاء ﴿ غَيْرَ مُسافِحِينَ﴾ غير زناة ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ﴾ فمن تمتعتم به من المنكوحات، أو فما استمتعتم به منهن من جماع، أو عقد عليهن ﴿ فآتُوهُنَّ

أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن سمي (أجراً) لأنّه في مقابلة الإستمتاع﴿ فَرِيضَةً﴾ من اللّه أي: مفروضة، حال من (الأجور) أو أيتاء مفروضاً، أو فرضها فرضاً، عن الصادق (ع)[1]: إنما نزلت(فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن أجورهن) وعن الباقر (ع): إنه كان يقرؤها كذلك، ورونه العامة أيضاً عن جماعة من الصحابة ﴿ ولا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيما تَراضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾ من زيادة في المهر والأجل، أو نقصان فيهما، أو غير ذلك ـ مما لا يخالف الشرع ـ وعن الباقر (ع): (لا بأس بأن تزيدها وتزيدك إذا إنقطع الأجل فيما بينكما، تقول: استحللتك بأجل آخر يرضى منها ولا تحل لغيرك حتى تنقضي عدتها وعدتها حيضتان)﴿ إن اللّهَ كان عَليماً﴾ بمصالحكم ﴿ حَكِيماً﴾ فيما شرع لكم﴿ ومَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً﴾ غِنَىً ـ كما عن الباقر (ع)ـ وأصله: الفضل والزيادة أي: من لم يجد غنى يبلغ به ﴿ إن يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾ الحرائر﴿ الْمُؤْمِنات فَمِنْ ما مَلَكَتْ إيمانكُمْ﴾ فليتزوج من مملوكاتكم أو فليشتر﴿ مِنْ فَتَياتِكُمُ﴾ إمائكم﴿ الْمُؤْمِناتِ﴾ عنه (ع) ـ سئل عن الرجل يتزوج الأَمة قال: لا، الاّ إن يضطر، وعن الصادق (ع): (لا ينبغي إن يتزوج الحر المملوكة اليوم إنما كان ذلك حيث قال اللّه: (ومن لم يستطع منكم طولاً) و(الطول) المهر ومهر الحرة اليوم مهر الأَمة أو أقل، وعنه (ع): يتزوج الحرة على الأَمة، ولا يتزوج الأَمة على الحرّة، ونكاح الأَمة على الحرة باطل وإن اجتمعت عندك حرة وأَمة فللحرة يومان وللأَمة يوم، ولا يصلح نكاح الأَمة إلاّ بإذن مواليها ﴿ واللّهُ أَعْلَمُ بِإيمانكُمْ﴾ فاكتفوا بظاهر الإيمان، وكلوا السرائر اليه فإنه العالم بها،

---

(١) سبق إن ذكرنا مراراً إن علماء الفريقين ـ الشيعة والسنة ـ لا يلتزمون بصحة الروايات التي تتحدث عن وقوع تحريف في كتاب الله المجيد لا بزيادة ولا بنقص ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.

فرب أمة تفضل الحرة فيه وهذا استئناس لنكاح الإماء﴿ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ كلكم من آدم ودينكم الإسلام فلا تستنكفوا من نكاحهن﴿ فَأنكحُوهُنَّ بِإِذْنِ أهلهِنَّ﴾ مالكيهن﴿ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن، ولعل المراد آتوا أهلهن بالمعروف بلا مطل ونقص﴿ مُحْصَنات﴾ عفائف﴿ غَيْرَ مُسافحات﴾ غير معلنات بالزنا﴿ ولا مُتَّخذات أَخْدان ﴾ أخلاء يزنون بهن سراً﴿ فَإِذا أُحْصِنَّ ﴾ بالترويج، وبناه حمزة والكسائي وأبو بكر للفاعل﴿ فَإن أَتَيْنَ بِفاحِشَةٍ﴾ بزنى﴿ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ ما عَلَى الْمُحْصَنات﴾ أي: الحرائر﴿ مِنَ الْعَذاب﴾ يعني الحد كما قال[1] (وليشهد عذابهما طائفة)[2] وليس الإحصان شرطا للحدّ وإنما ذكره لإفادة إنه لا رجم عليهن أصلاً لأنّه لا ينتصف، القمي: يعني به الإماء والعبيد إذا زنيا ضربا نصف الحد، فإن عادا فمثل ذلك، حتى يفعلوا ذلك ثماني مرّات، ففي الثامنة يقتلون، وعن الباقر (ع): في الأمة تزني قال: (تجلد نصف حد الحرة لها زوج أو لم يكن لها زوج)، وفي رواية لا ترجم ولا تنفى ﴿ ذلِكَ﴾ أي: نكاح الإماء ﴿ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾ لمن خاف الوقوع في الزنا، وأصله[3] إنكسار العظم بعد الجبر فاستعير للمشقة، ولا مشقة أعظم من الإثم، وقيل: أريد به الحد، وعن الصادق (ع): (لا ينبغي للرجل المسلم إن يتروج من الإماء الاّ من خشي العنت ولا يحل له من الإماء الاّ واحدة) ﴿ وإن تَصْبِرُوا﴾ أي: وصبركم عن نكاح الإماء متعففين﴿ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من نكاح الإماء

---

(١) أي: كما قال الله تعالى.

(٢) سورة النور الآية٢.

(٣) أي: أصل (العنت) في اللغة.

للحوق العار بالولد وعدم إصلاحهن البيت﴿ واللَّهُ غَفُورٌ﴾ لمن لم يصبر ﴿رَحِيمٌ﴾ بأن رخص لهم ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ أحكام دينكم ومصالحكم وأصله: (إن يبين) فزيدت الكلام لتأكيد ارادة التبيين﴿ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ مناهج من تقدمكم من أهل الرشد لتسلكوا طريقتهم ﴿ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ ويغفر لكم ذنوبكم، أو يرشدكم إلى ما يمنعكم من المعاصي ويحثكم على التوبة، أو إلى ما يكون كفارة لسيئاتكم ﴿ واللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بها ﴿ حَكِيمٌ ﴾ في وضعها.

[سورة النساء الآيات ٢٧ - ٣٣]

وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ

مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

﴿ واللَّهُ يُرِيدُ إن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾كرر للتأكيد والمبالغة﴿ ويُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَواتِ﴾ المبطلون، أو الزناة، أو المجوس، أو اليهود، فإنهم يحلون الأخوات من الأب وبنات الأخ وبنات الاخت ﴿ إن تَمِيلُوا﴾ عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات، أو إحلال المحرمات ﴿ مَيْلاً عَظِيماً﴾ إذ لا ميل أعظم من ذلك ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ إن يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ بإحلال نكاح الأمة وغيره من الرُخَص ﴿ وخُلِقَ الإنسان ضَعِيفاً﴾ لا يصبر عن النساء، أو الشهوات ﴿ يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لا تأكُلُوا أمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ﴾ بما لم يبحه الشارع، وعن الصادق (ع): عنى بها: القمار، وكانت قريش تقامر الرجل بأهله وماله فنهاهم الله عن ذلك، وعن الباقر (ع):

(الربا والقمار والنجش[١] والظلم) ﴿إِلاَّ أن تَكُونَ تِجارَةً عَنْ تَراضٍ مِنْكُمْ﴾ منقطع أي: ولكن كون تجارة صادرة عن تراضي المتبايعين غير منهي عنه، وقيل: أريد بالمنهي عنه صرف المال فيما لا يرضاه الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه، ونصب الكوفيون (تجارة) على الناقصة أي: الا إن تكون التجارة تجارة، القمي: يعني به الشراء والبيع الحلال، وخصت التجارة لأنّها أغلب وأو فق بذوي المروآت، ويجوز إن يراد بها الأنتقال مطلقاً ﴿ولا تَقْتُلوا أنفسكُمْ﴾ بإلقائها إلى التهلكة، أو بالبخع[٢] كفعل بعض الجهلة أو بارتكاب ما يؤدي إلى هلاكها في الدنيا أو الآخرة، أو أريد بـ(الأنفس) من كان من أهل دينهم إذ المؤمنون كنفس واحدة، القمي: كان الرجل إذا خرج مع رسول الله (ص) في الغزو يحمل على العدو وحده من غير أن يأمره رسول الله (ص) فنهى الله أن يقتل نفسه من غير أمره، وعن الصادق (ع): (معناه: لا تخاطروا بنفوسكم في القتال فتقاتلوا من لا تطيقونه) وعنه (ع): (كان المسلمون يدخلون على عدوهم في المغارات فيتمكن منهم عدوهم فيقتلهم كيف شاء فنهاهم الله أن يدخلوا عليهم في المغارات)﴿إن اللَّهَ كان بِكُمْ رَحِيماً﴾ إنما نهاكم عن قتل أنفسكم لفرط رحمته بكم﴿ ومَنْ يَفْعَلْ ذلكَ﴾ الذي سبق من المنهيات ﴿ عُدْواناً وظُلْماً﴾ افراطاً في التجاوز عن الحد واتياناً بما لا يستحقه وقيل: أريد بـ(العدوان): التعدي وبـ(الظلم): ظلم النفس بتعريضها للعقاب﴿ فَسَوْفَ نُصْليه﴾ ندخله ﴿ ناراً وكان ذلكَ عَلَى اللَّهِ يَسيراً﴾ لا عسر فيه ولا صارف له ﴿ إن تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ وقرئ (كبير) على إرادة الجنس﴿ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ﴾

---

(١) النجش: هو إن يزيد الشخص في سعر السلعة وهو لا يريد شراءها، بل ليسمعه المشتري و يزيد في سعرها.

(٢) البخع: قهر النفس وإنهاكها في عمل ما.

نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم لا تسألون عنها﴿ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً﴾ الجنة وما وعدتم من الثواب، أو ادخالاً مع الكرامة، وقرأ نافع هنا وفي الحج بفتح الميم وهو أيضاً يحتمل المكان والمصدر، وسئل الباقر (ع) عن الكبائر فقال: (كل ما أو عد اللّه عليه النار)، وعن الصادق (ع) في الآية: (الكبائر التي أو جب اللّه عليها النار)، وعنه (ع) في الآية : (من اجتنب ما أو عد اللّه عليه النار إذا كان مؤمناً كفّر اللّه عنه سيئاته ويدخله مدخلاً كريماً)، والكبائر السبع الموجبات: قتل النفس الحرام، وعقوق الوالدين، وأكل الربا، والتعرب بعد الهجرة، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف، وزيد في بعض الروايات الاشراك بالله، واليأس من روح اللّه، والأمن من مكر اللّه، والسحر، والزنا، واليمين الغموس الفاجرة، والغلول، وشهادة الزور، وكتمان الشهادة، وشرب الخمر، وترك الصلاة، والزكاة المفروضتين، ونقض العهد، وقطيعة الرحم، واللواط، والسرقة، وقيل: إنها سبعون، وقيل: هي إلى السبعمائة أقرب منها إلى السبعين، ولعل الحكمة في إبهامها إن تجتنب جميع الذنوب كالحكمة في إبهام ليلة القدر والاسم الأعظم حتى يعبد اللّه في جميع الليالي وبجميع أسمائه﴿ ولا تَتَمَنَّوْا ما فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلى بَعْضٍ﴾ من الأمور الدنيوية كالجاه والمال، لئلا يؤدي إلى التحاسد والتباغض، وارضوا بما قسم اللّه لكم، عن الصادق (ع): (لا يقل أحد ليت ما اعطى فلانٌ من المال والنعمة والمرأة الحسناء كان لي فإن ذلك حسد، ولكن يجوز إن يقول: أللهمّ أعطني مثله)، وعن النبي (ص): (من تمنى شيئاً وهوللّه تعالى رضى لم يخرج من الدنيا حتى يعطاه) ﴿لِلرِّجالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا ولِلنِّساءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ أي: لكل من الرجال والنساء حظ وفضل بسبب ما اكتسب بالعمل لا بالحسد، أو مما

اكتسب من نعيم الدنيا بالتجارة وغيرها فليرض بما قسم له، أو من الميراث جعل ما قسم لكم منهم على سبب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص مكتسباً له ﴿ وسْئَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِه﴾ أي: لاتتمنوا ما لغيركم واسألوا اللّه مثله من خزائنه، وقرأ ابن كثير والكسائي (وسلوا)، عن الصادق (ع): (من لم يسأل اللّه من فضله افتقر)، وعنه (ع): (إن الأرزاق مضمونة مقسومة ولله فضل يقسمه من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس وذلك قوله: (واسألوا اللّه من فضله) ثم قال: وذكر اللّه بعد طلوع الفجر أبلغ في طلب الرزق من الضرب في الأرض)﴿ إن اللَّهَ كان بِكُلِّ شَيْءٍ عَليماً﴾ فيعلم ما يستحق التفضيل، وقيل: قالت أم سلمة: يا رسول اللّه تغزوا الرجال ولا نغزو، وإنما لنا نصف الميراث، ليتنا رجال فنزلت﴿ ولِكُلٍّ جَعَلْنا مَوالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوالِدان والأَقْرَبُونَ﴾ أي: ولكل ميت جعلنا وارثاً مما ترك الضمير (لكل) و(من) صلة موالي لأنّه بمعنى: الوارث، و(الوالدان) و(الأقربون) إستئناف مبين (الموالي) أو لكل قوم جعلناهم موالي حظ مما ترك الوالدان على إن (جعلنا موالي) صفة (كل) والعائد اليه محذوف، والجملة مبتدأ وخبر، وعن الصادق (ع): (إنما عنى بذلك: أولي الأرحام في المواريث ولم يعن أو لياء النعمة فأولاهم بالميت أقربهم اليه من الرحم التي يجره إليها) ﴿ والَّذِينَ عَقَدَتْ إيمانكُمْ﴾ جمع (يمين) بمعنى: اليد، أو القسم أي: الحلفاء الذين عاهدتموهم على النصرة والإرث وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط وخبره ﴿ فآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ أو عطف على الوالدين وقوله (فآتوهم نصيبهم) تأكيد للجملة المتقدمة والضمير (للموالي)، وقرأ أهل الكوفة (عقدت) قيل: كان الرجل يعاقد الرجل فيقول: دمي دمك وهدمي هدمك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وارثك، وتعقل عني وأعقل عنك، فيكون للحليف

السدس من ميراث الحليف فنسخ بقوله: (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض) القمي: فأولوا الأرحام نسخت قوله (والذين عقدت) وعن الصادق (ع): (إذا والى الرجل فله ميراثه وعليه معقلته يعني جنابته خطأ)، وعن الرضا (ع): (عنى بذلك الأئمة بهم عقد الله عزّ وجل إيمانكم)﴿ إن اللَّهَ كان عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً﴾ مطّلعاً، تهديد على منع نصيبهم.

[سورة النساء الآيات ٣٤ - ٤٤]

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ﴿٣٤﴾ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ﴿٣٥﴾ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا

مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ
يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ
مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ
يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ
ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ
ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ
عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا
وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ
بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴿٤١﴾ يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ﴿٤٢﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا
تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ
أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ

تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾

﴿الرِّجالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّساء﴾ يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية ﴿بِما فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ﴾ بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل والعلم وحسن الرأي، وغير ذلك ﴿وبِما أنفَقُوا مِنْ أَمْوالِهِمْ﴾ عليهن من المهر والنفقة، سئل النبي (ص): ما فضل الرجال على النساء؟ فقال: (كفضل الماء على الأرض فبالماء تحيى الأرض وبالرجال تحيى النساء ولولا الرجال ما خلقت النساء) ثم تلا الآية ثم قال: (ألا ترى إلى النساء كيف يحضن ولا يمكنهن العبادة من القذارة والرجال لا يصيبهم شيء من الطمث) ﴿فَالصَّالِحاتُ قَانِتاتٌ﴾ عن الباقر (ع): (مطيعات) ﴿حافِظاتٌ لِلْغَيْبِ﴾ أي: لمواجبه أي: يحفظن في غيبة الأزواج ما يجب حفظه في النفس والمال، وقيل: لأسرارهم وفي النبوي: (ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد الإسلام أفضل من زوجة مسلمة تسره إذا نظر إليها وتطيعه إذا أمرها وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله) ﴿بِما حَفِظَ اللَّهُ﴾ بحفظ الله إياهن بالتوفيق لحفظ الغيب، أو بالذي حفظه الله لهن من المهر والنفقة ﴿واللاَّتِي تَخافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ عصيانهن وترفعهن عن مطاوعتكم لظهور أسبابه، أو أريد بالخوف: العلم ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ فخوفوهن بالله ﴿واهْجُرُوهُنَّ في الْمَضاجِعِ﴾ المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف، أو لا تجامعوهن، أو ولّوهن ظهوركم إن لم تنجع العظة

﴿ واضْرِبُوهُنَّ﴾ ضرباً غير مبرح ولا مُدْمٍ وعن الباقر (ع): (الضرب بالسواك) والثلاثة مترتبة فيندرج فيها﴿فإن أطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ﴾ إلى التوبيخ والإيذاء لأنّ التائب من الذنب كمن لا ذنب له﴿ إن اللّهَ كان عَلِيًّا كَبِيراً﴾ فاحذروه فإنه أقدر عليكم منكم عليهن، أو إنه مع علو شأنه تعصونه ويقبل توبتكم فاقبلوا توبتهن﴿ وإن خِفْتُمْ شِقاقَ﴾ خلاف ﴿ بَيْنِهِما﴾ أصله (شقاقاً بينهما) فأضيف إلى الظرف اتساعاً، والضمير للزوجين المدلول عليهما بذكر الرجال والنساء﴿ فَابْعَثُوا﴾ أيها الحكام﴿ حَكَماً﴾ رجلاً صالحاً للحكومة والإصلاح ﴿ مِنْ أهلِهِ وحَكَماً مِنْ أهلِها﴾ إذ الأقارب أعرف بأحوالهما وبما يصلحهما، والمشهور إن هذا على الأغلب، فلو بعثا من الأجانب صحّ، وفي كون بعثهما تحكيماً أو توكيلاً قولانِ، وعن الصادق (ع): (الحَكَمان يشترطان إن شاءا فرّقا وإن شاءا جمعا فإن جمعا فجائز وإن فرقا فجائز) وقال: (وليس لهما أن يفرقا حتى يستأمراهما)﴿ إن يُرِيدا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُما﴾ أي: إن قصد الحَكَمان الإصلاح تتفق كلمتهما ويحصل الغرض، أو الضمير للزوجين أي: إن أرادا الإصلاح وزوال الشقاق أوقع اللّه بينهما الوفاق والألفة أو الأول للحكمين والثاني للزوجين﴿إن اللّهَ كان عَلِيماً﴾ كيف يرفع الشقاق﴿ خَبِيراً﴾ كيف يوقع الوفاق﴿ واعْبُدُوا اللّهَ ولا تُشْرِكُوا به شَيْئاً﴾ غيره، أو شيئاً من الإشراك﴿ وبِالْوالِدَيْنِ﴾ وأحسنوا بهما﴿ إحساناً وبِذي الْقُرْبى﴾ القرابة ﴿ والْيَتامى والْمَساكِينِ والْجارِ ذي الْقُرْبى﴾ القريب في الجوار، أو النسب، أو الدين ﴿ والْجارِ الْجُنُبِ﴾ البعيد جواراً، أو نسابة، أو ديناً﴿ والصّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾ الرفيق في سفر، أو تعلُّم ، أو حرفة، وقيل: الزوجة ﴿ وابْنِ السَّبِيلِ﴾ المسافر، أو الضيف﴿ وما مَلَكَتْ إيمانكُمْ﴾ أرقاؤكم القمي: الصاحب بالجنب يعني: صاحبك في السفر، وابن

السبيل يعني: أبناء الطريق الذين يتعينون[1] بك في طريقهم، وما ملكت إيمانكم يعني: الأهل والخادم ﴿ إن اللَّهَ لا يُحبُّ مَنْ كان مُخْتالاً﴾ متكبراً يأنف عن أقاربه وجيرانه ولا يلتفت إليهم ﴿ فَخُوراً﴾ يتفاخر عليهم﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ نصب بدلاً من (مَن كان) أو على الذم، أو رفع عليه أو مبتدأ حذف خبره تقديره: الذين يبخلون بما وجب عليهم، أو بإظهار صفة محمد (ص) ﴿ ويَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ به، وفتح حمزة والكسائي الباء والخاء، قال النبي (ص): (خصلتان لا يجتمعان في مسلم البخل وسوء الخلق) وعنه (ص): (ليس البخيل من ادّى الزكاة المفروضة من ماله واعطى البائنة[2] في قومه إنما البخيل حق البخيل من لم يؤد الزكاة المفروضة من ماله ولم يعط البائنة في قومه وهو يبذر فيما سوى ذلك)، وعن الصادق (ع): (إن البخيل يبخل بما في يده والشحيح يشح بما في أيدي الناس وعلى ما في يديه حتى لا يرى في أيدي الناس شيئاً الاّ تمنّى أن يكون له بالحل والحرام ولا يقنع بما رزقه اللّه) ﴿ ويَكْتُمُونَ ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِه﴾ من المال والعلم أحقاء بالعقوبة ﴿ وأَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ﴾ بذلك وغيره ﴿ عَذاباً مُهِيناً﴾ لهم، أتى بالظاهر بدل الضمير إشعاراً بأن من هذا شأنه فهوكافر بنعمة اللّه وإشارة إلى العلة ﴿ والَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ ﴾ عطف على (الذين يبخلون) أو الكافرين أو مبتدأ حذف خبره ودلّ عليه (ومن يكن الشيطان) ﴿ رِئاءَ النَّاسِ﴾ مرائين أو مراءآة لهم ﴿ ولا يُؤْمِنُونَ بِاللَّه ولا بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ هم المنافقون، أو مشركو مكة ﴿ ومَنْ يَكُنِ الشيطان لَهُ قَرِيناً فَساءَ قَرِيناً﴾ إشارة إلى أن الشيطان قرينهم يحملهم على ذلك ويزينه لهم كقوله:

---

(١) هكذا وردت والظاهر إنها (يستعينون).

(٢) أي: العطية سميت بذلك لأنها تبين من المال أي تنفصل عنه.

(إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين)[1] ﴿ وما ذا عَلَيْهِمْ لوآمَنُوا بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ وأنفقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: أيٌّ ضرر عليهم بالإيمان والأنفاق في سبيل اللّه، وهو توبيخ لهم على الجهل بمنافعهم، وتحريض على الفكر لطلب جواب ما يؤدي بهم إلى العلم، وتنبيه على إن المدعو إلى أمر لا ضرر فيه ينبغي أن يجيب اليه احتياطاً فكيف إذا تضمن المنافع؟ وقدم الإيمان هنا وأخره في الآية السابقة لأنّ القصد بذكره إلى التخصيص هنا والتعليل ثمة، أو لأنّ المقصود في السابق ذمهم وفي تأخير عدم الإيمان سلوك مسلك الترقي، والمقصود هنا: إزالة الأوصاف الذميمة وإزالة الكفر يستحق التقديم ولأنّ إزالة الأقبح أهم﴿ وكان اللَّهُ بِهِمْ عَلِيماً ﴾ فيجازيهم بأعمالهم﴿ إن اللَّهَ لا يَظْلِمُ﴾ لا ينقص من أجر ولا يزيد في عقاب ﴿ مِثْقالَ ذَرَّةٍ﴾ زنة نملة صغيرة، أو جزء من أجزاء الهباء لغناه عن الظلم وعلمه بقبحه، فيستحيل عليه ـ تعالى ـ في الحكمة لا في القدرة﴿ وإن تَكُ﴾ مثقال الذرة وأنث الضمير لتأنيث الخبر،أو لإضافة المثقال إلى مؤنث ﴿ حَسَنَةً﴾ ورفعه ابن كثير على إنها تامة﴿ يُضاعِفْها﴾ يضاعف ثوابها، وقرأ ابن كثير وابن عامر (يضعّفها) ﴿ ويُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ﴾ ويعط صاحبها من عنده تفضلاً مع المضاعفة ﴿ أجْراً عَظِيماً﴾ عطاءً جزيلاً، سمي (أجراً) لأنّه تابع للأجر مزيد عليه﴿ فَكَيْفَ﴾ حال هؤلاء الكفرة﴿ إذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ هو نبيهم يشهد على فساد عقائدهم وقبح أعمالهم ﴿ وجِئْنا بِكَ﴾ يا محمد (ص)﴿ عَلى هؤُلاءِ﴾ الكفرة، أو الشهداء على تصديقهم ﴿ شَهِيداً﴾ عن الصادق (ع): (نزلت في أمة محمد (ص) خاصة في كل

---

(١) سورة الإسراء الآية ٢٧.

قرن منهم إمام شاهد عليهم ومحمد (ص) شاهد علينا)، وعن علي(ع) في حديث: (فيستشهد الرسل رسول الله (ص) فيشهد بصدق الرسل ويكذب من جحدها من الأمم فيقول لكل امة: بلى قد جاءكم بشير ونذير)﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وعَصَوُا الرَّسُولَ لَو تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ﴾ أي: يتمنى الكفار يومئذ أن تسوى بهم الأرض كالموتى ولم يبعثوا، أو لم يخلقوا وكانوا هم والأرض سواء﴿ ولا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً﴾ عطف على (يودّ) أي: يومئذ لا يقدرون على كتمان حديث من الله لأنّ جوارحهم تشهد عليهم، وقيل(الواو) للحال أي: ويودون أن تسوى بهم الأرض وحالهم إنهم لا يكتمون من الله حديثاً ولا يكذبونه بقولهم: (والله ربنا ما كنا مشركين)[1] يشتد عليهم الأمر من شهادة جوارحهم، وعن علي (ع) في صفة هول يوم القيامة: (ختم على الأفواه فلا تكلم وتكلمت الأيدي وشهدت الأرجل ونطقت الجلود بما عملوا فلا يكتمون الله حديثا)، القمي: يتمنى الذين غصبوا أمير المؤمنين (ع) أن تكون الأرض ابتلعتهم في اليوم الذي اجتمعوا فيه على غصبه وأن لا يكتموا ما قاله رسول الله (ص) فيه، وقرأ نافع وابن عامر (تسّوى) فأدغم التاء في السين وحذف حمزة والكسائي التاء الثانية﴿يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ﴾ أي: مواضعها وهي المساجد، أو لا تقوموا إليها ﴿ وأنتم سُكارى﴾ من النعاس أو النوم أو الخمر، والخطاب لهم قبل زوال عقولهم﴿ حَتَّى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ﴾ في الصلاة وتتنبهوا وتفيقوا، وعن الباقر (ع): (لا تقم إلى الصلاة متكاسلاً ولا متناعساً ولا متثاقلاً فإنها من خلال النفاق، وقد نهى الله عزّ وجلّ المؤمنين أن يقوموا إلى الصلاة وهم سكارى يعني النوم)، وفي عدة روايات المراد به: سكر النوم، وعن

---

(١) سورة الأنعام الآية ٢٣.

الكاظم (ع): إن المراد به سكر الشراب ثم نسختها آية تحريم الخمر، وحمل على التقية لما روته العامة بأنها نزلت فيمن قرأ في صلاته (أعبد ما تعبدون) في سكره، وعنه (ع) هذا قبل أن يحرم الخمر، وعن الصادق(ع): منه سكر النوم، وهو يفيد التعميم، وعن علي (ع): (السكر أربع: سكر الشراب وسكر المال وسكر النوم وسكر المُلك) ﴿ ولا جُنُباً﴾ عطف على (وأنتم سكارى)إذ محله النصب على الحال، والجنب يستوي فيه المذكر والمؤنث، والواحد والجمع ﴿ إلاّ عابِرِي سَبِيلٍ﴾ استثناء من عامة الأحوال أي: لا تدخلوا المساجد جنبا في عامة الأحوال إلا حال اجتيازكم فيها من باب إلى باب، وهو مقيد بما عدا المسجدين لمنع الجواز فيهما اجماعاً ونصاً، أو لا تصلوا جنباً في حال إلا مسافرين إذا لم تجدوا ماء فيرخص لكم الصلاة بالتميم ـ وإن لم يرفع الجنابة ـ ﴿ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ غاية النهي عن القربأن حال الجنابة ﴿ وإن كُنْتُمْ مَرْضى﴾ مرضاً يضره الماء، أو يعجز عن تناوله﴿ أو عَلى سَفَرٍ﴾ تفقدونه فيه، خص أو لأ بالرخصة في التيمم المرضى والمسافرين جنباً، أو محدثين لكثرة المرض والسفر، وغلبتهما على سائر أسباب الرخصة، ثم عمّ كل من أو جب عليه طهارة وفقد الماء من هؤلاء وغيرهم بقوله: ﴿ أو جاءَ أحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغائِطِ﴾ هو المنخفض من الأرض كني به عن الحدث بخروج الخارج من أحد السبيلين لأنّه يقصد له، وقيل: (أو) بمعنى الواو﴿ أو لامَسْتُمُ النِّساءَ﴾ وقرأ حمزة والكسائي (أولمستم) وهما بمعنى: جامعتموهن اجماعاً منّا، ونصاً مستفيضاً عن أئمتنا، وقيل: ماسستموهن بالبشرة، وبه احتج الشافعي لنقض المس للوضوء ﴿ فَلَمْ تَجِدُوا ماءً﴾ لعدمه، أو لضرره إذ واجده كفاقده ﴿ فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً﴾ فاقصدوا شيئاً من وجه الأرض طاهراً مباحاً، وقيل تراباً طاهراً، وعن الصادق (ع):

(الصعيد: الموضع المرتفع، والطيب: الموضع الذي ينحدر عنه الماء) ﴿ فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ﴾ أي: بعضها إذا الباء للتبعيض بالنص الصحيح الباقرى (ع) وهو الجبهة والجبينان إلى طرف الأنف الأعلى للنص﴿ وأيديكُمْ﴾ ظهورها من الزند إلى أطراف الأصابع للنص﴿ إن اللَّهَ كان عَفُوًّا غَفُوراً﴾ فلذلك خفف عنكم ورخص لكم ﴿ أَلَمْ تَرَ﴾ من رؤية القلب، عدي بـ(إلى) لتضمين معنى: ألم ينته علمك، أو من رؤية البصر أي: ألم تنظر إليهم﴿ إلى الَّذينَ أوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكتاب ﴾ حظاً من علم التوراة وهم علماء اليهود﴿ يَشْتَرُونَ الضَّلاَلَةَ﴾ يستبدلونها﴿ بالهدى﴾ بأنكار نبوة محمد (ص) ﴿ ويُرِيدُونَ إن تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ تخطؤوا طريق الحق كما أخطئوه.

[سورة النساء الآيات ٤٥ - ٥١]

وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِۚ

وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولاً ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلاً ﴿٥١﴾

﴿ واللَّهُ أعْلَمُ﴾ منكم ﴿ بِأعْدائِكُمْ﴾ وقد أخبركم بهم فاحذروهم ﴿ وكَفى باللَّهِ وَلِيّاً﴾ يلي أمركم ﴿ وكَفى باللَّهِ نَصِيراً﴾ يعينكم، فاكتفوا به عن غيره، وزيدت الباء للتأكيد ﴿ مِنَ الَّذِينَ هادُوا﴾ بيان لـ(الذين أوتوا) وما بينهما اعتراض، أو لأعدائكم، أو صلة لـ(نصيراً)، أو خبر محذوف أي: منهم قوم ﴿ يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ﴾ يميلونه ﴿ عَنْ مَواضِعِهِ﴾ التي وضعه الله فيها بتبديله بغيره، أو بتأويله على ما يشتهون ﴿ ويَقُولُونَ سَمِعْنا﴾ قولك ﴿ وعَصَيْنا﴾ ﴿ واسْمَعْ﴾ منّا ﴿ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ حال تضمن الدعاء أي: لا سمعت، أو اسمع غير مجاب لك، أو اسمع ما ندعوا عليك بلا سمعت ﴿ وراعِنا﴾ إنظرنا، يريدون به السب والسخرية ﴿ لَيّا بِألْسِنَتِهِمْ﴾ فتلاً بها، وتحريفاً للحق إلى الباطل بوضعهم (راعنا) مكان (أنظرنا) و(غير مسمع) مكان

(لا سمعت) مكروهاً، أو يفتلون بها ما يضمرونه من التحقير إلى ما يظهرونه من التوقير ﴿ وطَعْناً ﴾ عيباً ﴿فِي الدِّينِ﴾ الإسلام﴿ ولَو أنهُمْ قالُوا سَمِعْنا وأطَعْنا واسْمَعْ وأنظُرْنا﴾ ولو حصل قولهم هذا بدل ما قالوه ﴿ لَكان خَيْراً لَهُمْ﴾ مما قالوه ﴿ وأقْوَمَ﴾ وأعدل منه﴿ ولكِنْ لَعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ أبعدهم عن رحمته بسبب كفرهم﴿ فَلا يُؤْمِنُونَ إلاّ قَليلاً﴾ منهم كابن سلام وأصحابه، أو إلاّ إيماناً قليلاً ضعيفاً لا إخلاص فيه، أو ببعض الآيات دون بعض﴿يا أيهَا الَّذينَ أوتُوا الْكتابَ آمِنُوا بما نَزَّلْنا﴾ من القرآن﴿ مُصَدِّقاً لما مَعَكُمْ ﴾ من التوراة﴿ مِنْ قَبْلِ إن نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّها عَلى أدْبارِها﴾ نمحوما فيها من عين وإنف وحاجب فنجعلها على هيئة أدبارها وهي الأقفية، أو ننكسها إلى خلف﴿ أو نَلْعَنَهُمْ﴾ نخزيهم بالمسخ، والضمير لأصحاب الوجوه، أو للذين على الإلتفات﴿كَما لَعَنَّا﴾ أخزينا ﴿ أصْحابَ السَّبْتِ﴾ وهووعيد مشروط بعدم إيمانهم فلما آمن بعضهم رفع، أو يقع في الآخرة، أو منتظر يقع قبل القيامة،أو أريد باللعن متعارفه وقد لعنوا بكل لسان﴿ وكان أمْرُ اللّهِ﴾ بايقاع شيء، أو وعيده، أو قضاؤه﴿ مَفْعُولاً﴾ كائناً فيقع لا محالة ما أو عدوا به -إن لم يؤمنوا- ﴿ إن اللّهَ لا يَغْفِرُ إن يُشْرَكَ﴾ الشرك ﴿ بِهِ﴾ بدون توبة للإجماع على غفرانه بها﴿ ويَغْفِرُ ما دُونَ ذلكَ﴾ ما سوى الشرك من المعاصي بدون توبة ﴿ لِمَنْ يَشاءُ﴾ تفضلاً، ومقتضاه الوقوف بين الخوف والرجاء فلا إغراء فيه، عن الصادق (ع) في الآية قال: (الكبائر فما سواها)، وسئل (ع) هل تدخل الكبائر في مشيئة اللّه؟ قال: (نعم ذاك اليه إن شاء عذب عليها وإن شاء عفا عنها)﴿ ومَنْ يُشْرِكْ باللّهِ فَقَدِ افْتَرى إثْماً عَظيماً﴾ إرتكب ما يستحقر دونه الآثام، والإفتراء يقال للقول والفعل كالإختلاق﴿ ألَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أنفسهُمْ﴾ نزلت في اليهود والنصارى

حيث قالوا: نحن أبناء الله واحباؤه، وقالوا: لن يدخل الجنة إلاّ مَن كان هوداً أو نصارى ـ كما عن الباقر (ع) ـ وهي جارية في كل من زكى نفسه وحمدها﴿ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشاءُ﴾ لأنّه العالم بما ينطوي عليه الإنسان من حسن أو قبح دون غيره﴿ ولا يُظْلَمُونَ فَتيلاً﴾ أدنى الظلم وأصغره، وهوالخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في الحقارة﴿ إنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ في زعمهم إنهم أبناء الله وأزكياء عنده ﴿ وَكَفى بِهِ﴾ بزعمهم هذا﴿ إِثْماً مُبيناً ﴾ بيّنا ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلى الَّذينَ أوتُوا نَصيباً مِنَ الْكِتابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ والطّاغُوتِ﴾ صنمإن لقريش، أو كل ما عبد من دون الله، القمي: نزلت في اليهود حين سألهم مشركوالعرب أديننا أفضل أم دين محمد؟ قالوا: بل دينكم أفضل، وروي إنها نزلت في الذين غصبوا آل محمد (ص) حقهم وحسدوا منزلتهم وعن الباقر (ع)[1]: الجبت والطاغوت فلأنٌ وفلأنٌ وقيل: نزلت في حي وكعب خرجا في جمع من اليهود إلى مكة يحالفون قريشاً على محاربة النبي (ص) فقالوا: أنتم أقرب إلى محمد (ص) منكم إلينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن إليكم ففعلوا ﴿ وَيَقُولُونَ لِلَّذينَ كَفَرُوا﴾ أي: لأجلهم وفيهم ﴿هؤُلاءِ﴾ إشارة إليهم ﴿ أَهْدى مِنَ الَّذينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾ أرشد طريقاً وأقوم ديناً، وعن الباقر (ع): يقولون لأئمة الضلال والدعاة إلى النار: هؤلاء أهدى من آل محمد (ص).

---

(١) لا يشك من له أدنى اطلاع على التاريخ إن مواقف أهل البيت(ع) كانت تصب على خدمة الاسلام وتوحيد كلمة المسلمين ، وأما بعض الروايات التي يظهر منها خلاف ذلك فهي روايات مجهولة المصدر وفاقدة للاعتبار.

[سورة النساء الآيات ٥٢ - ٥٩]

أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذًا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ ۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَـٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَـٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّـٰتٍ تَجۡرِى مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ

وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾

﴿أولئكَ الَّذينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ومَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصيراً﴾ دافعاً عنه العذاب ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصيبٌ مِنَ المُلْكِ﴾ (أم) منقطعة والهمزة للأنكار، أي: ليس لهم حظ منه ولوكان ﴿ فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً﴾ قدر النقطة في ظهر النواة، لفرط بخلهم، و(اذن) بعد الواو والفاء يجوز أعمالها والغاؤها ولذلك قرئ (لا يأتوا) بالنصب، وعن الباقر (ع) أم لهم نصيب من الملك يعني: الامامة والخلافة قال: ونحن الناس الذين عنى الله ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ بل يحسدون النبي (ص) وأهل بيته، أو النبي وأصحابه، أو العرب والناس جميعاً ﴿ عَلى ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ من النبوة والكتاب والنصرة والإعزاز، وجعل النبي الموعود منهم أو الإمامة، وعنهم (ع) في عدة روايات: (نحن المحسودون الذين قال الله على ما أتإنا اللـ من الامامة)، وعن الباقر (ع): (الناس النبي وآله) ﴿ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إبراهيم﴾ الذين هم أسلاف محمد (ص) ﴿ الْكِتابَ والْحِكْمَةَ﴾ النبوة، أو العلم ﴿ وآتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظيماً﴾ افتراض الطاعة، أو ملك يوسف وداود وسليمإن فليس ببدع إن يؤتي محمداً وآله مثل ما أو توا، وعن الصادق(ع): الكتاب النبوة والحكمة الفهم والقضاء والملك العظيم والطاعة المفروضة، وعن الباقر (ع) يعني: جعل منهم الرسل والأنبياء والأئمة، فكيف تقرون في آل إبراهيم وتنكرونه في آل محمد (ص)؟ قال: الملك العظيم: إن جعل فيهم أئمة من أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله فهوالملك ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ ومِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ﴾ أعرض ولم يؤمن﴿ وكَفى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً﴾ ناراً

مسعورة يعذبون بها أي: إن لم يعجل عقابهم فقد كفاهم ما أعدّ لهم من النار ﴿ إن الَّذينَ كَفَرُوا بآياتنا سَوْفَ نُصْليهِمْ ناراً﴾ القمي: الآيات: أمير المؤمنين والأئمة (ع) ﴿كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ﴾ بخلقها مكانها، ومدرك العذاب النفس العاصية لا الجلد وإنما هوآلة لإدراكها، أو بإذهاب اثر الإحراق عنها ليعود أثر الإحساس بها، أو بإعادتها بنفسها على صورة اخرى كقولك: (بدلت الخاتم قرطاً) وقال ابن ابي العوجاء للصادق (ع) في الآية: ما ذنب الغير؟ فقال (ع): ويحك هي هي، وهي غيرها قال: فمثل لي في ذلك شيئاً من أمر الدنيا، قال: نعم أرأيت لوإن رجلاً أخذ لبنة[1] فكسرها ثم ردّها في ملبنها[2] فهي هي وهي، غيرها ﴿ إن اللَّهَ كان عَزِيزاً﴾ لا يعجزه شيء﴿ حَكِيماً﴾ في تعذيب من يعذبه ﴿ والَّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحات سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ خالدينَ فِيها أَبَداً لَهُمْ فِيها أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾ من كل دنس وقذر﴿ ونُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً ﴾كنيفاً[3] لا حرّ فيه ولا برد ودائماً لا تنسخه الشمس، صفة اشتق من الظل لتأكده كليل أليل، وأخّر ذكر الوعد عن الوعيد لكونه بالعرض﴿ إن اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ إن تُؤَدُّوا الأَمانات إلى أهلها﴾ في عدة روايات إن الخطاب للائمة أمر كل منهم إن يؤدي إلى الإمام الذي بعده ويوصي إليه، ثم هي جارية في سائر الأمانات، وعنهما (ع): إنها في كلّ من اؤتمن امانة من الأمانات، أمانات الله: أو امره ونواهيه، وأمانات عباده: فيما يأتمن بعضهم بعضاً من المال وغيره ﴿ وإِذا حَكَمْتُمْ﴾ أي: ويأمركم

---

(١) قطعة من الآجر(الطابوق).

(٢) قالبها.

(٣) يحيط بهم.

أيها الولاة إذا قضيتم ﴿ بَيْنَ النَّاسِ إن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ بالنصفة والسوية، وعن الباقر (ع): يعني العدل الذي في أيديكم وفي آخر بالعدل إذا ظهر﴿إن اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ (ما) موصوفة منصوبة، أو موصولة مرفوعة والمخصوص محذوف أي: نعم شيئا، أو الشيء الذي يعظكم به الأداء والعدل﴿ إن اللّهَ كان سَميعاً﴾ لأقوالكم﴿ بَصِيراً﴾ بأفعالكم﴿ يا أيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ وهم الائمة من آل محمد (ص) ـ كما تواترت به الأخبار ـ إذ لا يوجب اللّه طاعة واحد على الإطلاق كما أوجب طاعته وطاعة رسوله (ص) إلا من أيد بالعصمة وكان أفضل ممن أمر بطاعته على الإطلاق، ولا أحد به هذا الوصف الا ائمة الهدى الذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وتدل الآية على عدم خلو الزمان من أولي الأمر، وإنهم مفترضو الطاعة، ولا ينطبق الأ على مذهب الإمامية بأن الزمان لا يخلومن معصوم ولأنّه يقبح من الحكيم إن يوجب على الخلق اتباع من يجوز عليه الخطأ وأطاعته، وفي تكرار الفعل بالنسبة إلى اللّه تعالى والرسول (ص) اشارة إلى كمال المباينة بين الخالق والمخلوق، وترك بالنسبة إلى الرسول وأولي الأمر اشارة إلى إنهما من جنس واحد، وعن الباقر (ع) في الآية: (إيانا عنى خاصة أمرجميع المؤمنين إلى يوم القيامة به طاعتنا) ﴿ فَإن تَنازَعْتُمْ﴾ أيها المأمورون ﴿ فِي شَيْءٍ﴾ من أمور الدين﴿ فَرُدُّوهُ إلى اللّهِ﴾ إلى محكم كتابه ﴿ والرَّسُولِ﴾ بالسؤال منه في زمانه، والأخذ بسنته، والمراجعة إلى من أمر بالرجوع اليه بقوله (ص): (إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا أبدا كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض) وهو متواتر بين الفريقين، وفيه دلالة على إن الزمان لا يخلومن عالم من

أهل البيت كما لا يخلومن القرآن إلى يوم القيامة، وإنه لا بد من قيم للقرآن عالم بجميعه فإن الكتاب والسنة لا يرفعان الإختلاف، وكل فرقة من المسلمين يحتج بهما لمذهبها: المجسم: (يد الله فوق أيديهم)[(١)] (على العرش استوى)[(٢)] (إلى ربها ناظرة)[(٣)] الموحد: (لا تدركه الأبصار)[(٤)] (ليس كمثله شيء)[(٥)] والجبري: (قل كلٌّ من عند الله)[(٦)] والعدل: (ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك)[(٧)] وفي قراءة أهل البيت: فردوه إلى الله والرسول وإلى أولي الأمر منكم ﴿ إن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ﴾ فإن الإيمان يوجب ذلك، ومَن أبى ذلك لا إيمان له﴿ ذلكَ﴾ أي: الرد﴿ خَيْرٌ﴾ من التنازع والقول بالرأي والتشهي ﴿ وَأَحْسَنُ تَأويلاً﴾ مآلاً، أو أحسن تأويلاً من تأويلكم بلا ردّ.

[سورة النساء الآيات ٦٠ - ٦٥]

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن

---

(١) سورة الفتح الآية ١٠.

(٢) سورة طه الآية ٥.

(٣) سوة القيامة الآية٢٣.

(٤) سورةالأنعام الآية ١١.

(٥) سورة الشورى الآية ٧٨.

(٦) سورة النساء الآية ٧٩.

(٧) سورة النساء الآية ٧٩.

يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ إِنهُمْ آمَنُوا بِما أنزل إِلَيْكَ وما أنزل مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ إن يَتَحاكَمُوا إِلى الطَّاغُوتِ وقَدْ أُمِرُوا إن يَكْفُرُوا بِهِ ويُرِيدُ الشيطان أن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً﴾ عن الحق، القمي: نزلت في الزبير بن العوام نازع رجلاً من اليهود في حديقة فقال الزبير: نرضى بابن شيبة اليهودي وقال اليهودي نرضى بمحمد فأنزل الله، وقيل: خاصم منافق يهودياً فدعاه اليهودي إلى النبي (ص)

ليحكم بينهما، ودعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف فنزلت، فالطاغوت، من يحكم بغير الحق لفرط طغيانه، أو لتشبيهه بالشيطان، أو لأنّ التحاكم اليه تحاكم إلى الشيطان ﴿ وإِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا إلى ما أنزل اللّهُ﴾ في القرآن من الحكم﴿ وَإِلى الرَّسُولِ﴾ ليحكم به ﴿ رَأيتَ الْمُنافقِينَ يَصُدُّونَ﴾ حال أي: يعرضون﴿ عَنْكَ﴾ إلى غيرك﴿ صُدُوداً فَكَيْفَ﴾ يصنعون﴿ إِذا أصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ عقوبة﴿ بما قَدَّمَتْ أيدِيهِمْ﴾ من النفاق والصد عنك ﴿ ثُمَّ جاؤُكَ﴾ بعد ذلك، عطف على (اصابتهم) أو(يصدون) وما بينهما اعتراض﴿ يَحْلِفُونَ بِاللّه﴾حال﴿ إن أرَدْنا﴾ ما أردنا بالتحاكم إلى غيرك: ﴿ إلاّ إحساناً﴾ تخفيفاً عنك، أو صلحاً بين الخصمين دون الحكم المورث للضغائن[1]﴿ وتَوْفِيقاً﴾ تأليفاً بينهما بالتوسط دون الحمل على مُرّ الحق ولم نرد مخالفتك﴿ أولئكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللّهُ ما فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ لا تعاقبهم لمصلحة في استبقائهم﴿وَعِظْهُمْ﴾ بلسانك ﴿ وقُلْ لَهُمْ فِي أنفسهِمْ﴾ في شأنها، أو خالياً بهم فإن النصيحة في السر أنجع[2]﴿ قَوْلاً بَلِيغاً﴾ يؤثر فيهم كتخويفهم بالقتل والاستئصال إن ظهر منهم النفاق، والتخويف بعذاب اللّه للمنافقين والوعيد بالثواب على الإخلاص، والقول البليغ: هو الذي يطابق مدلوله المقصود ﴿ وما أرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إلاّ لِيُطاعَ بِإِذْنِ اللّهِ﴾ بسبب إذنه في طاعته وأمره المرسل إليهم بأن يطيعوه ﴿ ولَو إنهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أنفسهُمْ﴾ بنفاقهم وتحاكمهم إلى الطاغوت﴿ جاؤُكَ﴾ تائبين﴿ فَاسْتَغْفَرُوا اللّهَ﴾ من ذلك بإخلاص﴿ واسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﴾ واعتذروا إليك حتى صرت شفيعاً لهم، وعدل عن الخطاب تفخيماً

---

(١) أي: الأحقاد.

(٢) أكثر فائدةً

لشأنه (ص)، وتنبيهاً على إن حق الرسول إن يقبل إعتذار التائب ـ وإن عظم جرمه ـ ويشفع ومن منصبه إن يشفع في كبائر الذنوب ﴿لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ لعلموه قابلاً لتوبتهم متفضلاً عليهم بالرحمة، وإن كان (وجد) بمعنى صادف كان توابا حالاً ورحيماً بدلاً منه، أو حال آخر، أو من الضمير فيه ﴿فَلا ورَبِّكَ﴾ (لا) زائدة لتأكيد القسم أي: فو ربك ﴿لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ اختلف واختلط بينهم، من الشَجَر لتداخل أغصانه ﴿ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أنفسهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ﴾ ضيقاً مما حكمت به، أو من حكمك، أو شكا من أجله، فإن الشاك في ضيق من أمره ﴿ويُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ وينقادوا لك إنقياداً في الظاهر والباطن.

[سورة النساء الآيات ٦٦ - ٧٤]

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟

ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

﴿ ولو أنا كَتَبْنا﴾ أوجبنا﴿ عَلَيْهِمْ أن﴾ مصدرية، أو مفسرة﴿ اقْتُلُوا أنفسكُمْ أو اخْرُجُوا مِنْ دِيارِكُمْ﴾ كما أوجبنا على بني إسرائيل قتل أنفسهم وخروجهم إلى التيه، وكسر أبو عمرو نون (أن اقتلوا) وضم واو(أو اخرجوا) وكسرها عاصم وحمزة، وضمها الباقون﴿ ما فَعَلُوهُ إلاّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ توبيخ لهم، والضمير للمكتوب المدلول عليه بقوله (كتبنا) أو لاحد مصدري الفعلين، وقرأ ابن عامر بالنصب على الإستثناء أو على: إلاّ فعلاً قليلاً ﴿ ولوأنهُمْ فَعَلُوا ما يُوعَظُونَ بِهِ﴾ من مطاوعة الرسول وما يقوله طوعاً ورغبة﴿ لَكان خَيْراً لَهُمْ﴾ في العاجل والآجل﴿ وأَشَدَّ تَثْبِيتاً﴾ لإيمانهم ونصبه على التميز عن الصادق (ع): ولو أن أهل الخلاف فعلوا، وعن الباقر (ع): ما يوعظون به في عليّ (ع) قال هكذا نزلت، وقيل: نزلت الآية والتي قبلها في شأن المنافق واليهودي، وقيل: في حاطب بن أبي بلتعة

خاصَمَ الزبير في شراج من الحرة[١] كانا يسقيان بها النخل، فقال النبي (ص): اسقِ يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك، فقال حاطب لئن كان ابن عمك، فقال (ص): اسقِ يا زبير ثم أحبس المياه إلى الجدر[٢] واستوف حقك ثم أرسل إلى جارك ﴿وَإِذاً﴾ جواب سؤال مقدر، كانه قيل: وما يكون لهم بعد التثبت فقيل: وإذا لوتثبتوا: ﴿ لآتَيْناهُمْ مِنْ لَدُنّا أَجْراً عَظِيماً﴾ لأن(إذاً) جواب وجزاء﴿ ولَهَدَيْناهُمْ صِراطاً مُسْتَقِيماً ﴾ وللطفنا بهم ووفقناهم للثبات على طريق الحق ﴿ ومَنْ يُطِعِ اللّهَ والرَّسُولَ فَأولئكَ مَعَ الَّذِينَ أنعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ بيان لـ(الذين)﴿ والصِّدِّيقِينَ﴾ الصادقين في القول والعمل، المصدقين بما جاءت به الرسل﴿ والشُّهَداءِ﴾ المقتولين في سبيل الله﴿ والصّالِحِينَ﴾ الملازمين للصلاح غير من ذكر﴿ وَحَسُنَ أولئكَ رَفِيقاً﴾ فيه معنى التعجب، ورفيقاً نصب على التمييز أو الحال ولم يجمع لأنّه يقال للواحد والجمع كالصديق أو لأنّه أريد به : وحسن كل واحد منهم رفيقاً، عن الباقر (ع): (أعينونا بالورع فإنه من لقي الله منكم بالورع كان له عند الله فرجاً) وتلا الآية، ثم قال: (فمنا النبي ومنا الصديق والشهداء والصالحين) إلخ، وعنه (ع): (لقد ذكركم الله في كتابه فقال: (أولئك مع الذين إنعم اللّه عليهم) الآية فرسول اللّه (ص) في الآية: النبيون، ونحن في هذه المواضع: الصديقون، والشهداء، وأنتم الصالحون فتسموا بالصلاح كما سماكم الله، وعن النبي (ص): (لكل امة صدّيق وفاروق، وصدّيق هذه الأمة وفاروقها علي بن ابي طالب (ع)) وقيل: قال الصحابة للنبي (ص): (ينبغي لنا إن لا نفارقك فإنا لا نراك الا في الدنيا وأما في الآخرة فإنك ترفع فوقنا

---

(١) مسيل الماء الذي يمر عبر شق مستقيم في الأرض يسقي النخيل والأشجار الأخرى.

(٢) أي الى الوقت الذي تثمر فيه الأشجار.

بفضلك)، فنزلت، وقيل: في (ثوبأن) مولى رسول اللّه (ص) وقد قال له نحوقولهم ﴿ ذلِكَ﴾ أي كونهم مع المنعم عليهم، مبتدأ،﴿الْفَضْلُ﴾ خبره﴿ مِنَ اللّهِ﴾ حال، أو هوالخبر والفضل صفته﴿ وكَفى بِاللّهِ عَلِيماً﴾ بجزاء المطيعين وتوفير الحظ فيه ﴿ يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ تيقظوا، أو احترزوا من عدوكم، وعن الباقر (ع): خذوا أسلحتكم، سمى الاسلحة حذراً لأنّ بها يتقى المحذور﴿ فَأنفِرُوا﴾ فاخرجوا إلى الجهاد﴿ ثُباتٍ﴾ جماعات متفرقة، سرية سرية، جمع ثبه، وتجمع أيضاً على ثبين﴿ أو أنفِرُوا جَمِيعاً﴾ مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا، وعن الباقر (ع): (الثبات) السرايا، و(الجميع) العسكر﴿ وإن مِنكُمْ ﴾ أي: من عسكركم أيها المؤمنون ﴿لَمَنْ﴾ (اللام) للابتداء دخلت على اسم إن للتأكيد ﴿ لَيُبَطِّئَنَّ﴾ ليتاقلن ويتأخرن عن الجهاد، وهم المنافقون، من (بطأ) بمعنى أبطأ، لازم أو ليثبطن غيره كما ثبط ابن أبيّ ناساً يوم أحد، من (بطأ) المتعدي بالتضعيف و(اللام) جواب قسم محذوف، تقديره: وإن منكم لمن أقسم باللّه ليبطئن﴿ فَإن أصابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ﴾ كقتل وهزيمة﴿ قالَ﴾ المبطئ﴿ قَدْ أنعَمَ اللّهُ عَلَيَّ إذْ لَمْ أكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً﴾ حاضراً فيصيبني ما أصابهم، عن الصادق(ع): (لو قال هذه الكلمة أهل الشرق والغرب لكانوا بها خارجين من الإيمان، ولكن سماهم الله مؤمنين بإقرارهم)، وفي آخر سماهم مؤمنين وليسوا بمؤمنين ولا كرامة ﴿ ولَئِنْ أصابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللّهِ﴾ كفتح وغنيمة ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ أكده تنبيهاً على فرط تحسرهم، وقرأ بضم (اللام) إعادةً للضمير على المعنى ﴿ كان لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ حال من القائل أو اعتراض بين القول ومقوله وهو﴿ يا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ للإيذان بأن قوله هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه، وإنما أراد الكون معكم للمال لا للقتال، وكان

مخففة، واسمها ضمير شأن مقدر، وقرأ ابن كثير وحفص بالتاء والمنادى في يا ليتني محذوف، أي يا قوم ليتني، وقيل: (يا) للتنبيه، على الاتساع، ونصب (فأفوز) على جواب التمني ﴿ فَلْيُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ﴾ يبيعون ﴿ الْحَياةَ الدُّنْيا بِالْآخِرَةِ﴾ أي: إن صد المنافقون عن القتال، فليقاتل المخلصون المختارون للآخرة على الدنيا﴿ وَمَنْ يُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ﴾ فيستشهد ﴿ أَو يَغْلِبْ﴾ يظفر بالعدو ﴿ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ وعد المجاهد الثواب الجزيل، غلب أو غلب، حثاً على الجهاد في إعزاز الدين ورداً لقولهم (قد أنعم اللّه عليّ إذ لم أكن معهم شهيداً) .

[سورة النساء: الآيات ٧٥ - ٧٩]

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ

يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٧٩﴾

﴿وما لَكُمْ﴾ مبتدأ وخبر﴿ لا تُقاتِلُونَ﴾ حال عاملها معنى الفعل في الظرف ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ والْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ أي: في سبيلهم بتخليصهم من الأسر وصونهم من العدو، أو في خلاصهم، أو نصب على الاختصاص، فإن سبيل الله يعم كل حين، وهذا أعظمها ﴿ مِنَ الرِّجالِ والنِّساءِ والوِلْدانِ﴾ بيان للمستضعفين، وهم المسلمون الذين لم يستطيعوا الهجرة وبقوا بمكة مستذلين يلقون الأذى من أهلها، وذكر الولدان مبالغة في الحث وإيذانا بتناهي ظلم الكفرة حتى آذوا الصبيان﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا أَخْرِجْنا مِنْ هذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ مكة ﴿ الظّالِمِ أَهْلُها﴾ صفتها، وذكر لتذكير

فاعله ﴿ واجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ ﴾ من عندك ﴿ وَلِيًّا﴾ يلي أمرنا﴿ واجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ نَصيراً﴾ معيناً عليهم، فاستجاب الله دعاءهم فيسر لبعضهم الخروج وجعل لمن بقي ولياً وناصراً حين فتح مكة واستعمل عليها عتاب بن أسيد، فتولاهم ونصرهم، وكانوا أعزّ أهلها، وعن الباقر والصادق (ع): إنهما تليا المستضعفين إلى نصيراً وقالا: نحن أولئك ﴿ الَّذينَ آمَنُوا يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في طاعته الموصلة إلى رضوانه ﴿ والَّذِينَ كَفَرُوا يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ في طاعة الشيطان ﴿ فَقاتِلُوا أَوْلِياءَ الشيطان﴾ اتباعه ينصركم الله عليهم﴿ إن كَيْدَ الشيطان﴾ للمؤمنين ﴿ كانَ ضَعِيفاً﴾ في جنب كيد الله للكافرين، وفيه تشجيع للمؤمنين﴿ أَ لَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيدِيَكُمْ﴾ عن القتال ﴿ وأَقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ﴾ واشتغلوا بما أمرتم به وذلك حين كانوا يتمنون أن يؤذن لهم فيه وعن الصادق (ع) (كفوا أيديكم) يعني: السنتكم وقال: ما ترضون أن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتكفوا السنتكم وتدخلوا الجنة ثم قرأ الآية، وعن الباقر (ع): أنتم والله أهل هذه الآية ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ﴾ فرض ﴿ عَلَيْهِمُ الْقِتالُ﴾ إذا للمفاجأة جواب لما﴿ فَرِيقٌ﴾ مبتدأ ﴿ مِنْهُمْ﴾ صفته والخبر ﴿يَخْشَوْنَ النَّاسَ﴾ الكفار أن يقتلوهم ﴿كَخَشْيَةِ اللَّهِ﴾ أن ينزل (عليهم) نائبة من إضافة المصدر إلى المفعول حال من (الواو) ﴿ أو أَشَدَّ﴾ عطف عليه ﴿خَشْيَةً ﴾ تمييز أي: يخشون الناس مشبهين لأهل خشية الله (أو) حال كونهم أشد خشية من أهل خشية الله وإنما لم يقدر يخشون خشية مثل خشية الله ليكون صفه للمصدر لأنّ (أشد) عطف عليه ولا يجوز فيه سوى الحال إذ لوكان مصدرا لجرّ ما بعده حتى يكون المفضل من جنس المفضَّل عليه فنصب ما بعده أو جب إن لا يكون من جنسه، فلا يكون مصدراً ﴿ وقالُوا﴾ خوفاً من الموت ﴿ رَبَّنا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنا

﴿الْقِتالَ لَوْ لا﴾ هلا ﴿أَخَّرْتَنا إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ استزادة في مدّة الكف عن القتال، وروي (كفّوا أيديكم): مع الحسن (كتب عليهم القتال): مع الحسين، إلى أجل إلى خروج القائم (عج) فإن مع الظفر ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَتاعُ الدُّنْيا قَلِيلٌ﴾ نافذ ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ أي: ثوابها الباقي ﴿خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقى﴾ الله ﴿وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ ولا تنقصون من أجوركم أدنى شيء، وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي (يظلمون) لسبق الغيبة ﴿أَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ﴾ يلحقكم ويحل بكم ﴿الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ في قصور، أو حصون مرتفعة، أو مجصصة، فلا ينجيكم منه ترك القتال ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ﴾ أي: اليهود والمنافقين ﴿حَسَنَةٌ﴾ أي: نعمة كالخصب ﴿يَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ بلية كالجدب ﴿يَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ بشؤمك يا محمد ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿كُلٌّ﴾ من النعمة والبلية، والرخص والجدب ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ صادرة عن حكمة بحسب المصالح ﴿فَما لِهؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً﴾ لا يقاربون أن يفهموا قولاً فيعلموا أن الباسط والقابض هو الله ﴿ما أَصابَكَ﴾ يا إنسان ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾ من نعمة ﴿فَمِنَ اللَّهِ﴾ تفضلاً منه وامتحاناً ﴿وَما أَصابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ﴾ من بلية ﴿فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ لأنك السبب فيها بارتكابك الذنوب الجالبة لها (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم)[1] ويعفوعن كثير فالكل من الله إيجاداً وإيصالاً غير أن الحسنة إحسان وامتحان، والسيئة مجازاة وأنتقام، والمراد بالحسنة أخيراً: الأفعال الحسنة والسيئة مقابلها، فعنهم (ع): إن الحسنات في كتاب الله على وجهين: أحدهما: الصحة والسلامة والسعة في الرزق،

---

(١) سورة الشورى الآية ٣٠.

والآخر: الأفعال كما قال (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها)[1]، وكذلك السيئات فمنها الخوف والمرض والشدة، ومنها الأفعال التي يعاقبون عليها﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً﴾ حال مؤكدة ﴿ وكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ على إرسالك.

[سورة النساء الآيات ٨٠ - ٨٦]

مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلاً ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلاً ﴿٨٣﴾ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً ﴿٨٤﴾ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٦٠.

نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾

﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أطاعَ اللّهَ﴾ لأنّه إنما يأمر بما أمر اللّه به، وينهى عما نهى اللّه عنه ﴿ ومَنْ تولّى﴾ أعرض عن طاعته ﴿ فما أرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفيظاً﴾ تحفظ أعمالهم بل نذيراً وعلينا حسابهم ﴿ ويَقُولُونَ﴾ إذا أمرتهم بشيء﴿ طاعَةٌ﴾ أي: شأننا طاعة ﴿ فَإذا بَرَزُوا﴾ خرجوا ﴿ مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الّذي تَقُولُ﴾ أضمرت خلاف ما قالت لك وأظهرت من الطاعة، أو ما قلت وأمرت، والتبييت: من (البيتوتة) لأنّه يدبر ليلاً، أو من بيت الشعر لأنّ الشاعر يدبره، وادغم أبوعمرووحمزة (بيّت طائفة) ﴿ واللّهُ يَكْتُبُ ما يُبَيِّتُونَ﴾ يثبته في صحائفهم ليجازيهم عليه، أو في جملة ما يوحى إليك لتطّلع على سرهم ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ بالصّفح ﴿ وتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ﴾ ثق به يكفك أمرهم ﴿ وكَفى بِاللّهِ وَكيلاً﴾ حافظاً لما فوّض اليه ﴿ أ فَلا يَتَدَبَّرُونَ القرآن﴾ يتأملون معانيه، وأصل التدبر: النظر في أدبار الأمور﴿ ولَوكان مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللّهِ﴾ كما زعموا إنه قول البشر﴿ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتلافاً كَثيراً﴾ من تناقض المعنى وتفأو ت النظم وخروج بعضه عن الفصاحة وعن مطابقته الواقع بشهادة الإستقراء لقصور القوة البشرية ﴿ وإذا جاءَهُمْ أمْرٌ مِنَ الأمنِ أو الْخَوْفِ أذاعُوا بِهِ﴾ قيل: كان قوم من ضعفة المسلمين إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول اللّه (ص) أو أخبرهم الرسول بما أو حي اليه من وعد بالظفرأو تخويف من

الكفرة أذاعوه وكانت إذاعتهم مفسدة ﴿ ولو ردُّوهُ﴾ ردوا ذلك الأمر﴿ إلى الرَّسُولِ وإلى أولي الأمْرِ منْهُمْ﴾ الأئمة المعصومين، وقيل: أمراء السرايا أي: لو سكتوا حتى ظهر لهم﴿ لَعَلِمَهُ﴾ لعلم تدبيره﴿ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ يستخرجون تدبيره بافكارهم، وعن الباقر (ع): (هم الأئمة المعصومون)، وعن الرضا (ع): (يعنى آل محمد (ص) وهم الذين يستنبطون من القرآن ويعرفون الحلال والحرام وهم حجة الله على خلقه) ﴿ ولو لا فَضْلُ الله عَلَيْكُمْ ورحْمَتُهُ﴾ بإرسال الرسل وإنزال الكتب ﴿ لاتَّبَعْتُمُ الشيطان﴾ بالكفر ﴿ إلاَّ قَليلاً﴾ منكم اهتدوا بعقل راجح إلى الحق كقس ابن ساعدة وأمثاله ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ إن تركوك وحدك﴿لا تُكَلَّفُ إلاَّ نَفْسَكَ﴾ فتقدم إلى الجهاد وإن لم يساعدك أحد، فإن الله ينصرك لا الجنود، عن الصادق (ع): إن الله تعالى كلّف رسول الله (ص) ما لم يكلف أحداً من خلقه، كلفه إن يخرج على الناس كلهم وحده بنفسه إن لم يجد فئة تقاتل معه، ولم يكلف أحداً هذا قبله ولا بعده، ثم تلا هذه الآية، ونحوه غيره، وروي: إن أبا سفيان لما رجع واعد رسول الله (ص) موسم بدر الصغرى، فكره الناس وتثاقلوا حين بلغ الميعاد، فنزلت فخرج النبي (ص) وما معه إلا سبعون، ولولم يتبعه أحد لخرج وحده ﴿ وحَرِّضِ الْمُؤْمنينَ﴾ حثهم على القتال إذا ما عليك في شأنهم الا التحريض ﴿ عَسَى اللَّهُ إن يَكُفَّ بَأسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: قريشاً وقد فعل بأن ألقى في قلوبهم الرعب﴿ واللَّهُ أشَدُّ بَأساً﴾ من قريش﴿وأشَدُّ تَنكيلاً﴾ تعذيباً، وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه﴿ مَنْ يَشْفَعْ﴾ للناس﴿شَفاعَةً حَسَنَةً﴾ توافق الشرع﴿ يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْها﴾ بسببها ﴿ ومَنْ يَشْفَعْ شَفاعَةً سَيِّئَةً﴾ خلاف ذلك﴿ يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ﴾ أي: نصيب ﴿ مِنْها﴾ أي: من وزرها﴿ وكان اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ مُقيتاً﴾ مقتدراً وحفيظاً،

من القوت لحفظه النفس﴿ وإِذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْها أو رُدُّوها﴾ عن الصادق (ع): (هي السلام وغيره من البر والإحسان)، وعن النبي (ص): (السلام تطوع والرد فريضة)، وعنه (ص): (إذا سلّم من القوم واحد أجزء عنهم وإذا ردّ واحد أجزء عنهم)، وعنه (ص): (القليل يبدءون الكثير بالسّلام والراكب يبدأ الماشي واصحاب البغال يبدءون أصحاب الحمير وأصحاب الخيل يبدءون اصحاب البغال)، وفي آخر: (يسلم الصغير على الكبير والمارّ على القاعد)، وفي آخر: (إذا لَقِيَتْ جماعةٌ جماعةً يسلّم الأقل على الأكثر وإذا لقي واحدٌ جماعةً يسلّم الواحد على الجماعة)، وعن علي (ع): (لا تبدؤوا أهل الكتاب بالتسليم وإذا سلّموا عليكم فقولوا وعليكم)، وعن الصادق (ع): (ثلاثة لا يسلّمون: الماشي مع الجنازة، والماشي إلى الجمعة، وفي بيت حمام)، وعن الباقر (ع): (لا تسلموا على اليهود ولا على النصارى ولا على المجوس ولا على عبدة الأو ثإن ولا على موائد شرب الخمر ولا على صاحب الشطرنج والنرد ولا على المخنث ولا على الشاعر الذي يقذف المحصنات ولا على المصلي، وذلك إن المصلي لا يستطيع إن يرد السّلام لأنّ التسليم من المسلم تطوع والرد عليه فريضة، ولا على آكل الربا ولا على رجل جالس على غائط ولا على الذي في الحمام ولا على الفاسق المعلن بفسقه)﴿ إن اللّهَ كان عَلى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً﴾ التحية وغيرها.

[سورة النساء الآيات ٨٧ - ٩١]

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ

وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ
وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿٨٨﴾ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا
كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ
وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ
بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ
يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ
ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ
عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ
وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ
يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ
حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴿٩١﴾

﴿ اللَّهُ﴾ مبتدأ ﴿لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ﴾ خبره أو إعتراض والخبر﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ أي: اللّه، واللّه ليجمعنكم أي: يقضين بكم[1] جميعاً ﴿ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ﴾ أي: ليحشرنكم فيه، والقيامة: قيامهم من قبورهم، أو للحساب﴿ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ في اليوم أو الجمع ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ﴾ إنكار أي: لا أحد أصدق منه ﴿ حَدِيثاً﴾ تمييز﴿ فَما لَكُمْ﴾ تفرقتم ﴿ فِي الْمُنافِقِينَ﴾ في شأنهم ﴿ فِئَتَيْنِ﴾ فرقتين ولم تجتمعوا على كفرهم، وهوحال عاملها (ما لكم) ﴿ واللَّهُ أَرْكَسَهُمْ﴾ ردهم إلى حكم الكفر، أو خذلهم حتى ارتكسوا فيه ﴿ بِما كَسَبُوا﴾ من الكفر، عن الباقر (ع): (نزلت في قوم من مكة أظهروا الإسلام ثم رجعوا إلى مكة فأظهروا الشرك ثم سافروا إلى اليمامة، فاختلف المسلمون في غزوهم لاختلافهم في إسلامهم وشركهم، وقيل: هم المتخلفون يوم أحد﴿ أَ تُرِيدُونَ إن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ تجعلوه من المهتدين﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ﴾ يحكم بضلاله، أو يخذله﴿ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾ حجة أو محجة تنجيه ﴿ وَدُّوا لَوتَكْفُرُونَ كَما كَفَرُوا﴾ تمنوا إن تكفروا ككفرهم ﴿فَتَكُونُونَ﴾ أنتم وهم- عطف على تكفرون- سَواءً في الضلال أو الكفر، عن الصادق (ع): (وإن لشياطين الأنس حيلة ومكراً وخدائع ووسوسةً بعضهم إلى بعض يريدون- إن استطاعوا- إن يردوا أهل الحق عمّا أكرمهم اللّه به من النظر في دين اللّه الذي لم يجعل اللّه شياطين الأنس من أهله ارادة إن يستوي اعداء اللّه وأهل الحق في الشرك والأنكار والتكذيب فيكونون سواء كما وصف اللّه في كتابه من قوله: (ودوا لوتكفرون) الآية ﴿ فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَو لِياءَ﴾ فلا توالوهم وإن أظهروا الإيمان ﴿ حَتَّى يُهاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هجرة صحيحة تحقق

---

(١) الصحيح (بينكم) كما هو واضح.

إيمانهم في طاعة الله ودينه لا في غرض دنيوي ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان والهجرة﴿ فَخُذُوهُمْ واقْتُلوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ في الحل والحرم كسائر الكفار ﴿ ولا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا ولا نَصِيراً﴾ وإن بذلوا لكم الولاية والنصرة﴿إلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ أي: فخذوهم واقتلوهم الا الذين يلجئون﴿ إلى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُمْ مِيثاقٌ﴾ عهد، عن الباقر (ع): (هوهلال بن عيوم الأسلمي، واثَقَ عن قومه رسول الله (ص) وقال في موادعته: على أن لا تخيف يا محمد من أتانا ولا نخيف من أتاك، فنهى الله سبحانه أن يعرضوا لأحدٍ عهداً إليهم ﴿ أو جاؤُكُمْ﴾ عطف على الصلة أي: أو الذين جاءوكم ممسكين عن قتالكم وقتال قومهم، أو على صفة قوم والتقدير الا الذين يصلون إلى قوم معاهدين أو قوم كافين عن الحرب لكم وعليكم ويعضد الأولى فإن أعتزلوكم ﴿ حَصِرَتْ﴾ حال بإضمار (قد) أي: ضاقت﴿ صُدُورُهُمْ﴾ عن ﴿ إن يُقاتِلُوكُمْ ﴾أو كراهة إن يقاتلوكم مع قومهم ﴿ أو يُقاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾ معكم عن الصادق (ع): نزلت في بني مدلج، جاءوا إلى رسول الله (ص) فقالوا: إنا قد حصرت صدورنا إن نشهد إنك رسول الله فلسنا مع قومك ولا مع قومنا عليك، فواعدهم إلى إن يفرغ من العرب ثم يدعوهم فإن أجابوا وإلا قتلهم) قيل: وهذا وما بعده نسخ بآية السيف﴿ ولَوشاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ بتقوية قلوبهم ﴿فَلَقاتَلُوكُمْ﴾ ولكنه لم يشأ فقذف في قلوبهم الرعب﴿ فَإن اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقاتِلُوكُمْ﴾ فإن كفّوا عنكم﴿ وأَلْقَوْا إلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ الاستسلام أي: إنقادوا لكم ﴿ فَما جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾ بأخذ وقتل﴿ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أن يَأْمَنُوكُمْ ويَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾ قيل هم ناس أتوا المدينة وأظهروا الإسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا، وعن الصادق(ع) (نزلت في عيينة بن حصين الفزاري

أجدبت بلادهم فجاء إلى رسول الله (ص) ووادعه على إن يقيم ببطن نخل ولا يتعرض له وكان منافقاً ملعوناً وهو الذي سماه رسول الله (ص) (الأحمق المطاع) ﴿كُلَّما رُدُّوا إلى الْفِتْنَة﴾ دعوا إلى الكفر وإلى قتال المسلمين ﴿ أُرْكِسُوا فِيها فَإِن لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ ويُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ ﴾ ولم يستسلموا لكم ﴿ ويَكُفُّوا أيدِيَهُمْ﴾ عن قتالكم ﴿ فَخُذُوهُمْ واقْتُلوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ صادفتموهم ﴿ وأو لئِكُمْ جَعَلْنا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطاناً مُبِيناً﴾ حجة بيّنة على قتلهم وسبيهم لوضوح عدأو تهم وكفرهم، أو تسلطاً ظاهراً بالإذن لكم في قتلهم.

[سورة النساء الآيات ٩٢ - ٩٤]

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

﴿ وما كان لِمُؤْمِنٍ﴾ وما صحّ، أو ما جاز له ﴿ إن يَقْتُلَ مُؤْمناً﴾ بغير حق في حال من الأحوال، أو لعلة من العلل ﴿إلاّ خَطَأً﴾ إلاّ مخطئاً، أو إلاّ للخطأ، أو إلاّ قتلاً خطأ، وأريد به النهي والاستثناء منقطع أي: لا يقتله، لكن قتله خطأ جزاؤه ما يذكر، والخطأ: أن لا يقصد بفعله قتله، قيل نزلت في عيّاش ابن أبي ربيعة أخي أبي جهل لأمّه قتل حارثاً بن زيد ولم يعلم بإسلامه ﴿ ومَنْ قَتَلَ مُؤْمناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي: فعليه، أو فالواجب في ماله إعتاق نسمة مؤمنة مسلمة ـ ولوحكماً ـ فتجزي الصغيرة في الأظهر ﴿ ودِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إلى أهلِه﴾ مؤداة من العاقلة إلى ورثته ﴿ إلاّ أن يَصَّدَّقُوا﴾ يتصدقوا عليهم بالدية، سمي العفوعنها (صدقة) حثاً عليها وتنبيها على فضله، وهو إستثناء من وجوب التسليم أي: يجب تسليمها إليهم إلاّ حال تصدقهم، أو زمانه فهوحال، أو ظرف ﴿ فَإن كان﴾ القتيل ﴿ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّلكُمْ﴾ محاربين ﴿ وهُومُؤْمنٌ﴾ ولم يعلم قاتله إيمانه ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمنَةٍ﴾ فعلى قاتله الكفارة ولا دية لأهله لأنّهم حرب ﴿ وإن كان مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُمْ مِيثاقٌ﴾ عهد ﴿ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إلى أهلِه﴾ تلزم عاقلة قاتله ﴿ وتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ تلزم قاتله كفارة لقتله ـ كما عن الصادق (ع) ـ وعنه (ع): (في رجل مسلم في أرض الشرك فقتله المسلمون ثم علم به الإمام فقال:

يعتق مكانه رقبة مؤمنة وذلك قول الله تعالى (فإن كان من قوم عدولكم) الآية، وسئل عن الخطأ الذي فيه الدية والكفارة قال[1]: (هو الرجل يضرب الرجل ولا يتعمد قتله؟ قال: نعم. قيل: فإذا رمى شيئاً فأصاب رجلاً؟ قال: ذلك الخطاب[2] الذي لا شك فيه وعليه الكفارة والدية) وعنه (ع): (كل العتق يجوز فيه المولود الا في كفارة القتل فإن الله يقول: (فتحرير رقبة مؤمنة) يعني بذلك مقرّة بلغت الحنث) وسئل الكاظم (ع): كيف يعرف المؤمن؟ قال: على الفطرة ﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ رقبة لفقدها أو فقد ما يتوصل به إليها﴿ فَصِيامُ﴾ فعليه صيام﴿ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ﴾ ويتحقق التتابع بشهر ويوم من الثاني ـ إجماعاً ونصاً ـ ﴿ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ﴾ مصدر، أو مفعول له أي: قبل توبتكم بالكفارة قبولاً أو شرع ذلك للتوبة أي: لقبولها، من تاب الله أي: قبل التوبة، وقيل: التوبة في الخطأ لترك التحرز، وفيه إنه لم يكلف به، وقيل: أريد بالتوبة التخفيف بالصيام بدل الرقبة كـ(علم أن لن تحصوه فتاب عليكم)[3]﴿ وكان اللَّهُ عَلِيماً﴾ بخلقه ﴿ حَكِيماً﴾ في تدبيره ﴿ ومَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً ﴾ قاصداً قتله عالماً بإيمانه﴿ فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِيها﴾ إن لم يتب أو يعفوالله عنه، أو إذا كان مستحلاً له، أو هذا جزاؤه إن جوزي، وخلف الوعيد[4] حسن (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)[5] أو كنى بالخلود عن طول المكث لقيام الدليل على إنقطاع

---

(١) أي: قال السائل.

(٢) وردت هكذا في النسخة الخطية والظاهر إنها: (الخطأ).

(٣) سورة المزمل الآية ٢٠.

(٤) الوعيد: التهديد. فإذا خالف الله تعالى وعيده ولم يعاقب فهذا لا يعتبر متناقضاً مع كلامه جل وعلا بل هو حسن ومحمود فعله.

(٥) سورة النساء الآية١١٦.

عذاب عصاة المؤمنين، وعن الصادق (ع): (هوإن يقتله على دينه) ويعضده ما قيل: إنه نزل في مقبس بن ضبابة وجد أخاه قتيلاً في بني النجار ولم يظهر قاتله فأمرهم النبي (ص) بدفع ديته إليه فأخذها، ثم حمل على مسلم فقتله ورجع إلى مكة مرتداً ﴿ وغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ ولَعَنَهُ وأَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِيماً﴾ هدد قاتل المؤمن بأبلغ تهديد وتوعد بعقوبات كل واحدة منها كافية في الدلالة على عظم جرمه﴿يا أيهَا الَّذينَ آمَنُوا إِذا ضَرَبْتُمْ ﴾ سافرتم للغزو﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ فاطلبوا بيان الأمر وميزوا بين الكافر والمؤمن، وقرأ حمزة والكسائي (فتثبوا) في الموضعين أي: اطلبوا بيان الأمر أو ثباته ولا تعجلوا فيه ﴿ ولا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقى إِلَيْكُمُ السَّلامَ﴾ حياكم بتحية الإسلام ـ كما عن الصادق (ع)ـ وقرأ نافع وابن عامر بحذف الألف أي: (السلم) والإنقياد ﴿ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ﴾ بذلك﴿ عَرَضَ الْحَياةِ الدُّنْيا﴾ حطامها النافذ وهومالها ﴿ فَعِنْدَ اللَّهِ مَغانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ تغنيكم عن قتل مثله لماله ﴿ كَذلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: أول دخولكم في الإسلام تفوهتم بالشهادة فعصمتم بها دماءكم وأموالكم ولم تعلم بواطنكم﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالإستقامة، والإشتهار بالإيمان﴿ فَتَبَيَّنُوا﴾ كرّر تأكيداً أي: لا تبادروا إلى قتل من دخل في الإسلام ظناً بأنه دخل فيه تقية وافعلوا به كما فعل بكم ﴿ إن اللَّهَ كان بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ عالماً فاحتاطوا بالقتل، القمي: نزلت لما رجع رسول اللّه (ص) من غزوة خيبر وبعث اسامة بن زيد في خيل إلى بعض قرى اليهود في ناحية فدك ليدعوهم إلى الإسلام وكان رجل يقال له (مرداس بن نهيك الفدكي) في بعض القرى، فلما أحس بخيل رسول اللّه (ص)

جمع أهله وماله وصار في ناحية الجبل، فأقبل يقول «أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمداً رسول اللّه» فمرّ به أسامة فطعنه فقتله، فلما رجع إلى رسول اللّه (ص) أخبره بذلك فقال (ص) له «قتلت رجلاً شهد أن لا إله الا اللّه وأني رسول اللّه؟» فقال: «يا رسول الله قالها تعوذاً من القتل!» فقال (ص): «أ فلا شققت الغطاء عن قلبه لا ما قال بلسانه قبلت ولا ما كان في نفسه علمت!!» فحلف أسامة بعد ذلك إن لا يقاتل أحداً شهد أن لا إله الا اللّه وأن محمداً رسول الله، فتخلف عن أمير المؤمنين(ع) في حروبه وأنزل اللّه تعالى في ذلك (ولا تقولوا) الآية.

[سورة النساء الآيات ٩٥ - ١٠١]

لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَـٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ

وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾

﴿ لا يَسْتَوِي القَاعِدُونَ﴾ عن الجهاد﴿مِنَ المُؤْمِنِينَ﴾ حال﴿ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ من مرض أو عمى أو زمانة(١) ونحوها بالرفع صفة القاعدون إذ لم يعيّنوا ونصبه نافع والكسائي على الحال أو الاستثناء﴿ والمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وأنفسهِمْ﴾ وفيه ترغيب للقاعد في الجهاد بالإعلام بما بين الفريقين من التفاوت ﴿ فَضَّلَ اللَّهُ المُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وأنفسِهِمْ عَلَى القَاعِدِينَ﴾ جملة موضحة لما نفي من استواء المجاهدين والقاعدين غير أولي الضرر ﴿ دَرَجَةً ﴾ نصب بنزع الخافض أي: بدرجة وهي الجنة لحسن نيتهم، وإن فضل المجاهدون بالعمل﴿ وكُلاً وَعَدَ اللَّهُ الحُسْنَى وفَضَّلَ اللَّهُ المُجَاهِدِينَ عَلَى القَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾ نصب على

---

(١) الزمانة: المرض الذي يدوم طويلاً.

المصدر لأنّ (فضّل) بمعنى آجر﴿ دَرَجاتٍ مِنْهُ ومَغْفِرَةً ورَحْمَةً ﴾ إبدال من (أجراً) ويجوز نصب درجات على المصدر أي: فضلهم تفضلات و(اجراً) حال عنها تقدمتها لتنكيرها و(مغفرة ورحمة) على المصدر بتقدير فعلها، كرر تفضيلهم لزيادة الترغيب في الجهاد، وقيل: الدرجة: ما خوّلوا في الدّنيا من الغنيمة والثناء والدرجات: ما لهم في الآخرة وقيل: القاعدون الأول: الأضرّاء والثاني: المأذون لهم في القعود اكتفاء بغيرهم وقيل: المجاهدون الأول: من جاهد الكفّار، والآخر: من جاهد نفسه كما سمّاه (ص): (الجهاد الأكبر)﴿ وَكان اللَّهُ غَفُوراً﴾ لعباده ﴿ رَحِيماً﴾ بهم ﴿ إن الَّذينَ تَوَفَّاهُمُ﴾ يحتمل الماضي والمضارع أي: قبضت أو تقبض أرواحهم ﴿ الْمَلائِكَةُ ظالِمِي أنفسهِمْ﴾ في حال ظلمهم أنفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة قيل: هم ناس من أهل مكة أسلموا ولم يهاجروا ﴿ قالُوا﴾ أي: الملائكة توبيخاً لهم ﴿ فِيمَ﴾ في أي: شيء﴿ كُنْتُمْ﴾ من أمر دينكم﴿ قالُوا﴾ إعتذاراً﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ﴾ إعتذاراً عمّا وبّخوا به بضعفهم عن إظهار الدّين وإعلاء كلمته لقلة العدد وكثرة العدو﴿ قالُوا﴾ أي: الملائكة رداً لاعتذارهم ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيها﴾ إلى بلد آخر كمن هاجر إلى المدينة والحبشة ﴿ فَأُولَئِكَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ﴾ خبر (إن) و(الفاء) لتضمن الاسم معنى الشرط و(قالوا فيم كنتم) حال من الملائكة بتقدير (قد) أو الخبر (قالوا) بتقدير عائد أي: قالوا لهم﴿ وساءَتْ مَصِيراً﴾ هي، ودلت على وجوب الهجرة عن بلد لا يتمكن فيه من إقامة الدين، وفي المجمع عن الباقر (ع): هم قيس ابن الفاكهة والحارث بن ربيعة وقيس بن الوليد وأبوالعاص وعلي بن أميره، والقمي: نزلت فيمن اعتزل أمير المؤمنين (ع) ولم يقاتلوا معه، فقالت الملائكة لهم عند الموت: فيم كنتم قالوا: كنا

مستضعفين في الأرض، أو لم نعلم مع من الحق فقال الله (عزّ وجل): (أ لم تكن أرض الله... إلخ) أي: دين الله وكتاب الله واسع فتنظروا فيه أقول: هذا تأويل والسابق يفسره فلا منافاة﴿ إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ والنِّساءِ والْوِلْدانِ﴾ استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره﴿ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ صفة (المستضعفين) إذا لم يعيّنوا، أو حال عنهم أي: لا يجدون أسباب الهجرة لعجزهم ﴿ ولا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً ﴾ أي لا يعرفون طريقاً إلى دار الهجرة، وعن الباقر (ع): هوالذي لا يستطيع حيلة ليدفع بها عنه الكفر ولا يهتدي سبيلاً إلى الإيمان فيؤمن، والصبيان ومن كان من الرجال والنساء على مثل عقول الصبيان مرفوع عنهم القلم، وعنه (ع) إنه سئل من هم؟ قال: نساؤكم وأولادكم ثم قال: أرأيت أم أيمن؟ قال: فإني أشهد إنها من أهل الجنة وما كأنت تعرف ما أنتم عليه، وعن الصادق (ع): (لا يستطيعون حيلة) إلى النّصب فينصبون (ولا يهتدون سبيلاً) إلى الحق فيدخلون الجنة فيه) وسئل الباقر (ع) عن المستضعفين فقال: البلهاء[1] في خدرها، والخادم يقول لها صلي فتصلي، لا تدري الا ما قلت لها، والجليب الذي لا يدري إلا ما قلت له والكبير الفإني والصغير، أقول الجليب: الذي يجلب من بلد إلى آخر يقال له في عرفنا (الجلب) ﴿ فَأُولئِكَ عَسَى اللَّهُ إن يَعْفُوعَنْهُمْ﴾ ذكر العفووكلمة الإطعام[2] إشعاراً بخطر ترك الجهاد حتى أن المضطر من حقه أن لا يقطع بالعفو فكيف غيره؟ ﴿ وكان اللَّهُ عَفُوًّا غَفُوراً﴾ إذا صفح عن ذنوب عباده ساتراً عليهم عيوبهم﴿ ومَنْ يُهاجِرْ﴾ يفارق أهل الشرك ويهرب بدينه عن وطنه إلى أرض

---

(١) البلهاء: التي ضعف عقلها وغلبت عليها الغفلة.

(٢) لابد إنها تصحيف كلمة (الإطماع)الذي تفيده لفظة (عسى).

الإسلام ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في منهاج دينه ﴿ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً﴾ متحولاً من الرغام أي: التراب، أو طريقاً يراغم بسلوكه قومه أي: يهاجرهم على رغم إنوفهم من الرّغام أيضاً﴿ وسَعَةً﴾ في الرزق ﴿ ومَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْته مُهاجراً إلى اللَّهِ ورَسُوله ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ﴾ وجب ثوابه ﴿ عَلَى اللَّهِ وكان اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ عن الثمالي: لما نزلت آية الهجرة سمعها رجل من المسلمين وهوجندع أو جندب بن حمزة وكان بمكة فقال: والله ما أنا ممن استثنى الله إني لأجد قوة وإني لعالم بالطريق وكان مريضاً شديد المرض فقال لبنيه والله لا أبيت بمكة حتى أخرج منها فإني أخاف أن أموت فيها فخرجوا يحملونه على سرير حتى إذا بلغ التنعيم مات فنزلت الآية، وعن النبي (ص): من فرّ بدينه من أرضٍ إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض إستوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد (ص)، وروي إن زرارة وجّه ابنه عبيداً إلى المدينة يستخبر له خبر الكاظم (ع) وعبد الله فمات قبل إن يرجع اليه فذكر ذلك للكاظم (ع) فقال إني لأرجو أن يكون زرارة ممن قال الله: (ومن يخرج) الآية ﴿ وإذا ضَرَبْتُمْ﴾ سافرتم﴿ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ إن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ﴾ الرباعية ركعتين وهوصفة محذوف أي: (شيئاً) من الصلاة، أو مفعول تقصروا بزيادة من فالسفر شرط للقصر، وظاهر نفي الجناح وإن كان الرخصة ـ كما عن الشافعي ـ ولكنه عزيمة بإجماعنا ونصوصنا ـ كما عن أبي حنيفة[1] ـ ونفي الجناح لأنّهم ألفوا التمام، وكان مظنة لأنّ يخطر بالهم إن عليهم نقصاناً في التقصير فرفع عنهم الجناح لتطيب نفوسهم بالقصر ويطمئنوا اليه، وأقل سفر يقصر فيه عند أبي حنيفة ستة برد وعند الشافعي اربعة

---

(١) استند المؤلف(ره)إلى الفقيه الاسلامي المعروف(ابي حنيفة) في تحقق الإجماع عند الشيعة ولعل في العبارة سقط لم نتحققه.

وعندنا بريدان أو بريد ذاهباً وبريد جائياً ﴿إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾ يتعرضوا لكم بمكروه شرط باعتبار الغالب في ذلك الوقت فلا مفهوم له، ولثبوت القصر في الأمن إجماعاً ونصاً، نعم الخوف موجب له أيضاً فالشرط أحد الأمرين ﴿إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً﴾ ظاهري العداوة.

[سورة النساء الآيات ١٠٢ - ١٠٥]

وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ

يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾

﴿ وإذا كُنتَ فِيهِمْ ﴾ في الضاربين في الأرض الخائفين، وتشبث بمفهومه من خص ذلك بالنبي (ص) وردّ بثبوت العموم بالإجماع والتأسي﴿ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ﴾ بأن تؤمّهم ﴿ فَلْتَقُمْ طائِفَةٌ مِنهُمْ مَعَكَ﴾ يصلون وتكون الطائفة الاخرى تجاه العدو﴿ وليَأخُذُوا﴾ أي: المصلون﴿ أسلحَتَهُمْ﴾ مما لا يشغل عن الصلاة كالسيف ونحوه ﴿ فَإذا سَجَدُوا﴾ صلّوا ﴿ فَلْيَكُونُوا﴾ أي: غير المصلين﴿ مِنْ وَرائِكُمْ﴾ يحرسونكم حتى تؤدوا الصلاة كلها جماعة كصلاة بطن النخل، أو تجمعوا في ركعة وينفردوا ويتموا الركعة الأخرى وأنت قائم منتظر كصلاة ذات الرقاع، أو الضمير في (فليكونوا) للمصلين أي: فليصبروا بعد فراغهم من الصلاة من ورائكم مكان غير المصلين﴿ ولْتَأْتِ طائِفَةٌ أُخْرى لَمْ يُصَلُّوا﴾ لاشتغالهم بحرأسة المصلين﴿ فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ﴾ بصلاة مستإنفة هي لك نافلة ولهم فريضة، أو بتتمة صلاتك بالأولى ـ على ما مرّ من الاحتمالين ـ ﴿ ولْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وأسلِحَتَهُمْ﴾ جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازي فجمع بينه وبين الأسلحة في وجوب الأخذ ﴿ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوتَغْفُلُونَ عَنْ أسلِحَتِكُمْ وأمْتِعَتِكُمْ﴾ أي: تمنّوا أن يجدوا منكم غرّة في الصّلاة ﴿ فَيَمِيلُونَ﴾ فيحملون﴿ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً﴾ جملة ﴿ واحِدَةً﴾ وهوعلة الأمر بأخذ السلاح ﴿ ولا جُناحَ﴾ ولا حرج ﴿ عَلَيْكُمْ إن كان

بكُمْ أذىً منْ مَطَرٍ أو كُنْتمْ مَرْضى أن تَضَعُوا أسْلِحَتَكُمْ﴾ فلا تأخذوها، وهذا يفيد أن الأمر بأخذها للوجوب لا الندب﴿ وخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ واحترزوا إذ ذاك من عدوّكم﴿ إن اللّهَ أعَدَّ للْكافرِينَ عَذاباً مُهيناً﴾ وعدٌ للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الأمر بالحزم لتقوى قلوبهم، وليعلموا أن الأمر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لأنّ الواجب إن يحافظوا في الأمور على مراسم التيقظ والتدبر ويتوكلوا على الله﴿ فَإذا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ﴾ فرغتم منها﴿ فَاذْكُرُوا اللّهَ﴾ بالتسبيح ونحوه﴿ قِياماً وقُعُوداً وعَلى جُنُوبِكُمْ﴾ مضطجعين أي: في كل حال أو إذا أردتم فعل الصلاة حال الخوف فصلّوا كيفما أمكن قياماً مقارعين وقعوداً مرامين وعلى جنوبكم منحنين، والقمي: الصحيح يصلي قائماً والعليل يصلي قاعداً فمن لم يقدر فمضطجعاً يومئ أيماءاً﴿ فَإذَا اطْمَأنَنْتُمْ﴾ بالأمن﴿ فَأقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ فأدّوها بحدودها وشرائطها أو أتموها ولا تقصروا﴿ إن الصَّلاةَ كَانَت عَلَى الْمُؤْمنينَ كتاباً﴾ فرضاً﴿ مَوْقُوتاً﴾ محدوداً بأوقات لا يجوز إخراجها عنها، وفيه إشعار بأن المراد بالذكر الصّلاة، وعن الصادق (ع): كتاباً ثابتاً وليس إن عجلت قليلاً أو أخرت قليلاً بالذي يضرك ما لم تضيع تلك الإضاعة، وعن الباقر (ع): كتاباً موقوتاً أي: مفروضاً، وفي آخر كتاباً موقوتاً قال: موجباً إنما يعني بذلك وجوبها على المؤمنين ﴿ ولا تَهِنُوا﴾ ولا تضعفوا ﴿ فِي ابْتغاءِ الْقَوْمِ﴾ في طلب الكفار بالقتال﴿ إن تَكُونُوا تَألَمُونَ فَإنهُمْ يَألَمُونَ كَما تَألَمُونَ﴾ أي: ليس ما تجدون من ألم القتال مختصاً بكم إنما مشترك بينكم وبينهم، وهم يصبرون عليه ﴿ وتَرْجُونَ﴾ أنتم ﴿ مِنَ اللّهِ﴾ من النصر والثواب عليه ﴿ ما لا يَرْجُونَ﴾ هم، من إظهار الدين واستحقاق الثواب، فأنتم أولى بالصبر والرغبة، قيل: نزلت في بدر الصغرى﴿ وكان اللّهُ عَلِيماً﴾ بخلقه ﴿ حَكِيماً﴾ في تدبيره، القمي:

لما رجع النبي (ص) من وقعة أُحد ودخل المدينة نزل عليه جبرئيل فقال: إن الله يأمرك أن تخرج في أثر القوم ولا يخرج معك إلاّ مَن به جراحة، فأمر (ص) منادياً ينادي: يا معاشر المهاجرين والأنصار مَن كانت به جراحة فليخرج، ومَن لم يكن به جراحة فليقم، فاقبلوا يضمدون جراحاتهم ويداوونها، فأنزل الله (عزّ وجل) (ولا تَهِنُوا) وقال(إن يمسسكم قرح) فخرجوا على ما بهم من الألم والجراح ﴿ إنا أنزلنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بما أَراكَ اللَّهُ﴾ بما عرّفك وأوحى به إليك، عن الصادق (ع): والله ما فوّض الله إلى أحد من خلقه إلاّ إلى رسول الله (ص) والأئمة (ع) قال الله(إنا أنزلنا...). وقال (ع) لأبي حنيفة: تزعم إنك صاحب رأي: وكان الرأيُ من رسول الله (ص) صواباً ومن دونه خطأ لأنّ الله قال (فاحكم بينهم...)﴿ ولا تَكُنْ لِلْخائِنِينَ﴾ لأجلهم ﴿ خَصِيماً﴾ للبراءة.

[سورة النساء الآيات ١٠٦- ١١٣]

وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ

نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

﴿ واسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ مما هممت به ﴿ إن اللَّهَ كان غَفُوراً﴾ للمستغفرين ﴿ رَحِيماً﴾ بهم، القمي: ما حاصله: إن بني أبيرق سرقوا مال عم قتادة ورموا به بريئاً، فلمّا زبرهم[1] شكوا إلى رسول اللّه (ص): إن قتادة رمانا بالسرقة، فعاتبه عتاباً، فاغتم قتادة، فنزلت الآيات﴿ ولا تُجادلْ عَنِ الَّذينَ يَخْتانونَ أنفسهُمْ﴾ يخونونها بالمعصية، إذ وبال خيأنتهم عليها ﴿ إن اللّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كان خوّاناً أثيماً﴾ كثير الخيانة والإثم مصراً عليهما﴿ يَسْتَخْفُونَ﴾ يستترون ﴿ مِنَ النّاسِ﴾ حياءً وخوفاً ﴿ ولا يَسْتَخْفُونَ﴾ ولا يستحيون﴿ مِنَ اللّهِ وهُو مَعَهُمْ﴾ عالم بهم (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو

---

(١) إنتهرهم وزجرهم.

رابعهم)[١] الآية ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾ يدبرون ﴿ما لا يَرْضى مِنَ الْقَوْلِ﴾ من الحلف الكاذب وشهادة الزور ورمي البريء، والقمي يعني: الفعل ﴿وكان اللَّهُ بما يَعْمَلُونَ مُحيطا﴾ عليماً ﴿ها أنتم﴾ مبتدأ ﴿هؤلاءِ﴾ خبره ﴿جادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاة الدُّنْيا﴾ جملة تبين كون (أو لاء) خبراً، أو صلته - إن جعل موصولاً - ﴿فَمَنْ يُجادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقيامَة أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكيلاً﴾ حافظاً من عذاب الله ﴿ومَنْ يَعْمَلْ سُوءاً﴾ قبيحاً يسوء به غيره ﴿أو يَظْلِمْ نَفْسَه﴾ بما يختص به ولايتعداه ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً﴾ لذنوبه ﴿رَحيماً﴾ متفضلاً عليه، وعن علي (ع): من أعطي الإستغفار لم يحرم المغفرة، ثم تلا الآية ﴿ومَنْ يَكْسِبْ خَطيئَةً﴾ ذنباً على غير عمد ﴿أو إِثْماً﴾ ذنباً تعمّده ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً﴾ كرمي أبي طعمة اليهودي ﴿فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتاناً وإِثْماً مُبيناً﴾ بسبب رمي البريء وتنزيه النفس الخاطئة ﴿ولَولا فَضْلُ اللَّه عَلَيْكَ ورَحْمَتُهُ﴾ بإعلام ما هم عليه بالوحي ﴿لَهَمَّتْ طائفَةٌ مِنْهُمْ إن يُضِلُّوكَ﴾ عن الحكم بالحق مع علمهم بالحال، ولم يرد نفي همهم بل نفي تأثيرهم فيه ﴿وما يُضِلُّونَ إلاّ أنفسهُمْ﴾ يعود وبالهم عليهم ﴿وما يَضُرُّونَكَ﴾ لأنّ الله عاصمك ومسدّدك ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ في محل المصدر أي: شيئاً من الضرر ﴿وأنزل اللَّهُ عَلَيْكَ الْكتابَ والْحكْمَةَ﴾ القرآن والأحكام ﴿وعَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ من الشرائع وخفيّات الأمور ﴿وكان فَضْلُ اللَّه عَلَيْكَ عَظيما﴾ إذ ختم بك النبوة.

---

(١) سورة المجادلة الآية ٧.

[سورة النساء الآيات ١١٤- ١٢١]

لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ
إِصْلَٰحِۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ
فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ
لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ
وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن
يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا
﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ مَّفْرُوضًا نَصِيبًا ﴿١١٨﴾
وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ
وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن
دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْۖ وَمَا

يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾

﴿لا خَيْرَ في كَثِيرٍ مِنْ نَجْواهُمْ﴾ من تناجيهم ﴿ إلاّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ الا نجوى من أمر، أو منقطع أي: ولكن من أمر ففي نجواه الخير﴿ أو مَعْرُوفٍ ﴾ عمل بر أو قرض أو إغاثة ملهوف﴿ أو إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ تأليف بينهم بالمودّة، وعن الصادق (ع): يعني بالمعروف القرض، وعن علي (ع): إن اللّه فرض عليكم زكاة جاهكم كما فرض عليكم زكاة ما ملكت أيديكم، وعن النبي (ص): ثلاث يحسن فيهن الكذب: المكيدة في الحرب، وعدتك زوجتك، والإصلاح بين الناس﴿ ومَنْ يَفْعَلْ ذلكَ﴾ أي: الأمور الثلاثة أو يأمر بها﴿ ابْتغاءَ﴾ طلب﴿ مَرْضات اللّه﴾ لا لغرض دنيوي﴿ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾ وقرأ حمزة وأبوعمروبالياء﴿ أجْراً عَظِيماً﴾ يحتقر في جنبه ما فات من أعراض الدنيا ﴿ ومَنْ يُشاققِ الرَّسُولَ﴾ يخالفه، من الشق إذ مخالفه في شق غير شقه﴿ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى﴾ ظهر له الحق بالدلائل ﴿ ويَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذي هم عليه من الدين الحنيفي﴿ نُوَلِّهِ ما تَوَلَّى﴾ نجعله والياً لما تولى من الضلال ويخلّى بينه وبينه﴿ ونُصْلِهِ جَهَنَّمَ﴾ ندخله فيها ﴿ وساءَتْ مَصِيراً﴾ هي واحتج بها على حجية الإجماع وبعد تسليمه فإنما هو لعدم خلوّهم عن المعصوم﴿ إن اللّهَ لا يَغْفِرُ أن يُشْرَكَ به ويَغْفِرُ ما دُونَ ذلكَ لِمَنْ يَشاءُ﴾ تكريره للتأكيد، أو لقصة بشر﴿ومَنْ يُشْرِكْ باللّه فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً ﴾ عن الحق، إذ الشرك أبعد أنواع الضلال عنه ﴿إن يَدْعُونَ﴾ ما يعبدون﴿ مِنْ دُونِه﴾ من دون اللّه﴿ إلاّ إناثاً﴾ أصناماً مؤنثة كاللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، أو كان لكل

حيٍ صنم يعبدونه ويسمونه: إنثى بني فلأنّ، أو إلا جمادات لأنّ الجمادات تؤنث، أو الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله، أو إشارة إلى إنهم يعبدون ما يحق له الأنوثية من حيث إنه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود العكس﴿ وإن يَدْعُونَ﴾ وما يعبدون بعبادتهم ﴿ إلاّ شَيْطاناً﴾ لطاعتهم له فيها ﴿ مَرِيداً﴾ عاتياً خارجاً عن الطاعة﴿ لَعَنَهُ اللّهُ﴾ صفة ثانية أي: أبعده عن الخير﴿ وقالَ﴾ عطف عليه أي: شيطاناً مريداً جامعاً بين لعنه وقوله: ﴿ لأتّخذَنّ مِنْ عِبادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾ قدر لي وفرض، قاله عداوة وبغضاً من قولهم: فرض له في العطاء، فكل من أطاعه فهومن نصيبه، وعن النبي (ص): من بني آدم تسعة وتسعون في النار وواحد في الجنة، وفي آخر: من كل ألف واحد لله وسائرهم للنار ولإبليس﴿ ولأُضِلّنّهُمْ﴾ عن الحق﴿ ولأُمَنّيَنّهُمْ﴾ الأماني الباطلة كطول العمر وإن لا بعث ولا عقاب﴿ ولآمُرَنّهُمْ فَلَيُبَتّكُنّ آذانَ الأنعام﴾ قيل: كانوا يشقون آذانها إذا ولدت خمسة أبطن والخامس ذكر وحرّموا على أنفسهم الأنتفاع بها، وعن الصادق (ع): ليقطعن الأذن من أصلها ﴿ ولآمُرَنّهُمْ فَلَيُغَيّرُنّ خَلْقَ اللّهِ﴾ عنه (ع): يريد دين الله وأوامره ويؤيده: (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله)[1] ويندرج فيه كل تغيير لخلق الله من دون إذن الله كفقئهم عين الفحل الذي طال مكثه عندهم وإعفائه عن الركوب وخصاء العبد والوشم[2] ونحوها﴿ ومَنْ يَتّخِذ الشيطان وَلِيّا مِنْ دُونِ اللّهِ﴾ بإيثار طاعته على طاعة الله ﴿ فَقَدْ خَسِرَ خُسْراناً مُبِيناً﴾ إذ استبدل الحق بالباطل والجنة بالنار﴿ يَعِدُهُمْ﴾ الشيطان الأكاذيبَ ﴿ ويُمَنّيهِمْ﴾ الأباطيل﴿ وما يَعِدُهُمُ الشيطان إلاّ غُرُوراً﴾

---

(١) سورة الروم الآية ٣٠.

(٢) الوشم: ما يكون من غرز الإبرة في البدن وذرّ النيلج عليه حتى يزرقّ أثره أو يخضرّ.

وهوايهام النفع فيما فيه ضرر، وروي: إن اللعين قال: أعدهم وأمنيهم حتى يواقعوا الخطيئة، فإذا واقعوا الخطيئة أنسيتهم الإستغفار ﴿ أولئكَ مَأو اهُمْ جَهَنّمُ ولا يَجِدُونَ عَنْها مَحِيصاً ﴾ معدلاً، من حاص أي: عدل و(عنها) حال عنه لا صلة له.

[سورة النساء الآيات ١٢٢ - ١٢٧]

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا

كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾

﴿ والَّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحات سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الأَنهارُ خالدينَ فيها أَبَداً وَعْدَ اللَّه﴾ مصدر مؤكد، لأنّ مضمون الجملة قبله وعد﴿حَقًّا﴾ أي: حق ذلك حقاً مصدر مؤكِد لغيره﴿ ومَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿ أَصْدَقُ منَ اللَّه قيلاً﴾ قولاً، تمييز والجملة مؤكدة، والآية تضمنت معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعد اللّه الصادق لأوليائه، وبولغ في التأكيد ترغيباً لنيله﴿ لَيْسَ ﴾ ما وعد اللّه من الثواب ينال ﴿ بِأَمانيِّكُمْ﴾ أيها المسلمون﴿ ولا أمانيِّ أهل الكِتاب﴾ بل بالعمل الصالح، أو ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلوب وصدقه العمل، القمي: ليس ما تتمنون أنتم ولا أهل الكتاب أي: لا تعذبوا بأفعالكم ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِه﴾ عاجلاً أو آجلاً، قال إسماعيل للصادق (ع): يا أبتاه ما تقول في المذنب منّا ومن غيرنا؟ فقال (ع): ليس بأمانيكم..إلخ، وعن الباقر (ع): لما نزلت هذه الآية من يعمل سوء يجز به قال بعض أصحاب رسول اللّه (ص): ما أشدّها من آية ! فقال لهم (ص): أما تبتلون في أنفسكم وأموالكم وذراريكم؟ قالوا: بلى قال: هذا مما يكتب اللّه به الحسنات ويمحو به السيئات، وقيل: تفاخر المسلمون وأهل الكتاب، فقال أهل الكتاب: نبينا وكتابنا قبل نبيكم وكتابكم ونحن أولى باللّه منكم، وقال المسلمون: نحن أولى منكم نبيّنا خاتم النبيين وكتابنا يقضي

على الكتب المتقدمة، فنزلت، وقيل: الخطاب للمشركين أي: (ليس الأمر بأمانيكم) إن لا جنة ولا نار ولا أماني أهل الكتاب إنه لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى﴿ ولا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ إذا جاوز موالاته ونصرته﴿ وَلِيّاً﴾ يحميه ﴿ ولا نَصِيراً﴾ ينجيه من العذاب﴿ ومَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالحاتِ﴾ بعضها ﴿ مِنْ ذَكَرٍ أو أنثى وهُو مُؤْمِنٌ فَأولئكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ﴾ وبناه ابن كثير وأبوعمروللمفعول ﴿ ولا يُظْلَمُونَ نَقِيراً﴾ بنقص شيء من أجورهم، ويعلم منه إنه لا يزاد في عقاب المجرم ولذلك اكتفى بذكره عقيب الثواب﴿ ومَنْ﴾ أي: لا أحد﴿ أَحْسَنُ ديناً ممَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ استسلم نفسه، أو أخلص قلبه﴿ للَّهِ وهُومُحْسِنٌ﴾ قولاً أو عملاً أو موحّداً ﴿ واتَّبَعَ مِلَّةَ إبراهيم﴾ الموافقة لملة الإسلام﴿ حَنيفاً﴾ مائلاً عن الأديان حال من المتبع أو الملة أو إبراهيم ﴿ واتَّخَذَ اللَّهُ إبراهيم خَليلاً﴾ مجاز عن إصطفائه وإختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله، والخلة من (الخلال) وهوالودّ، أو من (الخلل) إذا كل من الخليلين يسد خلل الآخر، أو من (الخلة) بمعنى الخصلة لتوافقهما في الخلال، والجملة إعتراضية تفيد الترغيب في اتباع ملّته، وروي اشتقاقه من الخلة أي: الفقر والفاقة إلى الله، وعن الصادق (ع): إنما اتخذ الله إبراهيم خليلاً لأنّه لم يردّ أحداً ولم يسأل أحداً قط غير الله، وفي آخر: لكثرة سجوده على الأرض، وفي آخر لكثرة صلاته على محمد وأهل بيته، وعن النبي (ص): لإطعامه الطعام وصلاته بالليل والناس نيام، وروي: لأنّه لم يَسأل أحداً شيئاً قط ولم يُسأل شيئاً قط فقال: لا ﴿ ولِلَّهِ ما في السَّماوات وما في الأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً ﴿ وكان اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحيطاً﴾ علماً وقدرة﴿ ويَسْتَفْتُونَكَ﴾ يطلبون منك الفتوى ﴿ في النِّساءِ﴾ في ميراثهن، عن الباقر (ع) سئل النبي (ص) عن النساء ما لهن من

الميراث؟ فأنزل الله الربع والثمن﴿ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ﴾ يبين لكم حكمه﴿ فِيهِنَّ وما يُتْلى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتابِ﴾ عطف على اسم الله أي: الله يفتيكم وما في القرآن من آية المواريث يفتيكم كقولك: نفعني زيد وعلمه، أو (ما يتلى عليكم) مبتدأ خبره (في الكتاب) ويراد به اللوح المحفوظ، والجملة معترضة لتعظيم المتلوعليهم ﴿ فِي يَتامَى النِّساءِ﴾ صلة يتلى إن عطف ما يتلى على ما قبله وإلا فبدل من فيهن والاضافة بمعنى (من)﴿ اللاَّتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ﴾ لا تعطونهن﴿ ما كُتِبَ لَهُنَّ﴾ من الميراث، عن الباقر (ع): كان أهل الجاهلية لا يورثون الصغير ولا المرأة وكانوا يقولون: لا نورث الا من قاتل ودفع عن الحريم فأنزل الله آيات الفرائض ﴿ وتَرْغَبُونَ أن تَنْكِحُوهُنَّ﴾ عن أو في نكاحهن القمي: إن الرجل كان في حجره اليتيمة، فتكون ذميمة وساقطة يعني حمقاء، فيرغب الرجل أن يتزوجها ولا يعطيها مالها، فينكحها غيره من أجل مالها، ويمنعها النكاح ويتربص بها الموت ليرثها فنهى الله عن ذلك، و(الواو) للعطف أو الحال﴿ والْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ ويفتيكم في المستضعفين من الولدان: الصبيان، وكانوا لا يورثونهم كالنساء﴿ وأن تَقُومُوا لِلْيَتامى بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل في حقوقهم، عطف عليه أيضاً، أو منصوب بتقدير(فعل) أي: ويأمركم أن تقوموا﴿ وما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ في أمر هؤلاء﴿ فَإِنَّ اللَّهَ كان بِهِ عَلِيماً﴾ فلا يضيعه.

[سورة النساء الآيات ١٢٨- ١٣٤]

وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ

وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾

﴿ وإن امْرَأَةٌ خافَتْ مِنْ بَعْلِها﴾ توقعت منه لما ظهر لها من المخايل، و(امرأة) فاعل فعل يفسره الظاهر ﴿نُشُوزاً﴾ تجافياً عنها وترفعاً عن صحبتها وكراهةً لها ومنعاً لحقوقها﴿ أو إِعْراضاً﴾ بأن يقل مجالستها ومحادثتها ﴿ فَلا جُناحَ عَلَيْهِما أن

يُصْلِحا﴾ يتصالحا﴿بَيْنَهُما صُلْحا﴾ بأن تهب له بعض القسم أو المهر أو غيره تستعطفه، به وقرأ الكوفيون (أن يصلحا) من أصلح بين الخصمين وحينئذٍ جاز كون (صلحاً) مفعول به و(بينهما) ظرف أو حال منه وكونه مصدراً كالقراءة الأولى، وعن الرضا(ع): في الآية النشوز الرجل يهمّ بطلاق امرأته فتقول له: أدع ما على ظهرك، أو أعطيك كذا وكذا أو أحلك من يومي وليلتي على ما اصطلحا عليه فهو جائز، ونحوه غيره ﴿ والصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ من الفرقة، أو النشوز، أو الاعراض، أو من الخصوم، أو خير من الخيور كما أن الخصومة شر من الشرور﴿ وأُحْضِرَتِ الأَنْفس الشُّح﴾ لكونها مطبوعة عليه، وجعل حاضراً لها لا ينفك عنها فلا تكاد المرأة تسمح بنصيبها من زوجها ولا الرجل يسمح بإمساكها على ما ينبغي إذا كرهها﴿ وإن تُحْسِنُوا﴾ العشرة ﴿ وتَتَّقُوا﴾ النشوز والاعراض﴿ فَإن اللَّهَ كان بما تَعْمَلُونَ﴾ من الإحسان والخصومة ﴿ خَبيراً ﴾ فيجازيكم عليه﴿ ولَنْ تَسْتَطيعُوا أن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّساء﴾ في المحبة والمودّة القلبية، وعن النبي (ص): كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول: هذه قسمي فيما أملك فلا تأخذني فيما تملك ولا أملك، وعنهما (ع): إن معناه التسوية في كل الأمور من جميع الوجوه﴿ ولَو حَرَصْتُمْ﴾ على ذلك فلا تكلفون منه الا ما تستطيعون﴿ فَلا تَميلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾ بترك المستطاع والجور على المرغوب فإن ما لايدرك كله لايترك كله﴿ فَتَذَرُوها كَالْمُعَلَّقَة﴾ التي ليست بأيّم[1] ولا ذات بعل ﴿ وَإن تُصْلِحُوا﴾ بترك الميل﴿ وتَتَّقُوا﴾ الله فيه ﴿ فَإن اللَّهَ كان غَفُوراً رَحيماً﴾ يغفر لكم ما سلف من ميلكم، عن الصادق (ع): إن النبي (ص) كان يقسم بين

---

(١) الأيم هي: المرأة المقيمة بلا زوج و تجمع على (أيامى).

نسائه في مرضه فيطاف به بينهن، وروي: أن علياً (ع) كان له امرأتان فكان إذا كان يوم واحدة لا يتوضأ في بيت الأخرى﴿ وإن يَتفرّقا﴾ أي: الزوجان بالطلاق ﴿ يُغْنِ اللّهُ كُلاً ﴾ منهما عن الآخر ببذل أو غيره ﴿ مِنْ سَعَتِه﴾ غناه واقتداره ﴿ وكان اللّهُ واسِعاً﴾ غنياً مقتدراً ﴿ حَكِيماً﴾ في تدبيره، وشكا رجل إلى الصادق(ع) الحاجة، فأمره بالترويج فاشتدت به الحاجة فأمره بالمفارقة فاثرى وحسن حاله فقال له: أمرتك بأمرين أمر اللّه بهما قال الله: (وأنكحوا الأيامى منكم) إلى قوله (إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله)[1] وقال تعالى (وإن يتفرّقا يغن الله كلاً من سعته) ﴿ ولِلّهِ ما فِي السّماواتِ وما فِي الأَرْضِ﴾ تقرير لكمال سعته وقدرته فلا يتعذر عليه الإغناء بعد الفرقة والإيناس بعد الوحشة﴿ ولَقَدْ وَصَّيْنَا الّذِينَ أوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبلِكُمْ﴾ من اليهود والنصارى وغيرهم، (من قبلكم) متعلق بـ(وصّينا) أو بـ(أوتوا) ﴿ وإياكُمْ﴾ ووصيناكم ﴿ أن﴾ بأن أو أي﴿ اتّقُوا اللّهَ﴾ أطيعوه ولا تعصوه ﴿ وإن﴾ أي: وقلنا لهم ولكم إن﴿ تَكْفُرُوا فَإِن لِلّهِ ما فِي السّماواتِ وما فِي الأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً فلا يضرّه كفركم كما لا تنفعه تقواكم وإنما وصاكم رحمة بكم﴿ وكان اللّهُ غَنِيًّا﴾ عن خلقه وطاعتهم﴿ حَمِيداً﴾ مستحقاً للحمد في ذاته ـ حمد أو لم يحمد ـ ﴿ ولِلّهِ ما فِي السّماواتِ وما فِي الأَرْضِ﴾ ذكر ثالثاً تقريراً لغناه واستحقاقه الحمد لحاجة الخلق اليه وإنعامه عليهم بأصناف النعم ﴿ وَكَفى بِاللّهِ وَكِيلاً﴾ حافظاً ومدبراً لخلقه ﴿ إن يَشَأ يُذْهِبْكُمْ﴾ يفنيكم﴿ أيها النّاسُ ويَأْتِ بآخَرِينَ﴾ ويوجد قوماً آخرين بدلكم، أو خلقاً آخرين بدل الإنس﴿ وكان اللّهُ عَلى ذلِكَ﴾ على الإعدام والإيجاد ﴿ قَدِيراً﴾ بليغ القدرة لا يعجزه مراده، أو تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن

---

(١) سورة النور الآية ٣٢.

كفر وخالف أمره، وقيل: خطاب لمن عادى رسول الله (ص) من العرب، وروي: إنه لما نزلت هذه الآية[1] ضرب النبي (ص) يده على ظهر سلمان وقال هم قوم يعني عجم الفرس﴿ مَنْ كان يُرِيدُ﴾ بجهاده ﴿ ثَوابَ الدُّنيا فَعِنْدَ اللّهِ ثَوابُ الدُّنيا والآخرَةِ﴾ فليطلب الثوابين جميعاً من عند الله، وما له يكتفي بأخسهما ويدع أشرفهما ﴿ وكانَ اللّهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ عارفاً بالأغراض.

[سورة النساء الآيات ١٣٥- ١٤٠]

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ

---

(١) معنى الآية العام: هو إنه إذا لم تنصروا دين الله تعالى فإنه قادر على أن يهيئ له قوماً آخرين يقومون بأمره، ولم يعيّن طائفة معيّنة. على إنك تجد بعض الروايات تقول إنهم أهل اليمن وأخرى تقول إنهم أهل كذا. والحال إن الإسلام لايعترف بالقوميات ولا يفرق بين قومٍ وآخرين. ولعل هذا من أوضح تعاليم الشريعة الإسلامية.

ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا ﴿١٣٩﴾ وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

﴿يا أيهَا الَّذينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامينَ بِالْقسْطِ﴾ مواظبين على العدل مجتهدين في إقامته﴿ شُهَداءَ لِلَّهِ﴾ بالحق خبر ثان أو حال ﴿ ولَوْ﴾ كأنت الشهادة ﴿ عَلى أنفسكُمْ﴾ بأن تقروا عليها﴿ أو الْوالِديْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾ ولو على والديكم وأقاربكم ﴿ إن يَكُنْ﴾ المشهود عليه أو كل منه ومن المشهود له﴿ غَنيًّا أو فَقيراً﴾ فلا تمتنعوا من الشهادة عليهما أو لهما، ولا تجوروا فيها ميلاً أو ترحماً ﴿ فَاللَّهُ أولى بِهِما﴾ بالغني والفقير وبالنظر لهما فلولم تكن الشهادة عليهما أو لهما صلاحاً لما شرعها، وهو علة الجواب أقيمت مقامه، والضمير في (بهما) راجع إلى ما دل عليه المذكور وهو جنسا الغني والفقير لا اليه، وإلا لوحّد للترديد فيه بـ(أو) ويشهد عليه قراءة (فالله أولى بهم) ﴿ فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوى أن تَعْدلُوا﴾ لأنّ تعدلوا عن الحق من العدول،

أو كراهة أن تعدلوا من العدل﴿ وإن تَلْوُوا السنتكم﴾ عن شهادة الحق أي: تحرفوها، وقرأ ابن عامر وحمزة (وإن تلوا) أي: وليتم إقامة الشهادة ﴿ أو تُعْرِضُوا﴾ عن إقامتها، وعن الباقر (ع): إن تلووا أي: تبدلوا الشهادة أو تعرضوا أي: تكتموها، وعن الصادق(ع): إن تلوا الأمر أو تعرضوا عما أمرتم به ﴿ فَإن اللّهَ كان بما تَعْمَلُونَ خَبيراً﴾ فيجازيكم به﴿ يا أيهَا الَّذينَ آمَنُوا﴾ بألسنتهم وظاهرهم ﴿ آمَنُوا﴾ بقلوبكم وباطنكم﴿ باللّهِ ورَسُولِه والْكِتابِ الَّذي نَزَّلَ عَلى رَسُوله والْكِتابِ الَّذي أنزل مِنْ قَبْلُ﴾ الكتاب الأول: القرآن، والثاني: الجنس، وقرأ نافع والكسائي (الذي نزل) و(الذي أنزل) بفتح النون والهمزة والزاي، والباقون بضم النون والهمزة وكسر الزاي ﴿ومَنْ يَكْفُرْ باللّه ومَلائكَتِه وكُتُبه ورُسُلِه والْيَوْمِ الآخرِ﴾ أي: ومن يكفر بشيء من ذلك ﴿ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعيداً﴾ عن الحق ﴿ إن الَّذينَ آمَنُوا﴾ كاليهود آمنوا بموسى﴿ ثُمَّ كَفَرُوا﴾ حين عبدوا العجل﴿ ثُمَّ آمَنُوا﴾ حين رجع إليهم﴿ ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بعيسى﴿ ثُمَّ ازْدادُوا كُفْراً﴾ بمحمد (ص) القمي: نزلت في الذين آمنوا برسول اللّه (ص) إقراراً لا تصديقاً (ثم كفروا) لمّا كتبوا الكتاب إن لا يردوا الأمر في أهل بيته أبداً فلما نزلت الولاية وأخذ رسول اللّه (ص) الميثاق عليهم لأمير المؤمنين آمنوا إقراراً لا تصديقاً، فلما مضى (ص) كفروا وازدادوا كفراً، وروي ما يقرب منه مستفيضاً، وحينئذٍ فالمراد المنافقون تكرر منهم الارتداد سراً بعد إظهار الإيمان ثم أصروا على الكفر﴿ لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ إذ يستبعد منهم التوبة والثبات عليها لتمرنهم على الردة، لا إنهم لوآمنوا بإخلاص لم يغفر لهم﴿ ولا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً﴾ إلى الجنة، أو لا يلطف بهم ﴿ بَشِّرِ الْمُنافقينَ بأن لَهُمْ عَذاباً أَليماً﴾ فيه اشعار بأن الآية في المنافقين و(بشّر) تهكم بهم﴿ الَّذِينَ ﴾ نصب أو رفع على الذم﴿ يَتَّخِذُونَ

الْكافرِينَ أولِياءَ مِنْ دُون الْمُؤْمنِينَ أَيَبْتَغُونَ﴾ يطلبون﴿عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ﴾ القوة والمنعة بموالاتهم ﴿ فَإِن الْعِزَّةَ لِلَّه جَمِيعاً﴾ لا يعز الا أولياءه كما قال (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)[1] القمي: نزلت في بني أمية حيث حالفوهم على أن لا يردوا الأمر في بني هاشم﴿ وقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكتابِ﴾ أي: القرآن، وبناه عاصم للفاعل﴿إِن﴾ مخففة أي: إنه﴿ إِذا سَمِعْتُمْ آياتِ اللَّهِ﴾ القرآن﴿ يُكْفَرُ بها ويُسْتَهْزَأُ بها﴾ حالان من الآيات﴿ فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾ مع الكفار والمستهزئين﴿ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ والمنزل عليهم في الكتاب ما نزل بمكة في الأنعام (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا)[2] الآية. القمي: آيات الله هم الائمة(ع) وعن الرضا (ع): إذا سمعت الرجل يجحد الحق ويكذب به ويقع في أهله فقم من عنده ولا تقاعده ﴿ إِنكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ ﴾ في الإثم لقدرتكم على الأنكار عليهم، أو في الكفر لرضاكم بذلك، وكان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الأحبار هم المنافقين ﴿ إِن اللَّهَ جامِعُ الْمُنافِقِينَ والْكافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾ يعني القاعدين والمقعود معهم.

[سورة النساء الآيات ١٤١- ١٤٧]

ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن

---

(١) سورة المنافقون الآية ٨

(٢) سورةالأنعام الآية ٦٨.

يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ﴾ ينتظرون وقوع أمر ﴿بِكُمْ﴾ بدل من (الذين يتخذون)، أو صفة للمنافقين والكافرين، أو ذم مرفوع أو منصوب أو مبتدأ خبره: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ مظاهرين لكم فاسهمونا مما غنمتم ﴿وَإِن

كان لِلْكافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ من الظفر﴿ قالُوا﴾ لهم﴿أَ لَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾ أي: ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فأبقينا عليكم، والإستحواذ: الإستيلاء﴿ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بتخذيلهم عنكم، وإفشاء أسرارهم إليكم فاعطونا مما أصبتم ﴿ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ بالحجة أو يوم القيامة، وعن الرضا (ع): لن يجعل الله لكافر على مؤمن حجة ﴿ إِن الْمُنافِقِينَ يُخادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خادِعُهُمْ﴾ فسر في سورة البقرة﴿ وَإِذا قامُوا إِلَى الصَّلاةِ قامُوا كُسالى﴾ متثاقلين﴿ يُراؤُنَ النَّاسَ﴾ في صلاتهم ليحسبوهم مؤمنين، والمرآة: مفاعلة من الرؤية إذ المرائي يرى غيره عمله وهو يريه استحسانه، أو بمعنى التفعيل كنعم وناعم ﴿ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾ بالتسبيح ونحوه، أو لا يصلون﴿ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ إذ لا يفعلونه الا بحضرة من يراءونه وهو قليل، أو أريد الذكر في الصلاة إذ لا يذكرون فيها غير التكبير وما يجهر به، وعن علي (ع): من ذكر الله في السر فقد ذكر الله كثيراً إن المنافقين كانوا يذكرون الله علانية ولا يذكرونه في السر فقال الله: يراؤون... إلخ ﴿مُذَبْذَبِينَ﴾ حال عن واو (يراءون) مثل يذكرون أي: يراءونهم غير ذاكرين مذبذبين، أو ذم منصوب من الذبذبة وهي جعل الشيء مضطرباً وأصله بمعنى: الطرد أي: نبذهم الشيطان﴿ بَيْنَ ذلِكَ﴾ أي: الإيمان والكفر فهم مترددون بينهما﴿ لا إِلى هؤُلاءِ وَلا إِلى هؤُلاءِ﴾ لا منسوبين إلى المؤمنين ولا إلى الكافرين ﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ﴾ يمنعه اللطف بسوء إختياره﴿ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾ إلى الحق ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ كصنع المنافقين فتكونوا مثلهم﴿ أَ تُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطاناً مُبِيناً﴾ حجة بينة إذ موالاتهم دليل النفاق، أو سبيلاً إلى عذابكم﴿ إِن الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ

منَ النَّارِ﴾ وهو الطبقة التي في قعر جهنم لأنّهم أخبث الكفرة إذ ضمّوا إلى الكفر إستهزاءً بالإسلام وخداعاً للمسلمين، وللنار دركات وللجنة درجات، وسميت طبقاتها (دركات) لأنّها متتابعة بعضها فوق بعض﴿ ولَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصيراً﴾ يخرجهم منه، ﴿ إلاّ الّذينَ تابوا﴾ من النفاق ﴿ وأصْلَحُوا﴾ ما أفسدوا من أسرارهم وأحوالهم في حال النفاق ﴿ واعْتَصَمُوا باللّهِ﴾ وثقوا به وتمسكوا بدينه ﴿ وأخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلّهِ﴾ لا يريدون إلا وجهه ﴿ فَأولئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنينَ﴾ ومن عدادهم في الدارين ﴿ وسَوْفَ يُؤْتِ اللّهُ الْمُؤْمِنينَ أجْراً عَظيماً﴾ فيساهمونهم فيه﴿ ما يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذابِكُمْ إن شَكَرْتُمْ وآمَنْتُمْ﴾ أيشفي به غيضاً؟ أو يدفع به ضرراً؟ أو يستجلب به نفعاً؟ سبحانه هوالغني المتعال عن النفع والضر وإنما يعاقب المصرّ على كفره لأنّ إصراره عليه كسوء مزاج يؤدي إلى مرض فإذا زال بالإيمان والشكر يتخلص من العذاب، وإنما قدم الشكر لأنّ الناظر يدرك النعمة أولاً فيشكر شكراً مبهماً ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به﴿ وكان اللّهُ شاكِراً﴾ مثيباً يقبل القليل ويعطي الجزيل﴿ عَليماً﴾ بحق شكركم وإيمانكم.

[سورة النساء الآيات ١٤٨ - ١٥٤]

لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ

وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِي ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

﴿ لا يُحبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إلاّ مَنْ ظُلِمَ﴾ إلاّ جهر من ظلم بالدعاء على الظالم أو التظلم منه، وعن الباقر (ع): لا يحب الله الشتم في الأنتصار الا من ظلم فلا بأس له إن ينتصر ممن ظلمه بما يجوز الأنتصار به في الدّين، وعن الصادق (ع): إنه الضيف ينزل الرجل فلا يحسن ضيافته فلا جناح عليه إن يذكره بسوء فعله، وعنه (ع): الجهر بالسوء من القول إن يذكر الرجل بما فيه، وروي: إن جاء وقال فيك ما ليس فيك من الخير والثناء والعمل الصالح فلا تقبله وكذبه فقد ظلمك ﴿ وكان اللّهُ

سَميعاً﴾ للأقوال﴿ عَليماً﴾ بالأعمال﴿ إن تُبدُوا خَيْراً﴾ طاعة أو براً﴿ أو تُخفُوهُ﴾ تفعلوه سراً ﴿ أو تَعفُوا عَنْ سُوءٍ﴾ لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود ذكره وما قبله تمهيد له ولذا رتب عليه قوله: ﴿ فَإن اللّهَ كان عَفُوًّا قَديراً﴾ أي: يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الأنتقام، فأنتم لعدم كمال قدرتكم أولى بذلك، وهو حث للمظلوم على العفوبعد ما رخّص له في الأنتصار حملاً على مكارم الأخلاق، وفي تقديم العفوعلى القدير إشارة لطيفة إلى إن العافي من كمال عفوه إن لا يشعر بقدرته حين العفوليتم إحسانه بالنسبة إلى المعفو عنه ولا يصير كالمنّ بعد الصدقة ﴿إن الّذينَ يَكْفُرُونَ باللّه ورُسُله ويُريدُونَ أن يُفرّقُوا بَيْنَ اللّه ورُسُله﴾ بأن يؤمنوا باللّه ويكفروا برسله﴿ ويَقُولُونَ نُؤمنُ بِبَعْضٍ ونَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ كما فعله اليهود صدقوا بموسى ومن تقدمه وكذبوا بعيسى ومن بعده كما فعلت النصارى صدّقوا عيسى وكذّبوا محمداً (ص)﴿ ويُريدُونَ أن يَتَّخذُوا بَيْنَ ذلكَ سَبيلاً﴾ طريقاً وسطاً بين الإيمان والكفر ولا واسطة إذ الحق لا يختلف فإن الإيمان باللّه إنما يتم برسله ﴿ أولئكَ هُمُ الْكافرُونَ﴾ الكاملون في الكفر﴿ حَقًّا﴾ مصدر مؤكّد لغيره أي: حق ذلك حقاً، أو صفة مصدر الكافرين أي: هم الذين كفروا كفراً حقاً ثابتاً﴿ وأعْتَدنا للْكافرِينَ عَذاباً مُهيناً﴾ لهم القمي: هم الذين آمنوا برسول اللّه وإنكروا أمير المؤمنين﴿ والّذينَ آمَنُوا باللّهِ ورُسُله ولَمْ يُفَرّقُوا بَيْنَ أحَدٍ منْهُمْ﴾ آمنوا بجميعهم وجميع ما جاءوا به، وإنما دخل بين على (أحد) وهويقتضي متعدداً لعمومه من حيث إنه وقع في سياق النفي﴿ أولئكَ سَوْفَ نؤتيهم﴾ وقرأ حفص بالياء ﴿ أجُورَهُمْ﴾ المستحقة بإيمانهم، والتصدير بـ(سوف) للدلالة على إنه كائن لا محالة ﴿ وَكان اللّهُ غَفُوراً﴾ لزلاتهم﴿رَحيماً﴾ بهم بتفضله عليهم﴿ يَسْئَلُكَ أهل

الْكِتابِ أن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتاباً مِنَ السَّماءِ﴾ جملة كما أتى به موسى، أو كتاباً إلينا بأعياننا بأنك رسول اللّه (ص)، أو كتاباً مكتوباً من السماء كما كأنت التوراة على الألواح، روي إن كعب ابن الأشرف وجماعة من اليهود قالوا: يا محمد إن كنت نبياً فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة جملة، فنزلت ﴿ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسى أَكْبَرَ مِنْ ذلِكَ﴾ جواب شرط مقدر أي: إن استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى أكبر منه، وهذا السؤال ـ وإن كان من آبائهم ـ لكنه أسند إليهم لتبعيتهم لهم ورضاهم بفعالهم ﴿ فَقالُوا أَرِنَا اللّهَ جَهْرَةً﴾ عياناً﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ نار نزلت فأهلكتهم﴿ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّناتُ﴾ هذه الجناية الثالثة التي اقترفها أيضاً أوائلهم، والبينات: المعجزات على أن لا اله الا الله، لا التوراة إذ لم تأتهم بعد﴿ فَعَفَوْنا عَنْ ذلِكَ﴾ لسعة رحمتنا ﴿ وآتَيْنا مُوسى سُلْطاناً مُبِيناً﴾ حجّة بيّنة تبين صدقه﴿ وَرَفَعْنا فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾ الجبل﴿ بِمِيثاقِهِمْ﴾ بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه﴿ وَقُلْنا لَهُمُ﴾ وهو مُطِلّ عليهم﴿ ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً﴾ منحنين﴿ وقُلْنا لَهُمْ لا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾ بأخذ الحيتان، وفتح ورش (العين) وشدد الدال على إنه (تعتدوا) فأدغمت التاء في الدال ﴿ وأَخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً﴾ وثيقاً على ذلك فنقضوه.

[سورة النساء الآيات ١٥٥-١٦٢]

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا

قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

﴿فَبِما نَقْضِهِمْ﴾ (ما) زائدة و(الباء) للسببية تعلقت بمحذوف أي: فعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم ﴿ مِيثاقَهُمْ وكُفْرِهِمْ بِآياتِ اللَّهِ﴾ دلائله على صدق رسله ﴿ وقَتْلِهِمُ

الأنبياء بِغَيْرِ حَقٍّ وقَوْلِهِمْ قُلُوبُنا غُلْفٌ ﴾ في أكنة[1] لا نعي قولك﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْها﴾ خذلها ومنعها ألطافه﴿ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إلاَّ قَلِيلاً﴾ منهم كابن سلام وأصحابه، أو إيماناً ناقصاً﴿ وبِكُفْرِهِمْ﴾ بعيسى، عطف على (فبما نقضهم) أو على بكفرهم ﴿ وقَوْلِهِمْ عَلى مَرْيَمَ بُهْتاناً عَظِيماً ﴾ قال الصادق (ع): إن رضاء الناس لا يملك وألسنتهم لا تضبط، ألم ينسبوا مريم إبنة عمران إلى أنها حملت بعيسى من رجل نجّار إسمه يوسف﴿ وقَوْلِهِمْ إنا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ بزعمهم، أو قالوه استهزاءً، أو يكون إستئنافاً من الله بمدحه﴿ وما قَتَلُوهُ وما صَلَبُوهُ ولكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ مرت القصة في آل عمران﴿ وإن الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ في عيسى ﴿ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ فقال بعضهم: رُفِعَ إلى السماء، وقال بعض: قتلناه، وقال بعض: صلب الناسوت وصعد اللاهوت، وتردد آخرون فقال بعض: الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا، وقال بعضهم: إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا؟ وإن كان صاحبنا فأين عيسى؟﴿ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إلاَّ اتِّباعَ الظَّنِّ﴾ منقطع أي: لكنهم يتبعون الظن﴿ وما قَتَلُوهُ﴾ قتلاً ﴿يَقِيناً﴾ كما زعموا، أو متيقنين، أو هو تأكيد للنفي ﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وكان اللَّهُ عَزِيزاً﴾ لا يقهر﴿ حَكِيماً ﴾ فيما يدبر، عن السّجاد(ع): إن لله بقاعاً في سمأو اته فمن عرج به إلى بقعة منها فقد عرج به اليه ألا تسمع الله يقول في قصة عيسى: بل رفعه الله اليه، القمي: رفع وعليه مدرعة صوف من غزل مريم ومن نسج مريم وخياطة مريم فلما أنتهى إلى السماء نودي: يا عيسى ألقِ عنك زينة الدنيا﴿ وإن﴾ وما﴿ مِنْ أهل الْكِتابِ﴾ أحد ﴿إلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ بعيسى إنه عبد الله ورسوله ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ أي: الكتابي حين يعاين ولا ينفعه إيمانه،

---

(١) جمع (كِنان) وهو الغطاء.

ويعضده إنه قريء (إلا ليؤمننن به قبل موتهم) بضم النون لأنّ (أحداً) بمعنى: الجميع، أو قبل موت عيسى إذا نزل من السماء فلا يبقى أهل ملة يهودي ولا غيره إلا آمن به قبل موته ويصلي خلف المهدي ـ كما عن الباقر (ع) ـ وروي: أن رسول الله (ص) إذا رجع آمن به الناس كلهم، وروي: ليؤمنن بمحمد (ص) قبل موت الكتابي، وعن الباقر (ع): ليس من أحد من جميع الأديان يموت الا رأى رسول الله (ص) وأمير المؤمنين حقاً من الأولين والآخرين ﴿ وَيَوْمَ الْقِيامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ﴾ على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بأنهم دعوه: ابن الله، أو يكون الرسول والإمام شهيداً على كل أعمالهم واعتقاداتهم﴿ فَبِظُلْمٍ﴾ عظيم﴿ مِنَ الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ طَيِّباتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ في الآية التي ذكرت فيالأنعام (وعلى الذين هادوا حرّمنا...)[1] ﴿وبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً﴾ إناساً كثيراً، أو صداً كثيراً ﴿ وأَخْذِهِمُ الرِّبَوا وقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾ في التوراة، ويفيد إن النهي للتحريم ﴿ وأَكْلِهِمْ أَمْوالَ النَّاسِ بِالْباطِلِ﴾ بالرشا وسائر الوجوه المحرمة﴿ وأَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ مِنْهُمْ عَذاباً أَلِيماً لكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ الثابتون في علم التوراة﴿ مِنْهُمْ﴾ كابن سلام وأصحابه ﴿ والْمُؤْمِنُونَ﴾ من المهاجرين والأنصاروخبر المبتدأ﴿ يُؤْمِنُونَ بما أنزل إِلَيْكَ وما أنزل مِنْ قَبْلِكَ والْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ﴾ نصب على المدح، أو عطف على (ما أنزل إليك) ويراد بهم الأنبياء أو الائمة المعصومون﴿ والْمُؤْتُونَ الزَّكاةَ﴾ عطف على الراسخون أو مبتدأ والخبر:﴿ أولئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ﴾ وقرأ حمزة بالياء﴿ أَجْراً عَظِيماً﴾ على إيمانهم وعملهم.

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٤٦.

[سورة النساء الآيات ١٦٣- ١٧٠]

إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ
إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ
وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا
قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ
وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ
لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٦٥﴾
لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ
ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ
لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ
أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿١٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ

ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧٠﴾

﴿ إنا أوحَيْنا إِلَيْكَ كَما أوحَيْنا إلى نُوحٍ والنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ قيل: هو جواب لأهل الكتاب عن اقتراحهم أن ينزل عليهم كتاباً من السماء واحتجاج عليهم بأن أمره في الوحي كسائر الأنبياء الذين تقدموه﴿ وأوحَيْنا إلى إبراهيم وإِسْماعِيلَ وإِسْحاقَ ويَعْقُوبَ والأَسْباطِ﴾ أولاده﴿ وعِيسى وأيوبَ ويُونُسَ وهارُونَ وسُلَيْمانَ﴾ خصوا بالذكر ـ مع دخولهم في النبيين ـ تعظيماً﴿ وآتَيْنا داودَ زَبُوراً﴾ مصدر، أو بمعنى: (مزبور) وضمه حمزة﴿ ورُسُلاً﴾ نصب بمضمر في معنى: أو حينا كـ(ارسلنا)، أو بما فسره﴿ قَدْ قَصَصْناهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ قبل اليوم﴿ ورُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسى تَكْليماً﴾ بلا واسطة﴿ رُسُلاً﴾ نصب على المدح، أو بإضمار (أرسلنا)﴿ مُبَشِّرِينَ﴾ بالثواب للمطيع﴿ ومُنْذِرِينَ﴾ بالعقاب للعاصي﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ فيقولوا: (لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين)[1] و(اللام) متعلقة بـ(أرسلنا) مضمراً، واسم كان: (حجة) وخبرها: (للناس) و(على الله) حال، أو بالعكس﴿ وكان اللَّهُ عَزِيزاً﴾ لا يقهر﴿ حَكِيماً﴾ فيما يدبر﴿ لكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بما أنزل إِلَيْكَ ﴾ قيل: لما نزلت (إنا أو حينا إليك) قالوا: ما نشهد لك بهذا، فنزلت ﴿ أنزلَهُ ﴾ متلبساً﴿ بعلْمِه﴾ بأنه معجز، أو بأنك أهل لأنزاله إليك، والجملة كالبيان لما قبلها﴿ والْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ أيضاً برسالتك﴿ وكَفى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ بها، بما نصبه من الدلائل عليها ـ وإن لم يشهد

---

(١) سورة طه الآية ١٣٤.

غيره ـ وعن الصادق (ع): (إنما نزلت لكن الله يشهد بما أنزل إليك في علي (ع)) ﴿إِن الَّذِينَ كَفَرُوا وصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيداً﴾ محمداً (ص) بتكذيبه، أو أعم من ذلك أي: الذين جمعوا بين الكفر والظلم فالكفار مخاطبون بالفروع، وعن الباقر والصادق (ع) كفروا وظلموا آل محمد (ص) حقهم ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ ولا لِيَهْدِيَهُمْ﴾ يوم القيامة ﴿ طَرِيقاً إلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ الموصل إليها ﴿ خالِدِينَ فِيها أَبَداً﴾ حال مقدّر ﴿ وكان ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً﴾ هيناً ﴿ يا أَيهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ قيل: لما قرر أمر النبوة وبيّن الطريق الموصل إلى العلم بها و أوعد من أنكرها خاطب الناس عامة بالدعوة وإلزام الحجة والوعد بالإجابة والوعيد على الردّ ﴿ فَآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ﴾ أي: إيمانكم خير لكم، أو أتوا أمراً خيراً لكم مما أنتم عليه ﴿ وإن تَكْفُرُوا فَإِن لِلَّهِ ما فِي السَّماوات والأَرْضِ ﴾ ملكاً وخلقاً فلا يضرّه كفركم ﴿ وكان اللَّهُ عَلِيماً﴾ بخلقه ﴿ حَكِيماً﴾ في تدبيره لهم، وعن الباقر (ع): قدجاءكم الرسول بالحق من ربكم في ولاية علي (ع) فآمنوا خير لكم وإن تكفروا بولاية علي (ع)[1].

---

(١) أغلب هذه الروايات لا أصل لها في كتب الشيعة المعتبرة. وهي تأويلات وتخرصات تعبّر عن رأي واضعيها، والشيعة الأثناعشرية كبقية إخوانهم من المذاهب الإسلامية الأخرى يؤمنون بحجية ظواهر الكتاب المجيد ولاشك إن مصطلح الإيمان والكفر إذا اطلق في القرآن الكريم فإنه يراد به الإيمان بالله تعالى والكفر به.

[سورة النساء الآيات ١٧١ - ١٧٦]

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ
إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ
مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا
لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ
ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن
يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾
فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ
وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ
عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾
فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ

وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾

﴿ يا أهل الْكِتابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ خطاب للفريقين: غلت اليهود في حق عيسى (ع) حتى قالوا: ولد لغير رشده، والنصارى في رفعه حتى جعلوه إلهاً، أو النصارى خاصة بدليل: ﴿ ولا تَقُولُوا عَلَى اللَّه إلاَّ الْحَقَّ﴾ من تنزيهه عن الشريك والولد﴿ إنمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّه وكَلِمَتُهُ﴾ ألقاها أو صلها ﴿ إلى مَرْيَمَ﴾ وسمي (كلمته) لأنّه وجد بكلمته﴿ ورُوحٌ مِنْهُ﴾ ذوروح اخترع بقدرته لا بتوسط ما هوكالمادة، قال الصادق (ع): هي روح مخلوقة خلقها اللّه تعالى في آدم وعيسى، وعن الباقر (ع): روحان مخلوقان إختارهما وإصطفاهما: روح آدم وروح عيسى﴿ فَآمِنُوا بِاللَّه ورُسُلِه ولا تَقُولُوا﴾ الآلهة﴿ ثَلاثَةٌ ﴾ اللّه وعيسى وأمه كما يدل عليه قوله: (أ أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون اللّه)[1] أو اللّه ثلاثة أقانيم الأب والابن وروح القدس ﴿ انْتَهُوا﴾ عن التثليث وآتوا ﴿ خَيْراً لَكُمْ﴾ منه وهو التوحيد﴿إنمَا اللَّهُ إلهٌ واحِدٌ﴾ بالذات لا شريك له ولا

(١) سورة المائدة الآية ١١٦.

ولد ولا صاحبة ﴿سبحانه﴾ أسبحه تسبيحاً من ﴿أن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ ما في السَّماوات وما في الأرْض﴾ ملكاً وخلقاً، لا يماثله شيء من ذلك فيتخذه ولدا ﴿وَكَفى بِاللَّه وَكِيلاً﴾ تنبيه على غناه عن الولد، فإن الحاجة إلى الولد ليكون وكيلاً لأبيه والله سبحانه قائم بحفظ الأشياء كافٍ في ذلك مستغنٍ عمن يخلقه أو يعينه ﴿لنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسيحُ﴾ لن يأنف، من (نكفت الدمع) إذا نحيّته بإصبعك ﴿أن﴾ من أن ﴿يكُونَ عَبْداً لِلَّهِ﴾ بل كفاه فخراً أن يكون له عبداً وكفاه عزٌّ أن يكون له ربّاً، روي: إن وفد نجران قالوا لرسول اللّه (ص): يا محمد لم تعيب صاحبنا؟ قال: ومَن صاحبكم؟ قالوا: عيسى قال: أيّ شيء أقول فيه؟ قالوا تقول: إنه عبد اللّه ورسوله، فنزلت الآية ﴿وَلا الْمَلائكَةُ﴾ ولن يستنكف الملائكة ﴿الْمُقَرَّبُونَ﴾ أن يكونوا عبيداً لله ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبادَتِه ويَسْتَكْبِرْ﴾ يترفع عنها، والإستكبار: طلب الكبر بلا إستحقاق، والتكبر قد يكون بإستحقاق ﴿فسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْه جَميعاً﴾ للمجازاة ﴿فَأَمَّا الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحات فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ ثواب إيمانهم وأعمالهم ﴿ويَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِه﴾ أضعاف ما يستحقونه من الثواب ﴿وأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا واسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذاباً أَليماً ولا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّه وَلِيًّا﴾ يحميهم من العذاب ﴿ولا نَصيراً﴾ ينجيهم منه ﴿يا أيهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ﴾ حجة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ وهو محمد (ص)، أو معجزاته، أو الدين، أو القرآن ﴿وأنزلنا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبيناً﴾ بيّناً وهو القرآن، وعن الصادق (ع) النور ولاية علي (ع) ﴿فَأَمَّا الَّذينَ آمَنُوا بِاللَّه واعْتَصَمُوا به فَسَيُدْخِلُهُمْ في رَحْمَة مِنْهُ﴾ ثواب مستحق وفضل وإحسان زائد عليه ﴿ويَهْدِيهِمْ إِلَيْه﴾ إلى اللّه، أو إلى الموعود والفضل ﴿صِراطاً مُسْتَقِيماً﴾ وعن الصادق (ع): البرهان محمد (ص) والنور علي (ع)

والصراط المستقيم علي (ع)والقمي: النور إمامة أمير المؤمنين (ع)، والاعتصام التمسك بولايته وولاية الائمة بعده﴿ يَسْتَفْتُونَكَ﴾ أي: في الكلالة، حذف لدلالة الجواب عليه، روي: إن جابر بن عبد الله كان مريضاً فعاده رسول الله (ص) فقال: يا رسول الله إن لي كلالة فكيف أصنع في مالي؟ فنزلت﴿ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ﴾ مرّ تفسيرها في أو ائل السورة﴿ إن امْرُؤٌ﴾ فاعلُ فعلٍ يفسره: ﴿هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾ ذكر أو أنثى، صفة له، أو حال عن فاعل (هلك) وهومقيد بعدم الولد أيضاً للإجماع والسنة ودلالة الكلالة عليه ـ إن فسرت بالميت ـ ﴿ ولَهُ﴾ عطف، أو حال﴿ أُخْتٌ﴾ لأب وأم وأخت لأب ـ كما عن الصادق (ع)ـ ﴿ فَلَها﴾ فللأخت﴿ نِصْفُ ما تَرَكَ﴾ الميت بالفرض والباقي يردّ عليها أيضاً﴿ وهُوَيَرِثُها﴾ أي: المرء يرث أخته جميع مالها إن كأنت الأخت هي الميتة﴿ إن لَمْ يَكُنْ لَها وَلَدٌ﴾ ولا والد لأنّ الكلام في ميراث الكلالة، ولأنّ السنة دلّت على إن الأخوة لا يرثون مع الأب ـ كما تواتر عن أهل البيت (ع) ـ ﴿ فَإن كأنتا اثْنَتَيْنِ﴾ الضمير لمن يرث بالأخوة وتثنيه محمول على المعنى، وفائدة الإخبار بـ(اثنتين) التنبيه على أن الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما ﴿ فَلَهُمَا الثُّلُثان مِمَّا تَرَكَ ﴾ الميت بالفرض والباقي بالرّد ﴿ وَإن كانوا﴾ الكلام فيه كما في كأنتا ﴿ إِخْوَةً﴾ تغليب للمذكر﴿ رِجالاً وَنِساءً﴾ بدل، أو صفة، أو حال﴿ فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ الأحكام كراهة﴿ أن تَضِلُّوا﴾ أو لأنّ لا تضلوا ﴿ واللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فيعلم الأصلح لعباده فيفعله لهم.

تمّت ـ ولله الحمد ـ سورة النساء وتفسيرها.

سورة المائدة

مائة وثلاث وعشرون آية، مدنية.

[الآيات ١ - ٢]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًاۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾

عن الباقر (ع): (من قرأ المائدة في كل يوم خميس لم يلبس إيمانه بظلم ولم يشرك به أبداً) وعن النبي (ص): من قرأ سورة المائدة أعطي من الأجر بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في دار الدنيا عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع

له عشر درجات﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ*يا أيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أو فُوا بِالْعُقُودِ﴾ وعن الصادق (ع): أي: بالعهود، وقيل: الإيفاء والوفاء بمعنى (واحد)، والعقد: العهد الموثق ويشمل هنا كل ما عقد الله على عباده وألزمه إياهم من الإيمان به وبملائكته وكتبه ورسله وتحليل حلاله وتحريم حرامه والإتيان بفرائضه وسننه ورعاية حدوده وأوامره ونواهيه، وكل ما يعقده المؤمنون على أنفسهم لله وفيما بينهم من عقود الأمانات والمعاملات غير المحظورة﴿ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأنعامِ﴾ لعله تفصيل للعقود، والبهيمة: كل حي لا يميّز، أو كل ذي أربع واضافتها إلى الأنعام بيانية أي: البهيمة من الأنعام وهي: الإبل والبقر والغنم﴿ إلاَّ ما يُتْلى عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه كآية(حرمت عليكم الميتة... إلخ)﴿ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾ حال من ضمير (لكم) أو (أو فوا)﴿وأنتم حُرُمٌ﴾ حال من ضمير (محلي) و(حرم): جمع (إحرام) للحرم ﴿ إن اللَّهَ يَحْكُمُ ما يُرِيدُ ﴾ من تحليل وتحريم﴿ يا أيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعائِرَ اللَّهِ﴾ حدوده أو فرائضه أو مناسكه أو دينه، جمع (شعيرة) أي: علامة ﴿ ولا الشَّهْرَ الْحَرامَ﴾ بالقتال فيه، قال الباقر (ع): نزلت في رجل من بني ربيعة يقال له (الحطم) قيل: يعني قَدِم حاجاً وأراد المسلمون قتله في أشهر الحرم لكفره وبغيه، وكان قد استاق سرح المدينة[1]، قيل: هي منسوخة بقوله تعالى: (اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم)[2] وفي المجمع عنه (ع): لم ينسخ من هذه السورة شيء ولا من هذه الآية لأنّه لا يجوز أن يبتدئ المشركون في أشهر الحرم بالقتال الا إذا قاتلوا ﴿ ولا الْهَدْيَ﴾ ما أهدي إلى الكعبة، جمع (هدية) كـ(جدي) جمع (جدية)

(١) إستاق: أي ساق، والسرح: هي الماشية فالمعنى: إن هذا الرجل حاول أن يسرق بعض الماشية في المدينة.

(٢) سورة التوبة الآية ٥.

﴿ ولا الْقَلائِدَ﴾ أي: ذوات القلائد من الهدي، وعطفها على الهدي للإختصاص فإنه أشرف الهدي والقلائد أنفسها، والنهي عن إحلالها مبالغة في النهي عن التعرض للهدي نظير: (ولا يبدين زينتهن)، والقلائد: جمع قلادة ما قلّد به الهدي من نعل وغيره ليعلم إنه هدي، القمي: يقلدها النعل التي قد صلى بها﴿ ولا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرامَ﴾ عطف على القلائد و(لا) زائدة للتأكيد أي: قاصدين زيارته ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ ورِضْواناً﴾ إن يثيبهم ويرضى عنهم، والجملة في موضع الحال من المستكن في (آمّين) وليست صفة لأنّه عامل والمختار أن اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار تعرض من هذا شأنه والتنبيه على المانع له ﴿ وإِذا حَلَلْتُمْ﴾ من الإحرام﴿ فَاصْطادُوا﴾ إذن في الإصطياد بعد زوال الإحرام للقرينة﴿ ولا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ لا يحملنكم، أو لا يكتبكم ﴿ شَنَآن قَوْمٍ﴾ بغضهم، مصدر مضاف إلى الفاعل، أو المفعول، وسكن نونه ابن عامر وأبوبكر ونافع ﴿ إن صَدُّوكُمْ﴾ لأنّ صدوكم وكسر الهمزة ابن كثير وأبو عمرو على الشرط ﴿ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ﴾ عام الحديبية﴿ أن تَعْتَدُوا﴾ بقتالهم مفعول ثان ليجرمنكم لأنّه يتعدى إلى مفعول وإثنين﴿ وتَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ والتَّقْوى﴾ فعل الطاعة وترك المعصية﴿ ولا تَعاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ والْعُدْوانِ﴾ المعاصي وتعدي حدود الله﴿ واتَّقُوا اللَّهَ ﴾ في أوامره ونواهيه﴿ إن اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ﴾ فأنتقامه أشد.

[سورة المائدة الآيات ٣ – ٥]

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا

ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَـٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَـٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٥﴾

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ بيان لما يتلى عليكم، والميتة: ما مات بلا تذكية ﴿ والدَّمُ مطلقاً ـ إلا ما خرج بدليل ـ كالمتخلف في الذبيحة، ولا يقيّده (أو دماً

مسفوحاً) لعدم حجية مفهومه ولا منافاة ﴿ ولَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾ وإن ذكّي، وإنما خصّ بالذكر ـ دون الكلب وغيرهم ـ لاعتيادهم أكله دون غيره﴿ وما أهل لِغَيْرِ اللّه به﴾ رفع الصّوت به للصنم، أو ما لم يسمّ اللّه عليه ـ سمّي غيره أم لاـ ﴿ وَالْمُنْخَنِقَةُ ﴾ التي ماتت بالخنق ﴿ وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ المضروبة حتى تموت﴿ والْمُتَرَدِّيَةُ﴾ من علوّ، أو في بئر فماتت﴿ والنَّطِيحَةُ﴾ التي نطحتها أخرى فماتت، و(التاء) فيها للنقل ﴿ وما أَكَلَ﴾ منه ﴿ السَّبُعُ﴾ حتى مات ﴿ إلاّ ما ذَكَّيْتُمْ﴾ الاّ ما أدركتم ذكاته وفيها حياة مستقرة من ذلك ـ كما عن علي (ع)﴿ وما ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ جمع (نصاب)، أو واحد الأنّصاب وهي: أحجار كأنت منصوبة حول البيت يذبحون عليها تقرباً إليها، وقيل: هي الأصنام، و(على) بمعنى (اللام) أو على أصلها أي: على إسم الأصنام ﴿ وإن تَسْتَقْسِمُوا﴾ تطلبوا معرفة ما قسم لكم مما لم يقسم﴿ بِالأَزْلامِ﴾ جمع «زلم» كـ(حمل وصرد) قدح لا ريش فيه ولا نصل كانوا إذا قصدوا أمراً ضربوا ثلاثة أقداح كتب على أحدها: «أمرني ربي» وعلى الآخر: «نهاني ربي» والثالث: «غفل»، فإن خرج الأمر فعلوا وإن خرج النهي تركوا، وإن خرج الغفل أجالوها ثانياً، وعن الرضا (ع): الميتة والدم ولحم الخنزير معروف و(ما أهل لغير اللّه به) يعني: ما ذبح للأصنام وأما المنخنقة فإن المجوس كانوا لا يأكلون الذبائح ولا يأكلون الميتة وكانوا يخنقون البقر والغنم فإذا إنخنقت وماتت أكلوها، والموقوذة: كانوا يشدّون أرجلها ويضربونها حتى تموت فإذا ماتت أكلوها، والنطيحة: كانوا يناطحون بالكباش فإذا مات أحدها أكلوه وما أكل السبع إلا ما ذكيتم فكانوا يأكلون ما يقتله الذئب والأسد فحرّم اللّه (عزّ وجلّ) ذلك وما ذبح على النصب كانوا يذبحون لبيوت النيران وقريش كانوا يعبدون الشجر والصخر فيذبحون لها ﴿ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا

بالأزْلامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ قال: كانوا يعمدون إلى الجزور فيجزونه عشرة أجزاء ثم يجتمعون عليه فيخرجون السهام فيدفعونها إلى رجل، وهي عشرة سبعة لها إنصباء وثلاثة لا إنصباء، لها فالتي لها إنصباء: (فالفذ) و(التوم) و(المسبل) و(النافس) و(الحلس) و(الرقيب) و(المعلى) فالفذ: له سهم، والتوم: له سهمان، والمسبل: له ثلاثة أسهم، والنافس: له اربعة أسهم، والحلس: له خمسة أسهم، والرقيب: له ستة أسهم، والمعلى: له سبعة أسهم، والتي لا إنصباء لها: (السفيح) و(المنيح) و(الوغد) وثمن الجزور على من لم يخرج له من الانصباء شيء وهوالقمار فحرّمه اللّه تعالى﴿ ذلِكُمْ فِسْقٌ﴾ أي: تنأو ل هذه المحرّمات خروج عن الطاعة، أو الإشارة إلى الاستقسام﴿ الْيَوْمَ﴾ لم يرد به يوماً بعينه بل أريد الحاضر وما بعده من الزمان، وقيل: يوم نزولها وهويوم الجمعة عرفة حجة الوداع﴿ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ من ارتدادكم عنه بتحليل ما حرّم أو غيره، أو من إن يغلبوه، القمي: قال: ذلك لما نزلت ولاية امير المؤمنين(ع)، وعن الباقر (ع): يوم يقوم القائم ييأس بنوا أميّة فهم الذين كفروا يئسوا من آل محمد (ص) ﴿فَلا تَخْشَوْهُمْ﴾ إن يظهروا على دين الإسلام ويردوكم عن دينكم﴿ واخْشَوْنِ﴾ إن خالفتم أمري إن تحلّ لكم عقوبتي﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ورَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾ نزلت بعد إن نصب النبي (ص) علياً (ع) علماً للأنام يوم غدير خم عند منصرفه عن حجة الوداع، والأخبار في ذلك من طرق العامة والخاصة متظافرة، وعن أبي سعيد الخدري: إن رسول اللّه (ص) دعا الناس إلى علي (ع) يوم غدير

خم وأمر بقطع ما تحت الشجر من الشوك وقام فدعا علياً (ع) فأخذ بضبعيه[1] حتى نظر الناس إلى إبطيه وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله» ولم يفترقا حتى أنزل الله (عزّ وجلّ): (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكمْ نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً)فقام النبي (ص) وقال: الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرّب برسالتي وبولاية علي (ع)﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ متصل بذكر المحرّمات وما بينهما أعتراض أي: فمن اضطر إلى تناول شيء من هذه المحرّمات ﴿ فِي مَخْمَصَةٍ﴾ مجاعة﴿ غَيْرَ مُتَجانِفٍ﴾ غير مائل﴿لِإِثْمٍ﴾ وعن الصادق (ع): غير متعمدٍ لإثم، أقول: كان يأكلها متلذذاً أو مجاوزاً حد الرخصة كما في قوله (غير باغٍ ولا عادٍ) ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لا يؤاخذ بأكله﴿يَسْئَلُونَكَ ما ذا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ من المطاعم، كانهم لما تلى عليهم المحرّمات سألوه عمّا أحلّ لهم وأوقع السؤال على الجملة لتضمنه معنى القول وما ذا مرّ بيانه ولم يقل لنا على الحكاية لأنّ (يسألونك) للغيبة، والوجهان صواب﴿ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّباتُ﴾ ما لم تستخبثه الطبائع السّليمة أو ما لم يدلّ دليل على حرمته﴿ وما عَلَّمْتُمْ﴾ عطف على الطيّبات أي: وصيد ما علّمتم أو شرط جوابه: (فكلوا)﴿ مِنَ الْجَوارِحِ﴾ كواسب الصيد على أهله من السباع ذوات الأربع والطير﴿ مُكَلِّبِينَ﴾ معلّمين إيّاه الصيد، والمكلّب: مؤدّب الكلب ومضريها بالصيد مشتق من الكَلب وأنتصابه على الحال من (علمتم) وفائدتها المبالغة في التعليم، وعن الصادق (ع): هي الكلاب، وعنه (ع) فما خلا الكلاب فليس صيده بالذي

---

(١) الضَّبْعُ: ما بين الإبط الى نصف العضد من أعلاها وهما ضبعان.

يؤكل إلا إن تدرك ذكاته﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ حال أخرى أو استئناف﴿ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ من علم التأديب إلهاماً أو إكتساباً بالعقل الذي منحكموه، أو بما ورد إليكم من الشارع من طرق التأديب من الاسترسال بإغراء صاحبه والإنزجار بزجره ﴿ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ وإن قتلته واختلف في اشتراط عدم الأكل لإختلاف الأخبار﴿ واذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي: سمّوا على ما علّمتم عند إرساله، أو على ما أمسكن إذا أدركتم ذكاته، وقال الصادق (ع): (كل شيء من السباع تمسك الصيد على أنفسها إلاّ الكلاب المعلّمة فإنها تمسك على صاحبها)، وقال (ع): (إذا أرسلت الكلب المعلّم فاذكر الله عليه فهو ذكاته)﴿ واتَّقُوا اللَّهَ﴾ في حدوده وفيما تلي عليكم﴿ إن اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ﴾ فيؤاخذكم بتعديها ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّباتُ وطَعامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ في عدّة من الأخبار المتظافرة إن المراد بالطعام: الحبوب والفواكه دون الذبائح ونحوها، وعليه جمهور أصحابنا والعامة عمموا ذبائحهم﴿ وطَعامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ فيحل لكم أن تطعموهم﴿ والْمُحْصَناتُ مِنَ الْمُؤْمِناتِ﴾ العفائف والحرائر﴿ والْمُحْصَناتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ عن الصادق والكاظم (ع): (هن العفائف من نسائهم)، وعن الباقر (ع): إنها منسوخة «بعصم الكوافر» و«لا تنكحوا المشركات») وروي: (لا يتزوج الرجل اليهودية والنصرانية، على المسلمة ويتزوج المسلمة على اليهودية والنصرانية)، وعن الصادق (ع): (لا بأس أن يتمتع الرجل اليهودية والنصرانية وعنده حرّة)﴿ إذا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿ مُحْصِنِينَ﴾ أعفّاء﴿ غَيْرَ مُسافِحِينَ﴾ غير زانين جهراً﴿ ولا مُتَّخِذِي أَخْدانٍ﴾ أصدقاء يزنون بهنّ سراً، والخدن يقال للذكر والأنثى﴿ ومَنْ يَكْفُرْ بِالإِيمانِ﴾ ينكر شرائع الإسلام﴿ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾ الهالكين، وعن

الصادق (ع): (أدنى ما يخرج عن الإسلام إن يرى الرأي بخلاف الحق فيقم عليه)، قال (ع): (ومن يكفر بالإيمان الذي لا يعمل بما أمر الله ولا يرضى به)، وعن الباقر (ع): يعني ولاية علي (ع)والقمي: قال: من آمن ثم أطاع أهل الشرك .

[سورة المائدة الآيات ٦- ٩]

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٦﴾ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ

ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٩﴾

﴿ يا أيهَا الَّذينَ آمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إلى الصَّلاةِ﴾ من النّوم ـ كما عن الباقر والصادق (ع) ـ فيكون وجوب الوضوء لسائر الأحداث مستفاداً من السّنة، وقيل إذا أردتم القيام إليها كما في (إذا قرأت القرآن) عبّر بمسبب الإرادة عنها، أو قصدتموها إذ القيام إلى الشيء قصده، وظاهرها يوجب الوضوء على كل قائم لكن خصّه الإجماع والأخبار بالمحدثين بالأصغر، وقيل: كان ذلك في الإبتداء فنسخ وردّ بشهرة عدم المنسوخ في المائدة واعتبار الحدث في بدله أي: التيمم في الآية، وقيل: الأمر فيه للندب لإستحباب التجديد، وردّ بأن قرينه (فاطّهروا) أو (فتيمموا) للوجوب وبثبوت الوجوب في المحدث وحمله على الرجحان المطلق ليعم الندب والوجوب بعيد، واحتج بالآية لوجوب الوضوء لغيره لإفهامها إنه للصلاة ولأنّ مفهومها عدم وجوبه إذا لم ترد الصلاة، وفيه جواز كونه لها مع كونه واجباً لنفسه والمفهوم إنما يعتبر فيما لا فائدة للشرط سواه والفائدة هنا بيان إن الصلاة غرض للوضوء في الجملة، واحتج بها لوجوبه لنفسه لتحقق الإرادة قبل الوقت فيجب وإذا وجب قبله في الجملة وجب قبله دائماً للإجماع المركب، وردّ بمنع عموم إذا ومنع إرادة إذا أردتم لجواز إذا تهيأتم لها تهيئاً متصلاً بها وهوإنما يتحقق في الوقت﴿ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ أمرّوا الماء عليها ولا يجب الدلك ولا تخليل الشعر، والوجه: ما يواجه

به، وعن الباقر (ع): (الوجه الذي أمر الله بغسله الذي لا ينبغي لأحد إن يزيد عليه ولا ينقص منه، إن زاد عليه لم يؤجر وإن نقص منه أثم، ما دارت عليه الإبهام والوسطى من قصاص شعر الرأس إلى الذقن وما جرت عليه الإصبعإن من الوجه مستديراً فهومن الوجه وما سوى ذلك فليس من الوجه، قيل: الصدغ ليس من الوجه؟ قال: لا﴿ وأيدِيَكُمْ إلى الْمَرافِقِ﴾ غاية للمغسول فلا تفيد الإبتداء بالأصابع سيّما إذا جعلت بمعنى (مع) فهي مجملة والسنّة الخاصيّة قد بيّنت الإجمال بوجوب الإبتداء بالمرافق، وجوّز بعض النكس لظاهر الآية قيل: ولا تفيد دخول المرفق لخروج الغاية تارة ودخولها أخرى، ودعوى دخولها إذا لم تتميز عن المغيّا لم يثبت وكون (إلى) بمعنى (مع) مجاز لا بدّ له من قرينة ولكن أطبقت الأمة ـ الا من شذّ ـ على دخوله وإن اختلفوا في مأخذه أهوالآية أم الإحتياط؟ أم كونه مقدمة لوجوب الواجب؟، وعن الصادق (ع): إن تنزيلها فاغسلوا وجوهكم وأيديكم من المرافق ثم أمرّ يده من مرفقه إلى أصابعه ﴿ وامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ﴾ أي: بعضها، لإجماعنا وللباء بنص الباقر (ع)، ولا يعارضه إنكار سيبويه مجيئها للتبعيض فإن (القول ما قالت حذام) مع معارضته بإصرار الأصمعي وجمع من النحاة على مجيئها للتبعيض، ففي الصحيح الزراري إنه: قال للباقر (ع): (ألا تخبرني من أين علمت وقلت: إن المسح ببعض الرأس وبعض الرجلين؟ فضحك ثم قال: يا زرارة قاله رسول الله (ص) ونزل به الكتاب لأنّ الله يقول: فاغسلوا وجوهكم، فعرفنا أن الوجه كله ينبغي أن يغسل، ثم قال: وأيديكم إلى المرافق، ثم فصل بين الكلامين فقال: وامسحوا برءوسكم، فعرفنا حين قال: (برءوسكم) إن المسح ببعض الرأس لمكان الباء، ثم وصل الرجلين بالرأس كما وصل اليدين بالوجه فقال: وأرجلكم

إلى الكعبين، فعرفنا حين وصلها بالرأس أن المسح على بعضها، ثم فسّر رسول الله (ص) ذلك الناس فضيّعوه، وقيل: معناه الصقوا المسح برءوسكم، فيتحقق بمسح البعض والكل ومن ثم اختلفوا فأوجب مسح كل الرأس، وأبو حنيفه ربعه والشافعي مسمّى المسح وهو الأصح، ويختص بالمقدّم بإجماعنا ونص أئمتنا﴿ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ جرّه حمزة وابن كثير وأبو عمر وأبو بكر، وهو قراءة أهل البيت (ع)، ونصب الباقون، واختلف في مسح الأرجل وغسلها: فالإمامية كافة أوجبوا المسح وهو مذهب أهل البيت وابن عباس وجمع من التابعين، وأوجب الفقهاء الأربعة الغسل، وجماعة الجمع، وخيّر آخرون، والقراءتان معنا: أما الجر فواضح لعطفها على الرؤوس ومقتضاه وجوب المسح وجعلها معطوفة عليها لا لتمسح بل ليقتصد في صبّ الماء عليها ولا يسرف فيه فتغسل غسلاً شبيها بالمسح تعسف وإلغاز وتعمية كيف يقع في كلام الحكيم؟ وفي القرآن الذي هو(هدى ونور وآيات بينات) وكذا جعلها معطوفة على الوجوه والجر للمجاورة للفصل بجملة المسح وشذوذ جر المجاورة وقصره على السّماع وكونه فيما لا لبس فيه ولا حرف عطف معه كـ(جحر ضب خرب) وهنا لبس وعطف، واما النصب فلعطفها على محل (رءوسكم) ومثله في كلام الفصحاء والقرآن العزيز غير عزيز فالقراءتان متطابقتان في وجوب المسح وعطفها على الوجوه من أقبح الوجوه لإخراجه للكلام عن حلية الأنتظام وتقدير (فعل) أي: (واغسلوا) كما في (علفتها تبناً وماء) أي: وسقيتها ماء خلاف الأصل وإنما ارتكب في المثال لتعذر الحمل على المذكور ولم يتعذر هنا لصحة العطف على المحل والكعب عندهم ما نتأ عن يمين القدم وشماله وعندنا العظم الناتئ وسط القدم للأخبار المستفيضة، أو مفصل الساقين والقدم ويختص

المسح به ظهر القدم ولا يجب لإستيعاب عرضاً بإجماعنا وأخبارنا وظاهر الآية عدم الترتيب بين الرجلين وأوجبه بعض وهو أحوط ﴿ وإن كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا﴾ قيل: هو عطف على جزاء الشرط الأول أي: (فاغسلوا وجوهكم... إلخ) أي: إذا قمتم من النوم إلى الصلاة فتوضؤوا وإن كنتم جنباً فاغتسلوا يدل عليه قوله: (وإن كنتم مرضى) فإنه مندرج تحت الشرط البتة، فلوكان قوله: (وإن كنتم) معطوفاً على قوله:(إذا قمتم) أو كان مستأنفاً لم يتناسق المتعاطفان وللزم إن لايستفاد الإرتباط بين الغسل من الآية ولم يحسن لفظة (إن) بل ينبغي إن يقال: وإذا كنتم جنباً، فيكون وجوب الغسل للصلاة لا لنفسه، وعن الباقر (ع): في المرأة يجامعها الرجل فتحيض وهي في المغتسل قال: جاءها ما يفسد الصلاة فلا تغتسل، وأورد عليه إن الظاهر المتناسق عطفه على مجموع الشرطية لا على الجزاء أي: إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا إن لم يمنع مانع وإن كنتم جنباً فاطهروا لذلك وإن كنتم مرضى ومنعكم مانع المرض أو غيره فتيمموا ﴿ وإن كُنْتُمْ مَرْضى أو عَلى سَفَرٍ أو جاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغائِطِ أو لامَسْتُمُ النِّساءَ فَلَمْ تَجِدُوا ماءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وأَيدِيكُمْ﴾ فسّر في النساء﴿ مِنْهُ﴾ من الصعيد، أو التيمم، و(من) للتبعيض، ويحتج بها لإشتراط علوق التراب ويلزمه المنع من الحجر، وفي تتمة صحيح زرارة السابق: ثم قال: فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه فلما وضع الوضوء إن لم يجدوا الماء أثبت بعض الغسل مسحاً لأنه قال: بوجوهكم ثم وصل بها (وأيديكم) ثم قال: (منه) أي: من ذلك التيمم لأنه علم إنه ذلك أجمع لم يجر على الوجه لأنه يعلق من ذلك الصعيد ببعض الكف ولا يعلق ببعضها﴿ ما يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ﴾ في الدّين﴿ مِنْ حَرَجٍ﴾

مفعول (يريد) محذوف و(اللام) للعلة أي: ما يريد الأمر بالوضوء والغسل والتيمم تضييقاً عليكم، أو زائدة والمفعول (أن يجعل)﴿ ولكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾ من الأحداث والذنوب فإن الوضوء يكفر ما قبله أو ينظفكم بالماء﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ بشرعه ما هومطهّر لأبدإنكم ومكفّر لذنوبكم نعمة عليكم في الدين ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمه والآية مشتملة على سبعة أمور كلها مثنى طهارتان أصل وبدل والأصل إثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل للعدول محدود وغير محدود وإن آلتها مائع وجامد وموجبها حدث أصغر أو أكبر، وإن المبيح للعدول إلى البدل مرض أو سفر وإن الموعود عليها تطهير الذنوب وإتمام النعمة﴿ واذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام، لتذكركم المنعم وترغيبكم في شكره ﴿ ومِيثاقَهُ الَّذي واثَقَكُمْ﴾ عاقدكم﴿ بِهِ﴾ من مبايعتكم النبي (ص) على السمع والطاعة في العسر واليسر، وعن الباقر (ع): إن المراد بالميثاق ما بين لهم في حجة الوداع من تحريم المحرّمات وكيفية الطهارة وفرض الولاية وغير ذلك ﴿ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنا وأَطَعْنا﴾ فيما تأمر وتنهى القمي: لمّا أخذ رسول الله (ص) الميثاق عليهم بالولاية قالوا سمعنا وأطعنا ثم نقضوا ميثاقه ﴿ واتَّقُوا اللَّهَ﴾ في كفران نعمه ونقض ميثاقه ﴿ إن اللَّهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾ بخفيّاتكم فيجازيكم عليها فضلاً عن جليات أعمالكم﴿ يا أيهَا الَّذينَ آمَنُوا كُونُوا قَوّامِينَ لِلَّهِ شُهَداءَ بِالْقِسْطِ﴾ قد مرّ تفسيره﴿ ولا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلى الا تَعْدِلُوا ﴾ عدّي بـ(على) لتضمنه معنى الحمل أي: لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بإرتكاب ما لا يحل من قذف وقتل﴿ اعْدِلُوا﴾ في الأولياء والأعداء﴿ هُوَ﴾ أي: العدل﴿ أَقْرَبُ

للتّقوى﴾ صرّح لهم بالأمر بالعدل وبيّن إنه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبيّن إنه مقتضى الهوى وإذا كان هذا العدل مع الكفّار فكيف بالعدل مع المؤمنين﴿ واتّقُوا اللَّهَ إن اللَّهَ خَبيرٌ بما تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به، قيل: وتكرير هذا الحكم: اما لإختلاف السبب لأنّ الأولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود، أو لمزيد الإهتمام بالعدل وإطفاء نائرة الغيظ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وأجْرٌ عَظيمٌ﴾ قيل: إنما حذف ثاني مفعولي (وعد) إستغناء بقوله «له مغفرة» فإنه استئناف يبيّنه، وقيل: الجملة في موقع المفعول الثاني فإن الوعد ضرب من القول فكانه وعدهم هذا القول.

[سورة المائدة الآيات ١٠ - ١٣]

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ

تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣﴾

﴿والَّذينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بآياتنا أولئكَ أصْحابُ الْجَحيمِ﴾ قابل الوعد بالوعيد وفاءً بحقّ الدعوة، وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم، وزيادة عقوبة للكافرين وتحسير لهم﴿ يا أيها الَّذينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أيديَهُمْ﴾ بالقتل والإهلاك، يقال: بسط اليه يده إذا بطش به، ولسانه إذا شتمه﴿ فَكَفَّ﴾ مَنَعَ﴿أيديَهُمْ عَنْكُمْ﴾ إن تمد إليكم، وردّ مضرّتها عنكم، القمي: يعني أهل مكة من قبل فتحها فكف أيديهم بالصلح يوم الحديبية، قيل: أتى النبي (ص) جماعة من أصحابه النظير يستقرضهم دية مسلمَين قتلهما بعض أصحابه يحسبهما مشركين فقالوا: اجلس حتى نطعمك ونقرضك وهمّوا بقتله فأخبره الله فخرج، وقيل: نزل الرسول (ص) منزلاً وتفرّق الناس فعلق سيفه بشجرة، فجاء أعرابي فسلّه فقال: من يمنعك منّي؟ فقال: الله، فأسقطه جبرئيل منه فأخذه النبي (ص) وقال: من يمنعك مني؟ فقال: لا أحد وأسلم، فنزلت﴿ واتَّقُوا اللَّهَ وعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فإنه الكافي لإيصال الخير ودفع الشرّ، ومن يتوكل عليه فهوحسبه

﴿ ولَقَدْ أخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ بَنِي إِسْرائيلَ وبَعَثْنا﴾ إلتفات ﴿مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً﴾ رئيساً كفيلاً أميناً شاهداً من كل سبط نقيب ينقب عن أحوال قومه ويفتشها ويعرف مناقبهم، قيل: أمر الله بني إسرائيل بعد هلاك فرعون وهم بمصر أن يسيروا إلى (أريحا) بأرض الشام وكان يسكنها الجبابرة فقال: إني كتبتها لكم قراراً فجاهدوا من فيها فإني ناصركم، وأمر موسى إن يأخذ من كل سبط كفيلاً عليهم بالوفاء بما أمروا به فأخذ عليهم الميثاق واختار النقباء وسار بهم، ولمّا قاربها بعث النقباء يتجسسون، فرأوا أجراماً عظيمة وشوكة فرجعوا ونهاهم إن يخبروا قومهم فأخبروهم إلاّ كالب من سبط يهودا ويوشع من سبط يوسف﴿ وقالَ اللَّهُ إنِي مَعَكُمْ﴾ بالنّصر﴿ لَئِنْ﴾ للقسم ﴿أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وآتَيْتُمُ الزَّكاةَ وآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ أي: نصرتموهم وأصله الذب ومنه التعزير﴿ وأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ بالإنّفاق في سبيل الخير، وقرضاً يحتمل المصدر والمفعول﴿ لأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ﴾ جواب للقسم ناب جواب الشرط ﴿ ولأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ﴾ الشرط المؤكد المعلّق به الوعد العظيم منكم﴿ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ﴾ أخطأ طريق الحق، أو ضلالاً لا شبهة فيه ولا عذر معه، بخلاف من كفر قبل ذلك إذ يمكن له شبهة وعذر﴿ فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ﴾ أي: بسبب نقضهم العهد، القمي: يعني نقض عهد أمير المؤمنين﴿ لَعَنَّاهُمْ﴾ طردناهم عن رحمتنا، أو مسخناهم، أو ضربنا عليهم الجزية ﴿ وَجَعَلْنا قُلُوبَهُمْ قاسِيَةً﴾ لا تنفعل عن الآيات والنُّذُر، وقرأ حمزة والكسائي (قسيّة) مبالغة (قاسية) أو بمعنى (رديّة) والمراد منعناهم الألطاف حتى قست﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ﴾ بيان قسوة قلوبهم، إذ لا قسوة أشد من تغيير وحي الله﴿ ونَسُوا حَظّاً﴾

تركوا نصيباً وافياً﴿ مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ من التوراة، أو من إتّباع محمد (ص)، والمعنى: إنهم حرّفوا التوراة وتركوا حظهم مما أنزل عليهم فلم ينالوه، وقيل: المعنى إنهم حرّفوها فزلت لشوم تحريفهم أشياء عن حفظهم لما روي إن ابن مسعود قال: قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية، وتلا هذه الآية﴿ ولا تَزالُ تَطَّلِعُ عَلى خائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾ خيانة، أو فرقة خائنة، أو خائن منهم، و(التاء) للمبالغة أي: إن الخيانة والغدر من عادتهم وعادة أسلافهم لاتزال ترى ذلك منهم﴿ إلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ﴾ لم يخونوا وهم: الذين آمنوا، وقيل الإستثناء من قوله (وجعلنا قلوبهم قاسية)﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ واصْفَحْ﴾ إن تابوا وآمنوا، أو عاهدوا والتزموا الجزية، أو مطلقاً والقمي: منسوخة بقوله: (اقتلوا المشركين)﴿ إن اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ تعليل للأمر بالصفح، وحث عليه، وتنبيه على أن العفو عن الكافر الخائن إحسان فكيف غيره.

[سورة المائدة الآيات ١٤- ١٧]

وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ

رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ
وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ
اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ
أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ
وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

﴿ ومِنَ الَّذينَ قالُوا إنا نَصارى أَخَذْنا ميثاقَهُمْ﴾ كما أخذنا ممّن قبلهم، أو من الذين قالوا إنا نصارى قوم أخذنا، وإنما قال: (قالوا إنا نصارى) ليدلّ على إنهم سمّوا أنفسهم بذلك إدعاءً لنصرة الله ﴿ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ في الإنجيل ﴿ فَأَغْرَيْنا﴾ ألزمنا، من غرى به لصق به ﴿ بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ﴾ بالأفعال ﴿ والْبَغْضاءَ﴾ بالقلوب ﴿ إلى يَوْمِ الْقِيامَةِ﴾ بين فرق النصارى الثلاث وهم نسطورية، ويعقوبية، وملكائية، أو بينهم وبين اليهود ﴿ وسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِما كانوا يَصْنَعُونَ﴾ بالجزاء والعقاب ﴿ يا أهل الْكِتابِ﴾ يعني: اليهود والنصارى، ووحد الكتاب للجنس ﴿ قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتابِ﴾ كالرجم، ونعته (ص)، وبشارة عيسى به ﴿ ويَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ مما تخفونه لا بيينة لعدم باعث ديني عليه، أو عن كثير منكم ﴿ قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ وهو محمد (ص)، أو القرآن ﴿ وكِتابٌ مُبِينٌ﴾ للحق، أو بيّن الإعجاز، والقمي: يعني بالنور أمير المؤمنين والأئمة (ع)

﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ﴾ توحيد الضمير إما لأنّ المراد به واحد، أو لأنّهما في الحكم كالواحد، أو إشارة إلى أن القرآن لا يهتدى به بدون قيّم، ولذا جميع الفرق تستند اليه لأنّ فيه المحكم والمتشابه بل الهداية بالقيّم العالم بجميعه كما أشير اليه بقوله: (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد)[١] ﴿ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ﴾ أي: موجب رضاه﴿ سُبُلَ السَّلامِ﴾ طرق السّلامة من العذاب، أو سبل الله﴿ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلى النُّورِ﴾ أي: من أنواع الكفر إلى نور الإسلام إشارة إلى تعدد طرق الكفر وإتحاد طريق الإسلام، وماذا بعد الحق الا الضلال؟ ولذا اثنان وسبعون من الفرق الإسلامية هالكة والناجية واحدة﴿ بِإِذْنِهِ﴾ بإرادته وتوفيقه﴿ وَيَهْدِيهِمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ طريق هوأقرب الطرق إلى الله وإلى جنته﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ قيل: هم اليعقوبية القائلون بالإتحاد، وقيل: لم يصرّح به أحد منهم ولكن لمّا زعموا ،ن فيه لاهوتا وقالوا: لا إله الا واحد لزمهم إن يكون هو المسيح، فنسب إليهم لازم توضيحاً لجهلهم وتفضيحاً لمعتقدهم ﴿ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ﴾ فمن يمنع من قدرته وإرادته ﴿ شَيْئاً إِنْ أَرادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ إستدل به على فساد قولهم، وتقريره: إن المسيح مقدور ومقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الألوهية ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُما يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَاللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ إزاحة لشبهتهم أي: إنه تعالى قادر على كل شيء، يخلق من غير أصل كالسماوات والأرض، ومن أصل كـ (ما بينهما)، ومن أصل ليس من جنسه كـ(آدم وحوّاء

---

(١) سورة الرعد الآية٧.

وكثير من الحيوان)، أو من أصل يجانسه من إنثى وحدها كعيسى، أو منهما كسائر الناس .

[سورة المائدة الآيات ١٨- ٢٣]

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا

فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾

﴿ وقالَتِ اليَهُودُ والنَّصارى نَحْنُ أَبْناءُ اللَّهِ وأَحِبَّاؤُهُ ﴾ أي: أشياع إبنيه عزيز والمسيح كما يقول حشم الملك: نحن الملوك أو مقرّبون عنده قرب الأبناء من أبيهم ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ إن صحّ ما زعمتم، والأب لا يعذب إبنه ولا الحبيب حبيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والمسخ والأسر وفي الآخرة باعترافاتكم أياماً معدودات﴿ بَلْ أنتم بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾ من جملة البشر يعاملكم معاملتهم ﴿ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ﴾ منكم كمن آمن به وبرسله ﴿ ويُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ﴾ ممن كفر ﴿ ولِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ والأَرْضِ وما بَيْنَهُما﴾ كلها سواء في كونه خلقاً وملكاً ﴿ وإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ﴿ يا أهل الْكِتابِ قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ حذف المفعول لظهوره، أي: الدين، أو ما كتمتم لتقدم ذكره، أو ما يحتاج إلى البيان، أو المعنى: يبذل لكم البيان، والجملة حال﴿ عَلى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾ أي: فتور من الإرسال والإنقطاع من الوحي بأن لا يكون نبي ولا وصي ظاهر مشهور لما قام بالبراهين إن الأرض لا تخلومن حجة، وإن الحجة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق ويستفاد من الأخبار والآثار إنه كان بين نبيّنا وعيسى (ع) أنبياء وأئمة مستورون خائفون كخالد بن سنان العبسي، وبين مبعثه ومبعث نبينا خمسون سنة، وعن الصادق (ع): بينا رسول الله (ص) جالساً إذ جاءته امرأة فرحّب

بها، وأخذ بيدها وأقعدها قال: إبنة نبيّ ضيّعه قومه خالد بن سنان دعاهم فأبوا أن يؤمنوا، وعن الباقر (ع): إن بين عيسى ومحمد (ص) خمسمائة سنة﴿ أن تَقُولُوا﴾ كراهة أن تقولوا، أو لئلا تقولوا إعتذاراً﴿ ما جاءَنا مِنْ بَشِيرٍ ولا نَذِيرٍ فَقَدْ جاءَكُمْ بَشِيرٌ ونَذِيرٌ﴾ فلا عذر لكم إذاً﴿ واللّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من إرسال وغيره، قيل: فيقدر على إرسال رسل تترى[1] كما فعل بين موسى وعيسى إذ كان بينهما ألف وسبعمائة سنة وألف نبي، وعلى الإرسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد (ص) إذ كان بينهما ستمائة أو خمسمائة وتسع وستون سنة وأربعة إنبياء ثلاثة من بني إسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان، وفي الآية إمتنان عليهم بأن بعث إليهم حين إنطمست آثار الوحي وكانوا أحوج ما يكون اليه﴿ وإِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ إنبياءَ﴾ هداكم وأعزكم بهم ولم يجعل في أمة ما جعل فيكم من الأنبياء وقيل: هم الأنبياء ما بين موسى وعيسى ألف نبي﴿ وجَعَلَكُمْ مُلُوكاً﴾ أي: جعل منكم أو فيكم إذ كثرت فيهم الملوك حتى قتلوا يحيى وهمّوا بقتل عيسى، أو إنهم كانوا مملوكين في أيدي القبط فإنقذهم وجعلهم مالكين لأنفسهم وأمورهم، أو مالكين لملك فرعون وأتباعه إذ أورثهم أرضهم، أو ذوي دور وخدم﴿ وآتاكُمْ ما لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ﴾ من فلق البحر، وتظليل الغمام، وإنزال المن والسلوى وغيرها، أو أراد عالمي زمانهم﴿يا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ يعني: الشام ـ كما عن الباقر (ع) ـ وقيل: أرض بيت المقدس المطهرّة بالأنبياء إذ كانت قرارهم، وقيل: الطّور وما حوله ﴿ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ ﴾ قسمها أو وهبها﴿ لَكُمْ﴾ أو كتب في اللوح إنها لكم إن أطعتم وآمنتم، لقوله

(١) متابعة.

بعد ما عصوا: (فإنها محرّمة عليهم) وعن الصادق (ع): إن بني إسرائيل قال الله لهم: ادخلوا الأرض المقدسة، فلم يدخلوا حتى حرّمها عليهم وعلى أبنائهم وإنما دخلها أبناء الأبناء، وعنهما (ع): كتبها لهم ثم محاها﴿ ولا تَرْتَدُّوا عَلى أَدْبارِكُمْ﴾ لاترجعوا عن طاعة الله بعصيانكم﴿ فَتَنْقَلِبُوا﴾ نصب جواباً أو جزم بالعطف ﴿ خاسِرِينَ﴾ ثواب الدارين﴿ قالُوا يا مُوسى إن فِيها قَوْماً جَبَّارِينَ﴾ متغلبين لا تأتّى لنا مقاومتهم، والجبّار: مَن يجبر الناس على ما يريده ﴿ وإنا لَنْ نَدْخُلَها حَتّى يَخْرُجُوا مِنْها فَإن يَخْرُجُوا مِنْها فَإنا داخِلُونَ﴾ إذ لا طاقة لنا بهم﴿ قالَ رجلان﴾ هما: يوشع بن نون وكالب بن يوفنا وهما ابنا عمه ـ كما عن الباقر (ع) ـ ﴿ مِنَ الَّذِينَ يَخافُونَ إنعَمَ اللَّهُ﴾ وقيل: كانا من الجبابرة أسلما، وأتيا موسى (ع) فـ(الواو) لبني إسرائيل وعائد (الذين) محذوف أي: من الذين يخافهم بنوإسرائيل﴿ إنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالإيمان والتثبت، وهوصفة ثانية لرجلين، أو اعتراض﴿ ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبابَ﴾ باب قريتهم أي: باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الإصحار ﴿ فَإذا دَخَلْتُمُوهُ فَإنكُمْ غالِبُونَ﴾ آمنون لتعسر الكرّ عليهم في المضائق من عظم أجسامهم، أو لأنهم أجسام لا قلوب فيها، أو إنهما علما بذلك من إخبار موسى (ع)، وقوله: كتب الله لكم، أو مما علما من عادته تعالى في نصرة رسله﴿ وعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ به ومصدقين بوعده.

[سورة المائدة الآيات ٢٤ - ٣١]

قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا

نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾

﴿ قالوا يا مُوسى إنا لَنْ نَدخُلَها أبداً ما دامُوا فِيها﴾ بدل من (أبداً) بدل البعض﴿ فَاذهَبْ أنت وربُّكَ فَقاتلا إنا هاهُنا قاعدُونَ﴾ قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما، وقيل: تقديره: اذهب أنت وربك معينك﴿ قالَ رَبِّ إني

لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي﴾ يشكوحزنه إلى الله لما خالفه قومه وآيس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هارون، والرجلان المذكوران ـ وإن كانا موافقين ظاهراً ـ لكن لعله لم يثق بهما لما كابد من تلون قومه، أو المراد بـ(أخي): من يؤاخيه في الدين فيدخلان و(أخي) يجوز نصبه عطفاً على (نفسي) أو على اسم (إن ورفعه عطفاً على فاعل (أملك) أو على محل اسم (إن)﴿ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ بأن تحكم على كل منا بما يستحقه، أو باعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم ﴿ قَالَ فَإِنها﴾ أي: الأرض المقدسة ﴿ مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم﴿ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ﴾ الظرف متعلق بـ(يتيهون) لا بـ(محرمة) لأنّه ما دخل أحد منهم الأرض المقدسة بل دخلها أبناء أبنائهم ـ كما مرّ في الخبر ـ أي: يسيرون فيها متحيرين لا يريدون طريقاً، ونقل: إنهم لبثوا أربعين سنة في ستة فرأسخ من الصباح إلى المساء فآذاهم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور يطلع بالليل فيضيء لهم وكان طعامهم المنّ والسلوى وماؤهم الحجر الذي يحملونه﴿ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ خاطب به موسى (ع) لما ندم من الدعاء عليهم وبيّن إنهم أحقاء بذلك لفسقهم، وعن الباقر (ع): قال موسى لقومه: ادخلوا...إلخ فردوا عليه ـ وكانوا ستمائة ألف ـ فقالوا: إن فيها قوماً جبارين، فعصى أربعون ألف، وسلم هارون وابناه ويوشع وكالب فسماهم الله (فاسقين) فتاهوا أربعين سنة لأنّهم عصوا، فكانوا حذوالنعل بالنعل إن رسول الله (ص) لما قبض لم يكن على أمر الله إلا علي والحسن والحسين وسلمان والمقداد وأبوذر، فمكثوا أربعين حتى قام علي (ع) فقاتل من خالفه، وعن الباقر (ع): مات هارون قبل موسى وماتا جميعاً في التيه، وروي: لمّا أراد موسى أن يفارقهم فزعوا

وقالوا: إن خرج موسى من بيننا ينزل علينا العذاب ففزعوا اليه وسألوه أن يقيم معهم ويسأل الله أن يتوب عليهم﴿ واتْلُ عَلَيْهِمْ نَبأَ ابْنَيْ آدَمَ﴾ قابيل وهابيل، وقيل: لم يرد بهما ابنيه من صلبه وإنهما رجلان من بني إسرائيل ولذلك قال: كتبنا على بني إسرائيل، والأول أصحّ وأشهر﴿ بِالْحَقِّ﴾ تلأو ة متلبسة بالحق، أو أتله متلبساً بالصدق﴿ إِذْ قَرَّبا﴾ ظرف لـ(نبأ) أو حال منه ﴿ قُرْباناً﴾ وكان هابيل ذا ضرع فقرّب من خير غنمه، وقابيل ذا زرع فقرب أرداه﴿ فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِما ولَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ﴾ إذ قرّب شرّ ماله﴿ قالَ لأَقْتُلَنَّكَ ﴾ توعده بالقتل حسداً له على تقبيل[1] قربانه لأنّه ﴿ قالَ﴾ جواباً له﴿ إنما يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ أي: إنما أصبت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قِبَلي فَلِمَ تقتلني؟ وفيه إشارة إلى إن الحاسد ينبغي إن يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظاً لا في إزالة حظه فإن ذلك مما يضرّه ولا ينفعه وإن الطاعة لا تقبل إلا من مؤمنٍ متّقٍ ولا يشكل بطاعة الفاسق إذا وقعت على الوجه الشرعي إذ لعل المراد (التقوى) في ذلك العلم بأن يؤتى على وجهه ـ كما يستفاد من بعض الأخبار ـ ﴿ لَئِنْ﴾ للقسم ﴿ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي ما إنا بِباسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إني أَخافُ اللّهَ رَبَّ الْعالَمِينَ﴾ قيل: كان هابيل أقوى منه ولكن تحرّج عن قتله واستسلم له خوفاً من الله إذا الدفاع لم يبح بعد، وقيل: المراد نفي بسط اليد بالقتل ولا ريب في قبح قصد القتل لأنّ وجوب حفظ النفس عقلي، وفتح ياء (يدي) نافع وأبوعمرو وحفص وياء (إني) الحرميان وأبو عمرو وياء إني﴿ إني أُرِيدُ أن تَبُوءَ﴾ ترجع متلبساً

---

(١) الأولى إن يقال: (تقبل).

﴿ بِإِثْمِي﴾ بإثم قتلي وإثمك الذي كان منك من قتلي، أو إن تحمل إثمي، أو بسطت إليك يدي﴿ وإِثْمِكَ﴾ ببسطك يدك اليّ﴿ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحابِ النَّارِ﴾ بظلمك لي﴿ وذلِكَ جَزاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ من قوله، أو قول الله، وعن الباقر(ع): من قتل مؤمناً أثبت الله على قاتله جميع الذنوب وبرأ المقتول منها وذلك قول الله: إني أريد أن تبوء... إلخ، وعن الصادق (ع): إن الله أوحى إلى آدم أن يدفع الوصية واسم الله الأعظم إلى هابيل، وكان قابيل أكبر، فبلغ ذلك قابيل فغضب فقال: أنا أولى بالكرامة والوصية فأمرهما أن يقربا قرباناً بوحيٍ من الله ففعلا فتقبل الله قربان هابيل، فحسده قابيل فقتله﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ فيسرته له ووسعته، من طاع له المرتع أي: اتّسع، أو زيّنته، ولفظ (له) لزيادة الربط﴿ فَقَتَلَهُ﴾ وهو ابن عشرين سنة بالهند، أو عقبة حراء، أو موضع مسجد البصرة﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾ للدارين إذ بقي مدة عمره طريداً فزعاً﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُراباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ﴾ حال من فاعل ﴿يُوارِي﴾ أي: يستر والجملة مفعول ثان لـ(يريه)﴿ سَوْأَةَ أَخِيهِ﴾ جيفته، إذ هي مما يكره﴿ قالَ﴾ تحسراً﴿يا وَيْلَتى﴾ يا هلكتاه احضري فهذا وقتك، وألفها بدل ياء المتكلم﴿ أَ عَجَزْتُ أن أَكُونَ مِثْلَ هذَا الْغُرابِ﴾ في العلم، ﴿ فَأُوارِيَ سَوْأَةَ أَخِي﴾ عطف على (أكون)﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ على قتله، لإسوداد جسده، وتبري أبيه منه، وحمله له إذ تحير فيه ولم يندم توبة، وعن الصادق(ع): قتل قابيلُ هابيلَ وتركه بالعراء لا يدري ما يصنع به، فقصده السباع فحمله في جراب على ظهره حتى أروح[1]، وعكفت عليه الطير والسباع تنتظر متى

---

(١) أي: بدأت تخرج منه الرائحة.

يرمي به فتأكله فبعث الله غرابين فاقتتلا، فقتل أحدهما الآخر ثم حفر له بمنقاره وبرجليه ثم ألقاه في الحفيرة وواراه وقابيل ينظر اليه، فوارى أخاه، وعن الباقر (ع): إن قابيل معلّق بقرونه في عين الشمس تدور به حيث دارت في زمهريرها وحميمها إلى يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة، صيّره الله إلى النار.

[سورة المائدة الآيات ٣٢ - ٣٦]

مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾

﴿ مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَتَبْنا عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ﴾ بسبب فعل قابيل حكمنا عليهم، وأصله مصدر (أجل شراً) أي: جناه، استعمل في تعليل الجناية، ثم في كل تعليل توسعاً، و(من) إبتدائية أي: ابتداء من أجل ذلك ﴿ إنهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ بغير قتل نفس يوجب القود﴿ أو ﴾ بغير﴿ فَسادٍ﴾ فعله﴿ فِي الأَرْضِ﴾ من كفر، أو قطع طريق ونحوه﴿ فَكانما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾ لأنه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرى الناس عليه، أو لإستواء قتل الواحد والجميع في إستجلاب العذاب ﴿ وَمَنْ أَحْياها﴾ إنقذها من سبب هلكة﴿ فَكانما أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾ والمقصود: تعظيم قتل النفس وإحيائها ليرهب ذلك ويرغب في ذا، وعن الصادق (ع): وادٍ في جهنم لوقتل الناس جميعاً كان فيه ولو قتل نفساً واحدة كان فيه، وعن الباقر (ع): يوضع في موضع من جهنم إليه ينتهي شدة عذاب أهلها لوقتل الناس جميعاً كان إنما يدخل ذلك المكان قيل: فإن قتل آخر؟ قال: يتضاعف عليه ﴿ ولَقَدْ جاءتْهُمْ رُسُلُنا بِالْبَيِّناتِ ثُمَّ إن كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذلِكَ﴾ بعد ما كتبنا عليهم وجاءتهم رسلنا بالآيات الواضحة ﴿ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ مجاوزون الحد بالقتل والشرك، وعن الباقر(ع): المسرفون هم الذين يستحلون المحارم ويسفكون الدماء﴿ إنما جَزاءُ الَّذِينَ يُحارِبُونَ اللّهَ ورَسُولَهُ﴾ بمحاربة أوليائهما، أو سائر المسلمين، جعل محاربتهم محاربتهما

تعظيماً، و(المحارب) من شهر السلاح لإخافة المسلم ولو في مصر﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَساداً﴾ مفسدين، أو للفساد، أو يفسدون فساداً إذ سعيهم فساد﴿ إن يُقَتَّلُوا﴾ قصاصاً، أو حداً على تقدير العفوبلا صلب إن أفردوا القتل ﴿ أو يُصَلَّبُوا﴾ مع القتل إن قتلوا وأخذوا المال﴿ أو تُقَطَّعَ أيدِيهِمْ وأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ ﴾ اليد اليمنى والرجل اليسرى إن أخذوا المال ولم يقتلوا﴿أو يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ﴾ من بلدٍ إلى بلد بحيث لا يمكنون من القرار في بلد إن أخافوا فقط، والآية لم تفد التفضيل بل ظاهرها التخيير للإمام ـ كما في جملة من الأخبار ـ سئل الصادق (ع) عن الآية فقال: ذلك إلى الإمام يفعل به ما يشاء، قيل: فمفوّض ذلك إليه؟ قال: لا، ولكن نحو الجناية، وفي آخر: ليس أيّ شيء شاء صنع، ولكن يصنع بهم على قدر جناياتهم من قطع الطريق فيقتل، وأخذ المال قطعت يده ورجله وصلب، ومن قطع الطريق فقتل ولم يأخذ المال قتل، ومن قطع الطريق فأخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله، ومن قطع الطريق ولم يأخذ مالاً ولم يقتل نفي من الأرض، وعن الباقر (ع): من حمل السلاح بالليل فهومحارب إلا أن يكون رجلاً ليس من أهل الريبة ﴿ ذلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ﴾ فضيحة﴿ فِي الدُّنيا ولَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ مع ذلك﴿ إلاّ الَّذِينَ تابوا مِنْ قَبْلِ إن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾ إستثناء بالنسبة إلى حق الله فقط، ويؤيده:﴿ فَاعْلَمُوا أن اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فيقسط القتل الواجب حداً أو ينفى الجائر قوداً، وتقييد التوبة بقبل القدرة يفيد إنها بعدها لا تسقط الحد، وإن أسقطت العذاب، وعن الباقر (ع): يعني يتوب من قبل أن يأخذه الإمام﴿ يا أيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وابْتَغُوا إلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ ما تتوسلون به إلى ثوابه وجنانه ورضوانه من الطاعة، وعن علي (ع): إنها أعلى درجة في الجنة، وروي: هم الأئمة (ع) هم العروة الوثقى

والوسيلة إلى الله﴿ وَجاهِدُوا فِي سَبِيلِه﴾ أعداءه لإعزاز دينه ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تظفرون بنعيم الأبد﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ﴾ ثبت﴿ أَنَّ لَهُمْ ما فِي الأَرْضِ﴾ من صنوف الأموال﴿ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ﴾ ليجعلوه فدية لأنفسهم﴿ مِنْ عَذابِ يَوْمِ الْقِيامَةِ﴾ وتوحيد الضمير في (به) ـ مع إن المذكور شيئان ـ لإجرائه مجرى إسم الإشارة، أو لأنّ (الواو) بمعنى: (مع) ﴿ ما تُقُبِّلَ مِنْهُمْ﴾ جواب لو، و(لو) بما في حيزه جزاء، والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وإنه لا سبيل لهم إلى الخلاص منه ﴿ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ تصريح بالمقصود منه.

[سورة المائدة الآيات ٣٧ - ٤١]

يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ

سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾

﴿يُرِيدُونَ أن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وما هُمْ بِخارِجِينَ مِنْها ولَهُمْ عَذابٌ مُقيمٌ﴾ وعدل عن قوله: (وما يخرجون) إلى (ما هم بخارجين) للمبالغة، باسمية الجملة والتأكيد للنفي بالباء، وعنهم (ع): إن المراد أعداء علي (ع) ﴿والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أيديَهُما﴾ جملتان عند سيبويه إذ التقدير: فيما يتلى عليكم السارق والسارقة أي: حكمهما، وجملة عند المبرّد، و(الفاء) للسببية دخل الخبر لتضمنها معنى الشرط إذ المعنى: والذي سرق والتي سرقت، وقرأ بالنصب لأنّ الإنشاء لا يقع خبراً إلا بإخبار وتأويل والسرقة: أخذ مال الغير خفية، وإنما يوجب القطع إذا كان من حرز والمأخوذ ربع دينار، قيل: والمراد بـ(الأيدي) الإيمان، ويؤيده قراءة ابن مسعود (إيمانهما) ولذا جاز وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله (قد صغت قلوبكما) إكتفاء بتثنية المضاف اليه، وموضع القطع عندنا وسط الكف ولا يقطع الإبهام بإجماعنا ونصوصنا، وعندهم الرسغ[1] وعند الخوارج المنكب، فإن عاد قطعت

---

(١) الرّسغ: المفصل ما بين الساعد والكف.

رجله اليسرى من أصل الساق ويترك العقب، فإن عاد خلد السجن﴿ جَزاءً بما كَسَبا﴾ مفعول له، أو مصدر وكذا ﴿ نَكالاً مِنَ اللّهِ واللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ينتقم بمقتضى الحكمة ﴿ فَمَنْ تابَ﴾ من السرّاق ﴿ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِه﴾ سرقته﴿ وأصْلَحَ﴾ أمره بردّ المال، والتقصي عن التبعات، والعزم على أن لا يعود﴿ فَإن اللّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إن اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ عن الصادق (ع): من أخذ سارقاً فعفا عنه فذاك له فإذا رفع إلى الإمام قطعه فإن قال الذي سرق منه إنا أهب له لم يدعه الامام حتى يقطعه إذا رفعه اليه، وإنما الهبة قبل إن يرفع إلى الإمام﴿ ألَمْ تَعْلَمْ أن اللّهَ لَهُ مُلْكُ السَّماوات والأرْضِ﴾ الخطاب للنبي، أو لكل أحد﴿ يُعَذّبُ مَنْ يَشاءُ ويَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ واللّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قدم التعذيب على المغفرة إبتناءً على ترتيب ما سبق، أو لأنّ إستحقاق التعذيب مقدم على المغفرة، أو لأنّ المراد به القطع وهو في الدنيا ﴿ يا أيهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الّذِينَ يُسارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ أي: مسارعة المنافقين في إظهاره عند الفرصة﴿ مِنَ﴾ المنافقين﴿ الّذِينَ قالُوا آمَنَّا بِأفْواهِهِمْ ولَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ (الباء) متعلقة بـ(قالوا) و(الواو) للحال، أو العطف﴿ ومِنَ الّذِينَ هادُوا﴾ عطف على (من الذين)﴿ سَمّاعُونَ ﴾ خبر محذوف أي: هم أي: الفريقان، أو اليهود، أو مبتدأ خبره (ومن الذين) أي: اليهود قوم سمّاعون﴿ لِلْكَذِبِ﴾ (اللام) مزيدة لتضمين السماع معنى القبول أي: قائلون لما تفتريه أحبارهم، أو للعلة والمفعول محذوف أي: سمّاعون قولك ليكذبوا عليك ﴿ سَمّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ أي: قابلون لقول قوم آخرين من اليهود لم يحضروا عندك تكبراً وبغضاً لك، أو سمّاعون منك لأجلهم﴿ يُحَرّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَواضِعِه﴾ أي: يميلونه عن مواضعه التي وضعها الله فيها إما لفظاً باهمالهم أو تغيير وضعه، وإما معنى بحمله

على غير المراد وإجرائه في غير مورده، والجملة صفة أخرى، أو صفة لـ(سمّاعون) أو حال من الضمير فيه، أو استئناف لا موضع له، أو في موضع الرفع خبر المحذوف أي: هم يحرفون وكذلك﴿ يَقُولُونَ إن أوتِيتُمْ هذا فَخُذُوهُ﴾ أي: إن أوتيتم هذا المحرّف، أو ما اتفق عليه رأيكم فاقبلوه واعملوا به ﴿ وَإن لَمْ تُؤْتَوْهُ﴾ بل أفتاكم محمد (ص) بخلافه﴿ فَاحْذَرُوا﴾ إن تقبلوا، روي: إن شريفاً من خيبر زنى بشريفة ـ وكانا محصنين ـ فكرهوا رجمهما فأرسلوهما مع رهط منهم إلى بني قريظة ليسألوا رسول اللّه (ص) عنه، وقال إن أمركم بالجلد والتحميم فاقبلوه وإن أمركم بالرجم فلا، فأمرهم بالرجم فأبوا عنه فجعل ابن صوريا حكماً بينه وبينهم وأنشده اللّه: هل في كتابكم رجم من أحصن؟ قال: نعم فوثبوا عليه، فقال: خفت إن كذبته أن ينزل علينا العذاب، فأسلم وأمر النبي (ص) بالزانيين فرجما﴿ ومَنْ يُرِدِ اللّهُ فِتْنَتَهُ﴾ خذلانه بتركه مفتوناً، أو عذابه ﴿ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّهِ﴾ فلن تستطيع له من لطف اللّه، أو من دفع أمره ﴿ شَيْئاً﴾ في دفعها﴿ أولئِكَ الَّذينَ لَمْ يُرِدِ اللّهُ أن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ من العقوبات المترتبة على الكفر كالختم والطبع والضيق﴿ لَهُمْ فِي الدُّنْيا خِزْيٌ﴾ هوان بإلزام الجزية على اليهود وإجلاء بني النضير منهم وإظهار كذبهم في كتمان الحق وظهور كفر المنافقين وخوفهم جميعاً من المنافقين﴿ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ وهو الخلود في النار، والضمير للذين هادوا ـ إن استأنف بقوله: ومن الذين هادوا ـ وإلا فالفريقين.

[سورة المائدة الآيات ٤٢ - ٤٥]

سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم
بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ
حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٤٢﴾
وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ
مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ
فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ
وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ
شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ
وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا
عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ
وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن

تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾

﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ كرره للتأكيد﴿ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ أي: الحرام كالرشا من سحته إذا استأصلته لأنه مسحوت البركة، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ويعقوب بضمتين، وهما لغتان كالعتق والعنق، وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر، وسئل الصادق (ع) عن السحت؟ قال: الرشا في الحكم، وعنه (ع) السحت ثمن الميتة وثمن الكلب وثمن الخمر ومهر البغي والرشوة وأجر الكاهن، وعن الباقر (ع): كل شيء غلّ من الإمام هو سحت، وأكل مال اليتيم وشبهه سحت، والسحت: أنواع كثيرة منها: أجور الفواجر وثمن الخمر والنبيذ والمسكر والربا بعد البيّنة، فأما الرشا في الحكم فإن ذلك الكفر بالله العظيم وبرسوله (ص)﴿ فَإِن جَاؤُكَ﴾ متحاكمين إليك﴿ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَو أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ خيّره بين الحكم والإعراض، وقيل: نسخ بآية (وإن احكم بينهم)، وعن الباقر (ع): إن الحاكم إذا أتاه أهل التوراة وأهل الإنجيل يتحاكمون اليه كان ذلك اليه إن شاء حكم بينهم وإن شاء تركهم ﴿ وإن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً﴾ بأن يعادوك لإعراضك عنهم فإن الله يعصمك من الناس﴿ وإن حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل الذي أمر الله به ﴿ إن اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ فيحفظهم ويعظم شأنهم﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْراةُ فِيهاحُكْمُ اللَّهِ﴾ تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به، والحال إن الحكم منصوص عليه في الكتاب الذي عندهم وتنبيه على أنهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق وإقامة الشرع وإنما طلبوا به ما يكون أهون عليهم وإن لم يكن حكم الله في

زعمهم، وفيها حكم الله حال من التوراة إن رفعتها بالظرف وإن جعلتها مبتدأ فمن ضميرها المستكن فيه، وتأنيثها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم لفظاً كـ(مرماة) ﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ﴾ التحكيم﴿ وما أُولئكَ بِالْمُؤْمنينَ﴾ بكتابهم لإعراضهم عنه أولاً، وعمّا يوافقه ثانياً، أو بك وبه﴿ إنا أنزلنَا التَّوْراةَ فِيها هُدىً﴾ بيان للحق ﴿ ونُورٌ﴾ يكشف ما بينهم من الأحكام﴿ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذينَ أَسْلَمُوا﴾ صفة مادحة للنبيين منوّهة بشأن المسلمين معرضة بأن اليهود بعداء من دين الأنبياء ﴿لِلَّذينَ هادُوا﴾ متعلق بـ(يحكم﴾ أي: يحملونهم على أحكامها، أو بـ(أنزل) ﴿والرَّبانِّيونَ﴾ الكاملون علماً وعملاً عطف على (النبيون)﴿ وَالأَحْبارُ﴾ العلماء ﴿ بِمَا اسْتُحْفِظُوا﴾ بسبب الذي كلفهم الله حفظه عن التبديل﴿ مِنْ كِتابِ اللّهِ﴾ بيان﴿ وكانوا عَلَيْهِ شُهَداءَ﴾ رقباء لا يتركون إن يغيّروا، أو شهداء يبينون ما يخفى منه، قيل: هم علماؤهم وزهّادهم السالكون طريقة أنبيائهم، وقال الباقر (ع): في الآية: فينا نزلت، وعن الصادق (ع): الربأنيون هم الأئمة (ع) دون الأنبياء الذين يربون الناس بعلمهم، والأحبار هم العلماء دون الربأنيين، قال: ثم أخبر عنهم فقال: (بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء) ولم يقل بما جهلوا منه ﴿ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ﴾ أيها الحكام في حكوماتكم، أو أيها اليهود في إظهار الحق ﴿ واخْشَوْنِ﴾ في الحكومة، أو كتمان الحق﴿ ولا تَشْتَرُوا بآياتي﴾ ولا تستبدلوا بأحكامي التي أنزلتها﴿ ثَمَناً قَليلاً﴾ من رشوة، أو جاه﴿ ومَنْ لَمْ يَحْكُمْ بما أنزل اللّهُ فَأولئكَ هُمُ الْكافِرُونَ﴾ عن الصادق (ع): من حكم في درهمين بغير ما أنزل الله فقد كفر، ومن حكم في درهمين فاخطأ كفر، وعنه (ع): ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون، وسئل (ع) كفر بما أنزل الله

أو بما أنزل الله على محمد (ص)؟ فقال: ويلك! إذا كفر بما أنزل الله على محمد (ص) أ ليس قد كفر بما أنزل الله، وعنه (ع): من حكم في درهمين بغير ما أنزل الله ممن له سوط أو عصى فهو كافر بما أنزل الله على محمد (ص)، وقيل: المراد: من لم يحكم بما أنزل الله إستهانة فهو كافر للإستهانة ووصفوا بالظلم لحكمهم بخلافه، وبالفسق لخروجهم عنه والمستفاد من الأخبار كظاهر الآية عموم الصفات الثلاث، وقيل: هي في اليهود خاصة وقيل: هذه في المسلمين، والظالمون في اليهود، والفاسقون في النصارى ﴿ وكَتَبْنا﴾ فرضنا﴿ عَلَيْهِمْ﴾ أي: اليهود﴿ فيها﴾ في التوراة ﴿ إن النَّفْسَ﴾ تقتل﴿ بِالنَّفْسِ والْعَيْنَ بِالْعَيْنِ والأَنفَ بِالأَنف والأُذُنَ بِالأُذُنِ والسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾ رفعها الكسائي على إنها جملة معطوفة على (إن) وما في حيّزها باعتبار المعنى، كانه قيل: كتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين، فإن الكتابة والقراءة يقعإن فيه على الجمل كالقول، أو جمل مستأنفة ومعناها: وكذلك العين مفقوءة بالعين، والأنف مجدوعة بالأنف، والأذن مصلومة بالأذن، والسن مقلوعة بالسن، أو على أن المرفوع منهما معطوف على المستكن في قوله بالنفس، وإنما ساغ لأنه في الأصل مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور حال مبنية للمعنى﴿ والْجُرُوحَ ﴾ غير ما ذكر أو الأعم منه، ورفعه الكسائي أيضاً وابن كثير وأبوعمرووابن عامر لمامرّ ﴿ قِصاصٌ﴾ ذات قصاص إن أمكن وإلا فالأرش، القمي: إنه منسوخ بقوله: (كتب عليكم القصاص في القتلى الحرّ بالحر والعبد بالعبد) وقوله: (والجروح قصاص) لم ينسخ، وروي إن الآية محكمة ويمكن الجمع باحكام آخرها، أو إن المراد: ظاهره منسوخ أي: عمومه وإن كان في الحقيقة تخصيصاً بالنفس المساوي لها ﴿ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ﴾ أي: بالقصاص أي: عفا عنه﴿ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ عن الصادق (ع): يكفر

عنه ذنوبه بقدر ما عفا من جراح وغيره﴿ ومَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أنزل اللّهُ فَأولئكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ من الأحكام.

[سورة المائدة الآيات ٤٦ - ٥٠]

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن

تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَـٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

﴿ وقَفَّيْنا عَلى آثارِهِمْ﴾ أي: أتبعناهم على آثارهم، فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير لـ(تبيينه)﴿ بعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ مفعول ثان عدى اليه الفعل بالياء﴿مُصَدِّقاً لما بَيْنَ يَدَيْهِ منَ التَّوْراةِ وآتَيْناهُ الإنجيل فِيهِ هُدىً ونُورٌ﴾ حال﴿ ومُصَدِّقاً لما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْراةِ﴾ عطف عليه وكذا ﴿ وهُدىً ومَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ ويجوز نصبهما على المفعول له لـ(آتيناه) مقدراً﴿ ولْيَحْكُمْ أهل الإنجيل بِما أنزل اللَّهُ فِيهِ﴾ أي: وقلنا ليحكم، ونصبه حمزة وكسر لامه عطفاً على (هدى) إن جعل مفعولا له، وإلا علق بمحذوف أي: وليحكم﴿ ومَنْ لَمْ يَحْكُمْ بما أنزل اللَّهُ فَأولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ﴾ والآية تفيد اشتمال الإنجيل على الأحكام واستقلال شرع عيسى ونسخه لليهودية وفي رواية العامة عن النبي (ص): إن أولئك هم الظالمون هم الفاسقون في الكفّار خاصة﴿ وأنزلنا إِلَيْكَ الْكتابَ﴾ القرآن﴿ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكتابِ﴾ من جنس الكتب المنزلة فـ(اللام) الأولى للعهد والثانية للجنس﴿ ومُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾ ورقيباً على سائر الكتب بحفظه عن التغيير ويشهد لها بالصحة والثبات﴿ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أنزل اللَّهُ ولاتَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ﴾ عادلاً﴿ عَمَّا جاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ أو ضمّن لا تتبع معنى: لا تزغ فعدى بـ(عن)﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ﴾ أيها الناس﴿ شِرْعَةً﴾ وهي الطريقة إلى الماء، شبه به الدين لأنّه طريق إلى ما هوسبب

الحياة الأبدية، وقرأ بفتح الشين﴿ ومِنْهاجاً﴾ واضحاً في الدين من نهج الأمر إذا وضح وعن الباقر(ع): الشرعة والمنهاج سبيل وسنّة﴿ ولَوشاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً﴾ جماعة متفقة على دين واحد في جميع الأعصار من غير نسخ وتحويل، ومفعول (لوشاء) محذوف دلّ عليه الجواب، وقيل المعنى: لوشاء اللّه إجتماعكم على الإسلام لأجبركم عليه ﴿ ولكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ﴾ من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تقبلونها معتقدين إن اختلافها لمصالح بحسب الأحوال أم لا؟﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ﴾ فابتدروها أنتهازاً للفرصة، وحيازةً لفضل السبق والقدم ﴿ إلى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً﴾ إستئناف فيه تعليل الأمر بالإستباق، ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين﴿ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل، والعامل والمقصّر﴿ وأن احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أنزل اللَّهُ ﴾ عطف على (الكتاب) أي: أنزلنا إليك الكتاب والحكم، أو على (الحق) أي: أنزلناه بالحق وبأن احكم، ويجوز أن يكون جملة بتقدير: وأمرنا أن احكم، وعن الباقر (ع): إنما كرر الأمر بالحكم بينهم لأنّهما حكمإن أمر بهما جميعاً لأنّهم احتكموا اليه في زنى المحصن ثم احتكموا في قتل كان بينهم﴿ ولا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ واحْذَرْهُمْ أن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ ما أنزل اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ أي: يضلّوك ويصرفوك عنه، و(إن) بصلته بدل من (هم) بدل الإشتمال أي: احذرهم فتنتهم، أو مفعول أي: احذرهم مخافة أن يفتنوك، نزلت في قريظة والنضير في الحكاية السالفة عنهم، وقيل: روي: إن أحبار اليهود قالوا: اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه، قالوا: يا محمد قد عرفت إنا أحبار اليهود وإنا إن إتّبعناك إتّبعنا اليهود كلهم، وإن بيننا وبين قومنا خصومة، فنتحاكم فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك، فأبى ذلك

رسول الله (ص)، فنزلت﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن الحكم المنزل وطلبوا غيره﴿ فَاعْلَمْ إنما يُرِيدُ اللّهُ أن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ أي: ذنب التولي عن حكم الله، فعبّر عنه بذلك تنبيهاً على أن لهم ذنوباً كثيرة وهذا ـ مع عظمه ـ واحد منها معدود من جملتها، وفي لفظ (بعض) دلالة على التعظيم كما في التنكير﴿ وإن كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفاسِقُونَ﴾ المتمردون في الكفر المعتدون فيه﴿ أ فَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ الذي فيه الميل والمداهنة في الحكم أي: الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى وقرئ برفع (الحكم) على إنه مبتدأ و(يبغون) خبره والراجع محذوف حذفه في الصلة في قوله (أ هذا الذي بعث الله رسولاً) وقرأ ابن عامر (تبغون) بالتاء﴿ ومَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أي: عندهم و(اللام) للبيان أي: هذا الإستفهام لقوم يوقنون فإنهم هم الذين يتدرون الأمور ويتحققون الأشياء بأنظارهم، وعن الصادق(ع): الحكم حكمان: حكم الله وحكم الجاهلية، فمن أخطأ حكم الله حكم بحكم الجاهلية.

[سورة المائدة الآيات ٥١ - ٥٧]

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۢ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌۭ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۭ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍۢ

مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

﴿ يا أيها الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخذُوا اليَهُودَ والنَّصارى أولياء﴾ توادونهم وتعتمدون عليهم﴿ بَعْضُهُمْ أولِياءُ بَعْضٍ﴾ علة النهي أي: إنما يوالي بعضهم بعضاً لإتحادهم في الكفر واجتماعهم على مضارتكم قال الصادق (ع): لا يتوارث أهل ملّتين نحن

نرثهم ولا يرثونا ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ أي: من استنصرهم فإنه كافر مثلهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ لأنفسهم بموالاة الكفّاروالمؤمنين بموالاة أعدائهم﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أيّ شك كابن أبيّ وأحزابه ﴿ يُسارِعُونَ فِيهِمْ﴾ أي: في موالاتهم ومعاونتهم﴿يَقُولُونَ﴾ معتذرين عنهم ﴿ نَخْشى أَنْ تُصِيبَنا دائِرَةٌ ﴾ دولة تدور للكفّار فنحتاج إليهم، قيل: قال عبادة بن الصامت للنّبي (ص): إن لي موالي من اليهود كثيراً عددهم وإني أبرأ إلى اللّه ورسوله من ولايتهم وأوالي اللّه ورسوله، فقال ابن أبيّ: لا أبرأ من ولايتهم، لأنّي أخاف الدوائر، فنزلت ﴿ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ بالنصر لرسوله (ص) على أعدائه﴿أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ بقتل اليهود وإجلائهم، أو إظهار نفاق المنافقين وقتلهم﴿ فَيُصْبِحُوا﴾ أي: المنافقين ﴿ عَلى ما أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ من الشك في أمر النبي (ص) وموالاتهم اليهود ﴿ نادِمِينَ﴾ على ما استبطنوه من الكفر والشك في أمر رسول اللّه (ص) ـ فضلاً مما أظهروه ـ وعن الصادق (ع): في الآية قال: أذن في هلاك بني أمية بعد إحراق زيد سبعة أيام﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائي على إنه كلام مبتدأ، أو على إنه جواب قائل يقول: فإذا يقول، وقرأه بالنصب أبوعمرو ويعقوب عطفاً على (أن يأتي) باعتبار المعنى كانه قال: عسى اللّه إن ياتي بالفتح ويقول المؤمنين الذين آمنوا، أو يجعله بدلاً من إسم اللّه داخلاً في اسم (عسى) مغنياً عن الخبر بما تضمنه من الحدث، أو على الفتح بمعنى: عسى اللّه أن يأتي بالفتح ويقول المؤمنين، فإن الإتيان بما يوجبه كالإتيان به ﴿ أَ هؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ إِيمانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ﴾ يقوله المؤمنين بعضهم لبعض تعجباً من حال المنافقين حلفوا لهم بالمعاونة، وتبجحاً بما منّ اللّه عليهم من الإخلاص، أو يقولون

لليهود فإن المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة ـ كما حكى الله عنهم ـ وإن قوتلتم لننصرنكم وجهد الإيمان أغلظها وهو في الأصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير: واقسموا بالله يجتهدون جهد أيمانهم، فحذف الفعل وأقيم المصدر ونصبه مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة، أو على المصدر لأنّه بمعنى: أقسموا﴿ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ﴾ من جملة المقول، أو قول الله شهادة لهم، وفيه معنى التعجب، كانه قيل: ما أحبط أعمالهم ما أخسرهم﴿ فَأَصْبَحُوا خاسِرِينَ﴾ للدارين﴿ يا أيهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ القمي: هو مخاطبة لأصحاب رسول الله (ص) الذين غصبوا آل محمد (ص) حقهم وارتدوا عن دين الله﴿ مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ وفي تفسير الثعلبي عن ابي هريرة عن النبي (ص) قال: يرد عليّ يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض فأقول يا رب أصحابي أصحابي، فيقال: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم إرتدوا على أدبارهم القهقرى من يرتد منكم عن دينه أدغمه من عدا نافع وابن عامر﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ بدلهم﴿ يُحِبُّهُمْ﴾ يوفقهم لرضاه ويحسن ثوابهم﴿ ويُحِبُّونَهُ﴾ يطيعونه ولا يعصونه﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ عاطفين عليهم بتذلل جمع (ذليل) ودخول (على) لتضمين معنى العطف، أو للتنبيه على إنهم ـ مع فضلهم وعلوّهم على المؤمنين ـ متواضعون لهم﴿ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ﴾ أشداء عليهم من عزه أي: غلبه﴿ يُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ صفة (لقوم) أيضاً، أو حال عن فاعل (أعزة) ﴿ ولا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾ عطف على يجاهدون أي: جامعون بين المجاهدة في سبيله والتصلب في دينه، أو حال وفي (لومة) وهي: المرة من اللوم مبالغة كتنكير (لائم) ﴿ ذلِكَ﴾ المذكور من الأوصاف﴿ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ﴾ ممن يعلمه أهلاً له﴿ واللَّهُ واسِعٌ ﴾كثير الفضل﴿ عَلِيمٌ﴾ بمن يستحقه، والموصوفون

بالصفات المذكورة على ما رواه عمّار وحذيفة وابن عبّاس وجميع أهل البيت (ع) الذين هم أدرى بما فيه أمير المؤمنين وأصحابه وقتالهم الناكثين والقاسطين والمارقين إذ لا ريب في اختصاصه بالصفات المذكورة، ويشهد للمحبّة خبرالطائر، والراية وغيرهما ولينه للمؤمنين، وشدّته على الكافرين، وجهاده للمتمردين، وتغلّبه في الدين يشهد به أعداؤه فضلاً عن مواليه، وروى القمي: إنها في المهدي وأصحابه، ويعضده لفظ (سوف) مما يشعر إنهم غير موجودين زمن الخطاب والحق التعميم وذكر بعض المفسرين أنهم قوم من أهل اليمن، وقيل: الفرس، وقيل: الأنصار، والكل رجم بالغيب وتقوّل على اللّه بلا ريب﴿ إنما وَلِيُّكُمُ ﴾ الأولى بكم والمتولي أموركم ﴿ اللَّهُ ورَسُولُهُ والَّذِينَ آمَنُوا﴾ لما نهى تعالى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبة من هو حقيق بها، ولم يقل أولياؤكم للتنبيه على أن الولاية للّه وللرسول وللمؤمنين واحدة﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ ويُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ صفة (الذين آمنوا) لأنّه جرى مجرى الأسماء، أو بدل منه ويجوز رفعه ونصبه على المدح﴿ وهُمْ راكِعُونَ﴾ حال من فاعل يؤتون أي: يؤتون الزكاة في حال ركوعهم في الصلاة حرصاً على الإحسان ومسارعة إليه، وقد أطبق المفسرون وتواترت الأخبار من الخاصة على نزول الآية في علي (ع) حين سأل سائل وهو راكع في صلاته فأومى إليه بخنصره فأخذ خاتمه، ورواه الجمهور مستفيضاً والآية نص في إمامته ونفي إمامة من تقدمه لحصر الولاية في اللّه ورسوله ومن وصف، ولم يتصف بذلك أحد سواه ـ إجماعاً ـ وعبّر عنه بالجمع تعظيماً، والحصر بالنسبة إلى زمانه، أو إلى من عدا الأئمة من ولده (ع)، أو لوقوع هذا الفعل من كل منهم (ع)، وظاهر الآية وإن كان ثبوت الولاية للّه ولرسوله وله بالفعل في الحال، لكن إمتناع

تصرف النائب والمنوب عادةً وعرفاً صرف عنه في حقه (ع)، فحملت على ولايته في المآل، أو على كمال استعداده لها في الحال وترتب آثارها عليها في المآل، وحصرها بمن له الصفات يأبى حملها على النّصرة لعمومها لكل المؤمنين والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، فلا عبرة بمناسبتها لما قبل وما بعد ﴿ ومَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ ورَسُولَهُ والَّذينَ آمَنُوا﴾ أي: يتخذهم أولياء﴿ فَإن حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغالِبُونَ﴾ أي: فإنهم الغالبون ووضع الظاهر موضع الضمير تنبيهاً على البرهان عليه أي: من يتول هؤلاء فهم حزب الله، وحزب الله هم الغالبون وتنويهاً بذكرهم وتعظيماً لشأنهم وتشريفاً لهم بهذا الإسم وتعريضاً بموالي غير هؤلاء بأنهم حزب الشيطان وأصل الحزب القوم يجتمعون لأمر حزبهم﴿ يا أيهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخذُوا الَّذينَ اتَّخَذُوا دينَكُمْ هُزُواً ولَعِباً مِنَ﴾ بيانية ﴿ الَّذينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ والْكُفَّارَ﴾ جرّه أبوعمرو والكسائي عطفاً على (الذين أوتوا) ونصبه الباقون عطفاً على (الذين اتخذوا) ﴿ أو لِياءَ﴾ ثاني مفعولي (تتخذوا)﴿ واتَّقُوا اللَّهَ﴾ في مناهيه ﴿ إن كُنْتُمْ مُؤْمِنينَ﴾ إذ الإيمان حقاً يقتضي ذلك، أو إن كنتم مؤمنين بوعده ووعيده، قيل: نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث أظهر الإسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما.

[سورة المائدة الآيات ٥٨ - ٦٤]

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ

وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلُ وَأَنَّ أَكۡثَرَكُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلۡ هَلۡ
أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ
وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا
وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ
بِٱلۡكُفۡرِ وَهُمۡ قَدۡ خَرَجُواْ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكۡتُمُونَ ﴿٦١﴾
وَتَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ
لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ
عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿٦٣﴾
وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ
مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ
مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ
ٱلۡقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ
فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٦٤﴾

﴿ وإذا ناديتم﴾ بالأذان﴿ إلى الصلاة اتخذوها﴾ أي: الصلاة، أو المناداة ﴿ هزواً ولعباً﴾ سخرية وضحكة، ويفيد مشروعية الأذان للصلاة، روي: إن نصرانياً بالمدينة كان إذا سمع المؤذن يؤذن بالأذان يقول: (أشهد أن محمداً رسول الله (ص)) قال: أحرق الله الكاذب، فدخل خادمه ذات ليلة بنار وأهله نيام، فتطاير شررها في البيت فأحرقه وأهله﴿ ذلكَ﴾ الإتخاذ﴿ بأنهمْ﴾ بسبب أنهم﴿ قومٌ لا يعقلونَ﴾ فإن السفه يؤدي إلى الجهل بالحق والهزوية والعقل يمنع منه﴿ قلْ يا أهل الكتاب هلْ تنقمونَ﴾ تنكرون ﴿ منّا﴾ وتعيبون﴿ إلاّ أن آمنّا بالله وما أنزل إلينا﴾ من القرآن ﴿ وما أنزل منْ قبلُ﴾ إلى الأنبياء من الكتب المنزلة﴿ وإن أكثرَكمْ فاسقونَ﴾ عطف على (أن آمنا) أي: ما تنكرون منّا إلا مخالفتكم إذ دخلنا الإيمان وأنتم خارجون منه، فالمستثنى لازم الأمرين وهو المخالفة، أو بحذف مضاف أي: واعتقاد إن أكثركم، أو على المجرور أي: ما تنقمون منا إلا إيماننا بالله وبما أنزل وبأن أكثركم فاسقون، قيل: الآية خطاب ليهود سألوا رسول الله (ص) عمن يؤمن به وقال: أؤمن بالله وما أنزل إلينا إلى قوله﴿ ونحنُ لهُ مسلمونَ﴾ فقالوا له ـ حين سمعوا ذكر عيسى ـ: لا نعلم ديناً شراً من دينكم ﴿ قلْ هلْ أنبئكمْ بشرٍّ منْ ذلكَ﴾ المنقوم﴿ مثوبةً عندَ الله﴾ جزاءً ثابتاً عنده، والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة مختصة بالشر وضعت موضعها للتهكم نصبت تمييزاً ﴿ منْ لعنهُ اللهُ﴾ أبعده من رحمته، و(من) بدل من (شر) بحذف مضاف أي: بشرّ من أهل ذلك من لعنه أو بشرّ من ذلك دين من لعنه، أو خبر محذوف أي: هو من لعنه، الله﴿ وغضبَ عليه﴾ لكفره وإنهماكه في المعاصي بعد وضوح الآيات ﴿ وجعلَ منهمُ القردةَ والخنازيرَ﴾ أي: مسخ أصحاب السبت قردة، وكفّار مائدة عيسى خنازير، وقيل: المسخان في أهل

السبت مسخ شبأنهم قردة وشيوخهم خنازير، وروعي في (منهم) معنى: من، وفيما قبلها لفظها﴿ وعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ عطف على صلة (من) وكذا عبد الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت و(عبد) بمعنى: صار الطاغوت معبوداً، فيكون الراجع محذوفا أي: فيهم، أو بينهم، ومن قرأ (عابد الطاغوت) أو (عبد) على إنه نعت، أو (عبد الطاغوت) بالجرّ عطف على (من) والمراد بـ(الطاغوت): العجل، وقيل: الكهنة وكل من أطاعوه في معصية الله، وقرأ حمزة (عبدة الطاغوت) بضم الباء وجر التاء، والباقون بفتح الباء ونصب التاء﴿ أولئكَ﴾ الملعونون ﴿ شَرٌّ مَكاناً﴾ جعل مكانهم شراً ليكون أبلغ في الدلالة على شرارتهم، وقيل: مكاناً متصرفاً ﴿ وأضَلُّ عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ﴾ قصد الطريق المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود، والمراد من صيغتي التفصيل زيادة مطلوبه لا بالإضافة إلى المؤمنين في الشرارة والضلالة ﴿ وَإِذا جاؤُكُمْ﴾ أي: منافقو اليهود﴿ قالُوا آمَنَّا﴾ والقمي : نزلت في عبد اللّه بن أبيّ﴿ وقَدْ دَخَلُوا﴾ إليك متلبسين﴿ بِالْكُفْرِ وهُمْ قَدْ خَرَجُوا ﴾ من عندك متلبسين ﴿ بِهِ﴾ ولم يؤثر فيهم وعظك، والجملتان حال من فاعل (قالوا)﴿ واللّهُ أَعْلَمُ بِما كانوا يَكْتُمُونَ﴾ من الكفر وفيه وعيد لهم﴿ وتَرى كَثِيرا﴾ من اليهود﴿ يُسارِعُونَ فِي الإِثْمِ﴾ الكذب، أو الكفر﴿ وَالْعُدْوانِ﴾ تعدي حدود اللّه﴿ وأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ الحرام كالرشا﴿ لَبِئْسَ ما كانوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: لبئس شيء، أو الذي عملوه﴿ لَولا يَنْهاهُمُ الرَّبّانِيُّونَ والأَحْبارُ﴾ علماؤهم تحضيض لعلمائهم على النهي﴿ عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ ما كانوا يَصْنَعُونَ﴾ فإن (لولا) إذا دخلت على الماضي أفاد التوبيخ، وإذا دخل على المستقبل أفاد التحضيض و(لبئس ما كانوا يصنعون) أبلغ من (لبئس ما كانوا يعملون) من حيث أن الصنع: عمل الإنسان بعد تدرّب منه

وتردد وتحري، فيفيد إن ترك إنكار المعصية أقبح من إرتكابها وعن ابن عباس: هي أشدّ آية في القرآن ﴿ وقالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ قيل: أي: هوممسك يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود، وقيل: أي: فقير لقوله تعالى (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء)[١] وعن الصادق (ع): أي: فرغ من الأمر ليس يحدث شيئاً فردّ اللّه عليهم: ﴿ غُلَّتْ أيديهِمْ ولُعِنُوا بما قالُوا﴾ دعاء عليهم﴿ بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتان﴾ ثنى اليد مبالغة في الرد ونفي البخل والفراغ وإثباتاً لغاية الجود والإفاضة، فإن غاية ما يبذله السخي أن يعطي بيديه، وتنبيهاً على منح الدنيا والآخرة وعلى ما يعطي للإستدراج وما يعطي للإكرام﴿ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشاءُ﴾ أي: يقدم ويؤخر، ويزيد وينقص وله البداء والمشيئة على ما تقتضيه الحكمة والصلاح﴿ ولَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ ما أنزل إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم﴿ طُغْياناً﴾ تمادياً في الجحود﴿ وَكُفْراً وأَلْقَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ والْبَغْضاءَ إلى يَوْمِ الْقِيامَةِ﴾ فكلامهم مختلف، وقلوبهم شتى﴿كُلَّما أوقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ كلما أرادوا محاربة غلبوا، قيل: كانوا في أشدّ بأس وأمنع دار حتى أن قريشاً كأنت تعتضد بهم، وكان الأوس والخزرج تتكثر بمظاهرتهم فذلوا وقهروا، وقتل النبي (ص) بني قريظة وأجلى بني النضير، وغلب على خيبر وفدك فستأصل اللّه شأفتهم[٢] حتى صاروا في كل بلدة أذل أهلها، وللحرف صلة (أو قدوا) أو صفة (ناراً) ﴿ ويَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَساداً﴾ أي: للفساد بإجتهادهم في المعاصي﴿ واللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي: يعاقبهم .

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٨١.

(٢) يقال: (استأصل الله شأفتهم) أي: أزالهم من أصلهم.

[سورة المائدة الآيات ٦٥ - ٧٠]

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾

لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَاءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾

﴿ولوأن أهل الْكتابِ آمَنُوا﴾ بمحمد (ص) ﴿ واتَّقَوْا﴾ الكفر ﴿ لَكَفَّرْنا عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ﴾ غفرناها لهم ﴿ ولأدْخَلْناهُمْ جَنَّاتِ النَّعيمِ﴾ مع من آمن فإن الإسلام يجب ما قبله ﴿ ولَو أنهُمْ أقامُوا التَّوْراةَ والإنجيل﴾ عملوا بما فيهما ﴿ وما أنزل إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ من سائر كتبه، أو القرآن، وعن الباقر (ع): يعني: الولاية ﴿ لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ ومِنْ تَحْتِ أرْجُلِهِمْ﴾ لوسع عليهم الرزق وأفيض عليهم بركات من السماء والأرض، والقمي: من فوقهم المطر ومن تحت أرجلهم النبات ﴿ مِنْهُمْ أمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وكَثيرٌ مِنْهُمْ ساءَ ما يَعْمَلُونَ﴾ بئس عملهم، أو شيء، أو الذي يعملونه، أو ما أسوء عملهم ﴿ يا أيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أنزل إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ في علي (ع)، فعنهم (ع): كذا نزلت، أو جميعه ولا تكتم منه شيئاً خوف أحد ﴿ وإن لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ﴾ وجمعها نافع وابن عامر وأبو بكر أي: إن تركت تبليغ ما أنزل إليك في علي فكانك لم تبلغ شيئاً من رسالات ربك، إذ كتمان بعضها ككتمان في استحقاق العقاب ﴿ واللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ يضمن لك العصمة منهم أن يقتلوك، أو ينالوك بسوء روى الثعلبي والحسكاني وجماعة من العامة عن ابن عبّاس وجابر: إن الله أمر نبيه (ص) أن ينصب علياً عَلَماً للناس ويخبرهم بولايته، فتخوف أن يقولوا حابى ابن عمه، وأن يشق ذلك على جماعة من أصحابه، فنزلت هذه الآية، فأخذ بيده يوم غدير خم وقال: ألست أولى بكم من أنفسكم، قالوا: بلى قال: من كنت مولاه فعلي مولاه والروايات عن أهل البيت في ذلك متواترة، وروي: إن النبي (ص) لما نزلت هذه

الآية قال لحراس من أصحابه يحرسونه الحقوا بملاحقكم فإن الله عصمني من الناس﴿ إن اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِينَ﴾ لا يمكّنهم منك﴿ قُلْ يا أهل الْكِتابِ لَسْتُمْ عَلى شَيْءٍ﴾ أي: على دين يعتد به ويصح أن يسمى (شيئًا) لبطلانه وفساده ﴿ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْراةَ والإنجيل وما أنزل إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ من الكتب من التصديق والعمل بما فيها، ومنه الإيمان بمحمد وآله والإذعان بحكمه، وعن الباقر (ع): هو ولاية أمير المؤمنين (ع)، وعن ابن عبّاس: جاء جماعة من اليهود إلى رسول الله (ص) فقالوا: أنت تقول التوراة من عند الله؟ قال: بلى قالوا: نؤمن بها ولا نؤمن بما عدها، فنزلت الآية﴿ ولَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ ما أنزل إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْياناً وَكُفْراً فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ﴾ فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه إليهم، فإن ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم، وفي المؤمنين مندوحة[1] عنهم﴿ إن الَّذِينَ آمَنُوا والَّذِينَ هادُوا والصَّابِئُونَ والنَّصارى﴾ فسّر في البقرة الصابئون مبتدأ نوي تأخيره وحذف خبره لدلالة خبر (إن) عليه أي: والصابئون كذلك، فهو كإعتراض يفيد إن الصابئين مع وضوح ضلالتهم يتاب عليهم إن صحّ إيمانهم وصلح عملهم فغيرهم أولى، ولم يعطف على محل اسم (إن) لعدم مضي خبرها ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صالِحاً﴾ مبتدأ خبره: ﴿ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ والجملة خبر (إن) والرابط محذوف أي: (من آمن منهم) أو خبرها (فلا خوف) و(من آمن) بدل من إسمها وما عطف عليه، وقد مرّت الآية مشروحة في سورة البقرة﴿ لَقَدْ أَخَذْنا مِيثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ﴾ بالتوحيد واتباع الرسل﴿ وأَرْسَلْنا إِلَيْهِمْ رُسُلاً﴾ لإرشادهم﴿كُلَّما جاءَهُمْ رَسُولٌ بِما لا تَهْوى﴾ لا تحبه﴿ أنفسهُمْ﴾ من التكاليف

---

(١) أي: سعة وفسحة.

﴿فَرِيقاً كَذَّبُوا وفَرِيقاً يَقْتُلُونَ﴾ جزاء الشرط، أو استئناف دل عليه، والشرطية صفة ﴿رسلاً﴾ وجيء بالمضارع حكاية للحال الماضية لتستحضر فظاعتها وللفاصلة.

[سورة المائدة الآيات ٧١ - ٧٦]

وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ

يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾

﴿ وحَسِبُوا الا تَكُونَ ﴾ بالنصب ورفعه أبوعمرو وحمزة والكسائي على أن (أن) مخففة الثقيلة أي: وظنوا أن لا تقع ﴿فِتْنَةٌ﴾ عقاب لهم بتكذيب الرسل وقتلهم، ونابت (أن) وما في خبرها مفعولي (حسب) ﴿ فَعَمُوا ﴾ عن محجة الحق ﴿ وصَمُّوا ﴾ عن استماع حججه، إذ عبدوا العجل ﴿ ثُمَّ تابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ لمّا تأبوا ﴿ ثُمَّ عَمُوا وصَمُّوا ﴾ أيضاً بطلبهم المحال أي: الرؤية، أو عن الإسلام والضمير لخلفهم ﴿ كَثِيرٌ مِنْهُمْ ﴾ بدل من الواو ، أو خبر محذوف أي: أولئك كثير منهم ﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ ﴾ فيؤاخذهم به، وعن الصادق (ع): وحسبوا أن لا تكون فتنة حيث كان النبي (ص) بين أظهرهم، فعموا حيث قبض رسول الله (ص) ثم تاب الله عليهم حيث قام أمير المؤمنين (ع) فعموا وصمّوا إلى الساعة ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إن اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ هم اليعقوبية القائلون بالإتحاد ﴿ وقالَ الْمَسِيحُ يا بَنِي إِسْرائيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي ورَبَّكُمْ ﴾ فإني لست بإله بل عبد مربوب مثلكم ﴿ إنهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ ﴾ في عبادته، أو فيما يختص به من صفاته وأفعاله ﴿ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ﴾ منعه منع المحرم عليه من المحرم لأنّها دار المؤمنين ﴿ ومَأْواهُ النَّارُ ﴾ لا معدل له عنها لأنّها معدّة للمشركين ﴿ وما لِلظَّالِمِينَ مِنْ إنصارٍ ﴾ أي: ما لهم ناصر مما هم فيه وعبّر بالظاهر إيذاناً بأنهم ظلموا بإشراكهم، وهو من قول عيسى، أو كلام الله ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إن اللَّهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ ﴾ أي: أحدها والآخران عيسى وأمه، قيل: القائلون بذلك جمهور النصارى يقولونه إنه ثلاثة أقانيم جوهر واحد أب وروح

القدس إله واحد ولا يقولون: ثلاثة آلهة، ويمنعون من هذه العبارة وإن كان يلزمهم ذلك لأنهم يقولون: الإبن إله والأب إله وروح القدس إله، والابن ليس هو الأب، وعن الباقر (ع): في حديث: أما المسيح فعصوه وعظموه في أنفسهم حتى زعموا إنه إله وإنه إبن الله، وطائفة منهم قالوا ثالث ثلاثة، وطائفة قالوا: هو الله ﴿ وَ﴾ ما في الوجود﴿ مِنْ إِلهٍ إلاّ إِلهٌ واحِدٌ﴾ لا ثاني له و(من) زيدت للإستغراق﴿ وَإن لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من التثليث ويوحدوا﴿ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ (من) للبيان وعدل عن (ليمسنهم) تكريراً للشهادة بكفرهم وإشارة إلى العلة، أو للتبعيض أي: ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر لأنّ منهم من تاب﴿ عَذابٌ أَليمٌ﴾ مؤلم﴿ أَ فَلا يَتُوبُونَ إلى اللَّهِ﴾ مما هم عليه﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾ فيوحدونه بعد هذا التهديد، وفيه تعجيب من إصرارهم﴿ واللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يغفر لهم وينعم عليهم إن تأبوا ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ﴾ مضت﴿ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ خصه الله بآيات كما خصهم بها، فإن أحيى الموتى على يده فقد أحيى العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وهوأعجب، وإن خلقه من غير أب فقد خلق آدم من غير أب وأم، وهو أغرب﴿ وأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق أو المصدقات للأنبياء بيّن غاية كمالها وإنه لا يوجب إلهيتهما لمشاركة كثير لهما فيه، ثم بين نقصهما بقوله﴿كانا يَأْكُلان الطَّعامَ﴾ ويحتاجان اليه كسائر الحيوانات المركبة المصنوعة، عن علي (ع): يعني أن من أكل الطعام كان له ثفل[1] فمن كان له ثفل فهو بعيد مما ادّعته النصارى لابن مريم، والقمي: يعني كانا يحدثان فكنى عن الحدث، وكل من أكل الطعام يحدث ﴿ إنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآياتِ الدالة على

---

(١) المراد بالثفل ـ هنا ـ ما يستقر تحت الماء ونحوه من كدر وهو كناية عن الحدث.

بطلان قولهم ﴿ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ كيف يصرفون عن تدبرها وثم لتفاوت ما بين العجبين أي: إن بياننا للآيات عجيب وإعراضهم عنها أعجب ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ قيل: يعني: عيسى، وهو إن ملك ذلك بتمليك الله أياه لا تملكه من ذاته ولا يملك مثله ما يضر الله به من البلايا والمصائب وما ينتفع به من الصحة والسعة، وقدّم الضرّ لأنّ التحرز عنه أهم من تحرّي النفع ﴿ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للأقوال ﴿ ٱلْعَلِيمُ﴾ بالأحوال.

[سورة المائدة الآيات ٧٧ - ٨٢]

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ

وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾

﴿ قُلْ يا أهل الْكِتابِ لا تَغْلُوا﴾ لا تجاوزوا الحق ﴿ فِي دِينِكُمْ﴾ غلواً ﴿ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ فترفعوا عيسى وتجعلوه آلهاً، أو تضيعوه وتجعلوه لغير رشدة، أو خطاب للنصارى فقط﴿ولا تَتَّبِعُوا أَهْواءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا﴾ عن الحق وهم أسلافهم ﴿ مِنْ قَبْلُ﴾ قبل بعث محمد(ص) ﴿ وأَضَلُّوا كَثِيراً﴾ تبعهم في ضلالهم﴿ وضَلُّوا﴾ حيث بعث (ص) فكذبوه﴿ عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ﴾ الطريق المستقيم أي: الإسلام﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلى لسان داود وعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ عن الصادق (ع): الخنازير على لسان داود، والقردة على لسان عيسى، وعن الباقر (ع): إما داود فإنه لعن أهل أيلة لما اعتدوا في سبتهم، وكان اعتداؤهم في زمانه، فقال: اللهم ألبسهم اللعنة مثل الرداء ومثل المنطقة على الحقوين فمسخهم الله قردة، وأما عيسى فإنه لعن الذين أنزلت عليهم المائدة ثم كفروا بعد ذلك، وزيد في آخر فقال عيسى: اللهم عذّب من كفر بعد ما أكل من المائدة عذاباً لا تعذبه أحداً من العالمين، والعنهم كما لعنت أصحاب السبت فصاروا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل

﴿ ذلكَ﴾ اللعن﴿ بما عَصَوْا وكانوا يَعْتَدُونَ﴾ ما حرّم عليهم﴿كانوا لا يَتَناهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ أي: لا ينهى بعضهم بعضاً عن معاودة منكر فعلوه، أو عن مثل منكر فعلوه، أو عن منكر أرادوا فعله وهيئوا له، أو لا ينتهون عنه من قولهم: تناهى عن الأمر وأنتهى عنه إذا امتنع، والقمي قال: كانوا يأكلون لحم الخنزير ويشربون الخمور ويأتون النساء أيام حيضهن، وعن الصادق (ع): إما أنهم لم يكونوا يدخلون مداخلهم ولا يجلسون مجالسهم ولكن إذا لقوهم أنسوا بهم﴿ لَبِئْسَ ما كانوا يَفْعَلُونَ﴾ تعجيب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم﴿ تَرى كَثِيراً مِنْهُمْ﴾ من أهل الكتاب﴿ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يوالونهم ويصادقونهم﴿ لَبِئْسَ ما قَدَّمَتْ لَهُمْ أنفسهُمْ﴾ من الزاد لمعادهم﴿ أن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وفِي الْعَذابِ هُمْ خالِدُونَ﴾ عن الباقر (ع): يتولون الملوك الجبارين ويزينون لهم أهواءهم ليصيبوا من دنياهم ﴿ ولَوكانوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّه والنَّبِيِّ﴾ محمد، أو موسى﴿ وما أنزل إِلَيْه﴾ القرآن، أو التوراة﴿ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِياءَ﴾ لمنع الإيمان ذلك﴿ ولكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فاسِقُونَ﴾ خارجون عن الإيمان﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَداوةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ والَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ لشدة شكهم وتضاعف كفرهم وإنهماكهم في اتباع الهوى وركونهم إلى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الأنبياء ومعاداتهم ﴿ ولَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قالُوا إنا نَصارى﴾ للين جانبهم ورقّة قلوبهم وقلّة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل﴿ ذلكَ بأن مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ ورُهْباناً وإنهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن قبول الحق إذا فهموه، أو يتواضعون ولا يستكبرون، وذكر النصارى وعدأو تهم عند الصادق (ع): وقول اللّه ذلك بأن منهم قسيسين... إلخ قال: أولئك كانوا بين عيسى ومحمد (ص) ينتظرون مجيء

محمد، وقيل: هم النجاشي وأصحابه هاجر إليهم جعفر بن أبي طالب ووصف لهم النبي (ص) ودينه وتلا عليهم سورة مريم فآمنوا.

[سورة المائدة الآيات ٨٣ - ٨٩]

وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٨٥) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٨٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ (٨٨) لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ

تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٨٩﴾

﴿ وإذا سَمِعُوا ما أنزل إلى الرَّسُولِ﴾ من القرآن ﴿ ترى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ لرقّة قلوبهم ﴿مِمَّا﴾ (من) للإبتداء ﴿ عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ (من) للبيان، أو التبعيض﴿ يَقُولُونَ رَبَّنا آمَنَّا﴾ بنبيك وكتابك﴿ فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ بنبوته، أو من أمته ﴿ وَما لَنا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَما جاءَنا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أن يُدْخِلَنا رَبُّنا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ إنكار لأنتفاء الإيمان مع وجود موجبه وهوالطمع في دخلوهم مدخل الصالحين، أو جواب قائل: لم آمنتم؟ و(لا نؤمن) حال من الضمير، والعامل معنى الفعل في اللام أي: أيّ شيء حصل لنا غير مؤمنين و(نطمع) عطف على (نؤمن) أو حال عن فاعله﴿ فَأَثابَهُمُ اللَّهُ بِما قالُوا﴾ عن إعتقاد وإخلاص كما دلّ عليه قوله: مما عرفوا من الحق﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهارُ خالدينَ فيها وذلِكَ جَزاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ الذين أحسنوا النظر والعمل، أو الذين اعتادوا الإحسان من الأمور﴿ والَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بآياتنا أولئِكَ أَصْحابُ الْجَحِيمِ﴾ في ذكر حال المصدقين بالآيات، وتعقيبه بحال المكذبين بهاترغيب وترهيب﴿ ياأيها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا﴾ لا تمنعوا أنفسكم﴿ طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ما طاب منه ولذ ﴿ ولا تَعْتَدُوا إن اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ عن الصادق (ع): نزلت في علي وبلال وعثمان بن مظعون، فحلف عليّ (ع) إن لا ينام بالليل أبداً وبلال إن لا يفطر بالنهار وعثمان أن لا ينكح أبداً فدخلت امرأته على عائشة فقالت: ما لي أراك متعطلة،

فقالت: لمن أتزيّن؟ فوالله ما قربني زوجي منذ كذا وكذا فإنه قد ترهب، فلما دخل رسول اللّه (ص) أخبرته عائشة، فخرج فنادى الصلاة جامعة، فصعد المنبر فحمد اللّه وأثنى عليه ثم قال: ما بال أقوام يحرمون على أنفسهم الطيبات إني أنام بالليل وأنكح وأفطر بالنهار، فمن رغب عن سنتي فليس مني، فقام هؤلاء فقالوا: يا رسول اللّه فقد حلفنا على ذلك فأنزل اللّه (لا يؤاخذكم اللّه باللغوفي إيمانكم)﴿ وكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلالاً﴾ صفة مصدر محذوف، أو حال من (ما) مبيّنة لا مقيّدة إذ الرزق كله حلال، وفائدتها أن الحلال لا معنى لاجتنابه وكذا: ﴿ طَيِّباً﴾ أي: طاهر من كل شبهة، أو مستلذاً، وقيّد به لميل النفس اليه ﴿ واتَّقُوا اللّهَ الَّذي أنتم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ إستدعاء إلى التقوى بألطف الوجوه ﴿ لا يُؤاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ﴾ الكائن، أو كائناً ﴿ فِي إيمانكُمْ﴾ عن الصادق (ع) هو قول الرجل: (لا واللّه) و(بلى واللّه) ولا يعقد على شيء، وعنه (ع): من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فإن ذلك هوكفّارة يمينه﴿ ولكِنْ يُؤاخِذُكُمْ بِما عَقَّدْتُمُ﴾ وثقتم﴿ الإيمان﴾ عليه بالقصد والنية أي: يؤاخذكم إذا حنثتم، أو بنكث ما عقدتم، وخففه حمزة والكسائي، وقرأ ابن عامر (عاقدتم) بمعنى: عقدتم﴿ فَكَفَّارَتُهُ﴾ فكفارة نكثه التي تذهب إثمه ﴿إِطْعامُ عَشَرَةِ مَساكِينَ﴾ مؤمنين، لكل مسكين مدّ، وقيل مدّان، ولا يجزي دفع طعامهم إلى واحد﴿ مِنْ أو سَطِ ما تُطْعِمُونَ أهلِيكُمْ﴾ في النوع لا أدناه ويجزي الأعلى وعن الصادق (ع): إنه قرأ(أهاليكم) بتسكين الياء جمع (أهل) وعنه (ع): الوسط: الخل والزيتون وأرفعه الخبز واللحم، والصدقة: مد من حنطة لكل مسكين، والكسوة: ثوبأن، فمن لم يجد فعليه الصيام ﴿ أو كِسْوَتُهُمْ﴾ عطف على (إطعام) وهم مسماها كثوب يواري العورة، وقيل: ثوبان وعن الباقر (ع): ما تقوتون به

عيالكم من أو سط ذلك، قال: الخل والزيت والتمر والخبز يشبعهم به مرة واحدة، قيل: كسوتهم؟ قال: ثوب واحد، وفي رواية: ثوب يواري به عورته﴿ أو تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ إعتاقها، وربما إشترط إيمانها، والواجب إحدى الخصال الثلاث لأنّ (أو) للتخيير، والتعيين للمكفّر ويجزي المولود وعنهما (ع): كل شيء في القرآن (أو) فصاحبه فيه بالخيار يختار ما شاء ﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ شيئاً منها ﴿ فَصِيامُ﴾ فكفارته صيام﴿ ثَلاثَةِ أيامٍ﴾ متتابعة عندنا، ويؤيده قراءة (متتابعات وعن الصادق (ع): كل صوم يفرّق فيه الا ثلاثة أيام في كفارة اليمين﴿ ذلِكَ﴾ المذكور﴿ كَفَّارَةُ إيمانِكُمْ إذا حَلَفْتُمْ﴾ حنثتم﴿ واحْفَظُوا إيمانَكُمْ﴾ إن تنكثوها ما لم تروا خيراً من المحلوف عليه ﴿ كَذلِكَ﴾ البيان﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ﴾ دلائله وأحكامه﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمه التي من جملتها تعليمكم.

[سورة المائدة الآيات ٩٠ - ٩٥]

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ

ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

﴿ يا أيها الَّذينَ آمَنُوا إنمَا الْخَمْرُ﴾ الشراب والمسكر﴿ وَالْمَيْسِرُ﴾ القمار ﴿ والأنصابُ﴾ الأصنام المنصوبة للعبادة﴿ والأَزْلامُ﴾ قداح الإستقسام﴿ رِجْسٌ﴾ قذر خبيث، خبر لـ(الخمر) دال على خبر المعطوفات، أو لمضاف محذوف أي: تعاطي الخمر والميسر﴿ منْ عَمَلِ الشيطان﴾ لأنه بتزيينه وإغوائه﴿ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ أي: الرجس والتعاطي ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ بإجتنابه، وعن الباقر (ع): الميسر: كل ما تقومر عليه حتى الكعاب والجوز، قيل: فالأنصاب؟ قال: ما ذبحوا لآلهتهم، قيل:

فالأزلام؟ قال: قداحهم التي يستقسمون بها وفي تحريم الخمر والميسر في الآية ضروب من التأكيد بحصرهما في الرجس، وقرنهما بالأنصاب والأزلام، وجعلهما من عمل الشيطان، والأمر بإجتنابهما وجعله من الفلاح، وبيان مفاسدهما في الدنيا والدين بقوله: ﴿ إنما يُرِيدُ الشيطان أن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَداوة والْبَغْضاءَ فِي الْخَمْرِ والْمَيْسرِ ويَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّه وعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أنتم مُنْتَهُونَ﴾ قيل: إنما خصّ الخمر والميسر بإعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيهاً على إنهما المقصود من البيان، وذكر الأنصاب والأزلام للدلالة على إنهما مثلهما في الحرمة والشرارة كقول النبي (ص): شارب الخمر كعابد الوثن، وخصّ الصلاة من الذكر بالإفراد للتعظيم وإشعاراً بأن الصّاد عنها كالصّاد عن الإيمان من حيث إنهما عماده والفارق بينه وبين الكفر، ثم أعاد الحث على الأنتهاء بصيغة الإستفهام مرتباً على ما تقدم من أنواع الصوارف إيذاناً بأن الأمر في المنع والتحذير قد بلغ الغاية وإن الأعذار قد إنقطعت﴿ وأَطِيعُوا اللَّهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ فيما أمرا به ﴿ واحْذَرُوا﴾ عصيانهما ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الطاعة ﴿ فَاعْلَمُوا إنما عَلى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ ولا يضره توليكم وإنما يضركم﴿ لَيسَ عَلَى الَّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُنَاحٌ فِيما طَعِمُوا﴾ من المستلذات ـ أكلاً كان أو شرباً ـ وعنهم (ع): فيما طعموا من الحلال ﴿ إِذا مَا اتَّقَوا﴾ المحرّم﴿ وآمَنُوا﴾ باللّه﴿ وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ ثُمَّ اتَّقَوا﴾ الإشراك في العمل﴿ وآمَنُوا﴾ إيماناً خالصاً﴿ ثُمَّ اتَّقَوا﴾ ثبتوا على إتقاء المعاصي﴿ وأَحْسَنُوا﴾ وتحرّوا الأعمال الجميلة واشتغلوا بها، القمّي: لما نزل تحريم الخمر والميسر والتشديد في أمرهما، قال الناس من المهاجرين والأنصار: قتل أصحابنا وهم يشربون الخمر، وقد سمّاه اللّه (رجساً) وجعلها من عمل الشيطان، وقد قلت ما قلت،

أ فيضر أصحابنا ذلك شيئاً بعدما ماتوا؟ فأنزل الله هذه الآية، فهذا لمن مات، أو قتل قبل تحريم الخمر، و(الجناح) هو الإثم، وهو على من شربها بعد التحريم، قيل: ويحتمل أن يكون هذا التكرير بإعتبار الحالات الثلاث إستعمال الإنسان التقوى، والإيمان بينه وبين نفسه، وبينه وبين الناس، وبينه وبين الله، ولذلك بدّل الإيمان بالإحسان في الكرّة الثانية إشارة إلى ما قال (ع) في تفسيره، أو بإعتبار الحالات الثلاث: المبدأ والوسط والمنتهى، أو باعتبار ما يتقى فإنه ينبغي أن يترك المحرّمات توقياً من العقاب والشبهات، تحرزاً عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات، أو لأنّه لما كان لكل من الإيمان والتقوى درجات ومنازل لم يبعد أن يكون تكريرهما في الآية إشارة إلى تلك الدرجات والمنازل ﴿ والله يحب المحسنين﴾ ويجازيهم على إحسانهم أحسن جزاء﴿يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم﴾ في حال إحرامكم، القمي: نزلت في غزوة الحديبية جمع الله عليهم الصيد فدخلوا بين رحالهم، وعن الصادق (ع): حشر عليهم الصيد في كل مكان حتى دنا منهم ليبلوهم الله به، وعنه (ع): الذي تناله الأيدي فراخ الطير وصغار الوحش والبيض، والذي تناله الرماح الكبار من الصيد﴿ ليعلم الله من يخافه بالغيب﴾ ليتميز من يخاف عقابه غائباً في الآخرة فيجتنب الصيد ممن لا يخافه فيقدم عليه﴿ فمن اعتدى﴾ فصاد﴿ بعد ذلك﴾ الابتلاء﴿ فله عذاب أليم﴾ وفي إبهامه تشديد لحال الصيد﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد﴾ المحلّل وبعض المحرّم كالثعلب والأرنب والضب واليربوع والقنفذ والقمّل﴿ وأنتم حرم﴾ جمع (حرام) بمعنى: محرم﴿ ومن قتله منكم متعمداً﴾ ذاكراً للإحرام والحرمة، ومثله الناسي والمخطئ، وذكر المتعمد لنزولها فيه، وهو (أبواليسر) قتل حمار وحش

برمحه محرماً﴿ فَجَزاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ﴾ رفعهما الكوفيون أي: فعليه جزاء يماثل ما قتله﴿ مِنَ النَّعَمِ﴾ صفة (جزاء) ولا يتعلق به، وأضافه الباقون إلى (مثل) ويتعلق به من النعم أي: فعليه أن يجزى منها مثل ما قتله والمماثلة عند أبي حنيفة باعتبار القيمة، وعندنا وعند أكثر العامّة المماثلة معتبرة في الخلقة: ففي النعامة بدنة، وفي حمار الوحش وشبهه بقرة، وفي الظبي والذئب شاة ـ كما عن أهل البيت (ع)ـ ﴿ يَحْكُمُ بِهِ﴾ بالمثل صفة له، أو لجزاء ﴿ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ مسلمان عادلان فقيهان يعرفان المماثل في الخلقة، وعن الباقر والصادق (ع): ذوعدل بالإفراد، وفسّراه بالنّبيّ والإمام وحده وإن الالف مما أخطأت به الكتبة ﴿ هَدْياً﴾ حال من الهاء في (به) أو من جزاء﴿ بالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ صفة (هدياً) إذ أضافته لفظية، وعن الصادق (ع): من وجب عليه هدى في إحرامه فله إن ينحره حيث شاء إلا فداء الصيد فإن اللّه يقول: هدياً بالغ الكعبة، وعنه (ع): من وجب عليه فداء صيد أصاب به وهومحرم فإن كان حاجّاً نحر هديه الذي يجب عليه بمنى، وإن كان معتمراً نحر بمكة قبالة الكعبة، ونحوه آخر، وزاد فيه: وإن شاء تركه إلى أن يقدم فيشتريه فإنه يجزي عنه﴿ أوكَفَّارَةٌ﴾ عطف على (جزاء)﴿ طَعامُ مَساكِينَ﴾ عطف بيان، أو خبر محذوف، وأضاف نافع وابن عامر (كفّارة) إضافة بيان، كـ(باب ساجٍ) والمعنى: أو إن يكفّر بإطعام مساكين طعاماً يساوي قيمة الهدي لكلّ مسكين مدّ أو مدّان ـ على الخلاف ـ وله ما زاد على الستين ولا يكمل الناقص﴿ أو عَدْلُ﴾ أو مساوي ﴿ ذلِكَ﴾ الطعام﴿ صِياماً﴾ تمييز عدل فيصوم عن طعام كل مسكين يوماً والأكثر رتّب الأقسام للأخبار، وبعض خيّر لظاهر (أو) وللنّص المتقدم: إن (أو) في القرآن للتخيير، وعن السجاد في حديث الزهري: أو تدري كيف يكون عدل ذلك صياماً؟

قال: لا أدري، قال: يقوّم الصيد قيمة تفضّ تلك القيمة على البر، ثم يكال ذلك البرّ أصواعاً فيصوم لكل نصف صاع يوماً﴿ لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ يتعلق بمحذوف أي: فعليه كذا ليذوق ثقل جزاء فعله﴿ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ من قتل الصيد محرماً أول مرّة مع الجزاء، أو قبل التحريم، أو في الجاهلية﴿ ومَنْ عادَ﴾ إلى ذلك﴿ فَيَنْتَقِمُ﴾ أي: فهو ممن ينتقم﴿ اللَّهُ مِنْهُ﴾ قيل: هذا يقابل الكفّارة فلا تلزم العائد، وقيل: لا تنافيه، واختلفت الفتوى ـ كالأخبار ـ﴿ واللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب﴿ ذُو انتقامٍ﴾ ممن عصاه.

[سورة المائدة الآيات ٩٦ – ١٠٣]

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ

تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ ما صيد منه مما يفرخ فيه ولا يحل منه عندنا الا ما له فلس من السمك لا كل صيد ـ كالشافعي ـ ولا كل سمك ـ كأبي حنيفة ـ ﴿وطَعامُهُ﴾ طعام البحر أي: القديد[1] وصيده الطَري، أو طعام الصيد أي: كله ﴿مَتاعاً﴾ مفعول له أي: تمتيعاً ﴿لَكُمْ ولِلسَّيّارةِ﴾ ولمسافريكم يتزودونه قديداً[2] ﴿وحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ﴾ ما صيد فيه مما يفرّخ فيه ﴿ما دُمْتُمْ حُرُماً﴾ محرمين وإن صاده مُحلّ عندنا، واختلف فيه العامّة ﴿واتَّقُوا اللّهَ الَّذي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ للجزاء ﴿جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرامَ﴾ عطف بيان على جهة المدح، أو المفعول الثاني، وعن الصادق (ع): سمّي (البيت الحرام) لأنّه حرم على المشركين أن يدخلوه ﴿قِياماً لِلنّاسِ﴾ أنتعاشاً لهم

---

(١) القديد من اللحم ما قطع طولاً ومُلِح وجفّف في الهواء والشمس.

(٢) أي: يابساً.

أي: سبب أنتعاشهم في أمر معاشهم ومعادهم، يلوذ به الخائف، ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التّجار، ويتوجه اليه الحجاج، والعمّار، أو ما يقوم به أمر دينهم ودنياهم، وعن الصادق (ع): جعلها اللّه لدينهم ودنياهم، وعنه (ص): من أتى هذا البيت يريد شيئاً للدنيا والآخرة أصابه﴿ والشَّهْرَ الْحَرامَ والْهَدْيَ والْقَلائِدَ﴾ مرّ تفسيرها والمراد الشهر الذي يؤدى فيه الحج﴿ ذلكَ﴾ إشارة إلى الجعل، أو إلى ما ذكر من الأمر بحفظ حرمة الإحرام وغيره﴿ لِتَعْلَمُوا أن اللّهَ يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وما فِي الأَرْضِ﴾ فإن شرع الأحكام لدفع المضار قبل وقوعها، وجلب المنافع المترتبة عليها، ممّا يدل على حكمة الشارع لها وكمال علمه ﴿ وإن اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد إطلاق﴿ اعْلَمُوا إن اللّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ وإن اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وعد ووعيد لمن أنتهك محارمه ولمن حافظ عليها، أو لمن أصرّ عليها ولمن إنقلع عنها عن الصادق (ع): عن آبائه عن النبي (ص) عن جبرئيل قال: قال اللّه تعالى: من أذنب ذنباً صغيراً كان أو كبيراً وهويعلم إن لي أن أعذبه وأن أعفو عنه عفوت عنه﴿ ما عَلَى الرَّسُولِ إلاَّ الْبَلاغُ﴾ وقد فعل وقامت عليكم الحجة، فلا عذر لكم في التفريط﴿ واللّهُ يَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَما تَكْتُمُونَ﴾ من الأعمال، فاحذروه﴿ قُلْ لا يَسْتَوِي﴾ عند اللّه﴿ الْخَبِيثُ والطَّيِّبُ﴾ إنساناً كان، أو عملاً، أو مالاً، أو غير ذلك ﴿ وَلَوْأَعْجَبَكَ﴾ أيها السامع ﴿كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ فإن قليل الطيب خير من كثير الخبيث﴿ فَاتَّقُوا اللّهَ﴾ وآثروا ما هو خير﴿يا أُولِي الأَلْبابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ لتفوزوا بالثواب﴿ يا أيهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَسْئَلُوا عَنْ أَشْياءَ إن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وإن تَسْئَلُوا عَنْها حِينَ يُنَزَّلُ القرآن تُبْدَ لَكُمْ﴾ الشرطية وما عطف عليها صفتإن لـ(أشياء) أي: لا تسألوا رسول اللّه عن أشياء إن تظهر لكم تغمكم وإن

تسألوا عنها في زمان الوحي يظهر لكم، وهما كمقدمتين ينتجان ما يمنع السؤال، وهو إنه ممّا يغمّهم، والعاقل لا يفعل ما يغمّه وعن الباقر لا تسألوا عن أشياء لم تبد لكم إن تبد لكم تسؤكم، وعن علي (ع): إن الله فرض عليكم فرائض فلا تضيّعوها وحدّ لكم حدوداً فلا تعتدوها ونهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء لم يدعها نسياناً فلا تتكلفوها ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْها﴾ صفة اخرى لـ(أشياء) أي: أشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها، أو استئناف أي: عفا الله عمّا سلف من مسألتكم فلا تعودوا إلى مثلها﴿ واللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير﴿ قَدْ سَأَلَها﴾ أي: الأشياء به حذف (عن) أو المسألة بقرينة (تسألوا)﴿ قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ فأجيبوا ببيانها ﴿ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِها كافِرِينَ﴾ أي: بسببها، إذ لم يقبلوها﴿ ما جَعَلَ اللَّهُ﴾ ردّ لبدع الجاهلية، أي: ما شرع﴿ مِنْ بَحِيرَةٍ﴾ (من) مزيدة﴿ ولا سائِبَةٍ ولا وَصِيلَةٍ ولا حامٍ﴾ عن الصادق (ع): إن أهل الجاهلية كانوا إذا ولدت الناقة ولدين في بطن واحد قالوا: وصلت، فلا يستحلّون ذبحها ولا أكلها، وإذا ولدت عشراً جعلوها سائبة ولا يستحلّون ظهرها ولا أكلها، (والحام): فحل الإبل لم يكونوا يستحلونه، فأنزل الله الآية، وعنه (ع): البحيرة إذا ولدت وولد ولدها نحرت، وقيل: كانوا إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا إذنها أي: شقوها، وحرموا ركوبها وحلبها، وكان الرجل يقول: إن قدمت فناقتي سائبة، ويحرم منافعها كالبحيرة وإذا ولدت الشاة أنثى كأنت لهم وإن ولدت ذكراً كان لآلهتهم، وإن ولدتهما لم يذبحوا الذكر لها إذ وصلته أخته، وإذا نتج من الفحل عشرة أبطن حرموا ظهره وقالوا: حمى ظهره، ولم يمنع ماء ولا مرعى﴿ ولكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بتحريم ذلك ونسبته اليه﴿ وأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ أي:

الحلال من الحرام، أو المبيح من المحرم أو الأمر وإن ذلك افتراء بل يقلدون في تحريمها رؤساءهم.

[سورة المائدة الآيات ١٠٤-١٠٨]

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا

وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

﴿ وإذا قيلَ لَهُمْ تعالَوْا إلى ما أنزل اللّهُ وإلى الرَّسُولِ قالُوا حَسْبُنا ما وَجَدْنا عَلَيْهِ آباءَنا﴾ بيان لقصور عقلهم وإنهماكهم في التقليد وإن لا سند لهم سواه ﴿ أ ولو كان آباؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً ولا يَهْتَدُونَ﴾ (الواو) للحال و(الهمزة) دخلت عليها لأنكار الفعل على هذه الحال أي: أحسبهم ما وجدوا عليه آباءهم ولوكانوا جهلة ضالين ﴿يا أيهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أنفسكُمْ﴾ أي: احفظوها والزموا صلاحها، والجار والمجرور جعل اسماً لـ(إلزموا) ولذا نصب (أنفسكم) وقريء بالرفع على الإبتداء ﴿لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ أي: لا يضركم الضلال إذا كنتم مهتدين قيل: نزلت لمّا كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون إيمانهم، وقيل: كان الرجل إذا أسلم قالوا له سفّهت أباك، فنزلت، والقمي: أصلحوا أنفسكم ولا تتبعوا عورات الناس ولا تذكروهم فإنه لا يضركم ضلالتهم إذا كنتم صالحين، وسئل النبي (ص) عن هذه الآية فقال: ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر فإذا رأيت دنياً مؤثرة، وشحاً مطاعاً، وهوىً متبعاً، وإعجاب كل ذي رأيٍ برأيه فعليك بحويصة[1] نفسك وذر عوامهم﴿ إلى اللّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وعد ووعيد للفريقين، وتنبيه على أن أحداً لا يؤخذ بذنب غيره﴿ يا أيهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ

---

(١) يقال: (حاص بين الشيئين) أي: ضيّق بينهما وعليه فحويصة النفس أي حدود نفسك التي بين جنبيك.

﴿بَيْنِكُمْ﴾ أي: الإشهاد الذي شرع بينكم، وأضيفت إلى الظرف اتساعاً ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي: أسبابه وظهرت إماراته، وهو ظرف للشهادة ﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ﴾ بدل منه، وفي الإبدال تنبيه على أن الوصية مما لا ينبغي أن يتهاون فيها، أو ظرف حضر ﴿اثْنَانِ﴾ فاعل (شهادة) ويجوز أن يكون خبرها على حذف المضاف ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ من المسلمين وهما صفتان ﴿أَوْ آخَرَانِ﴾ عطف على (اثنان) وظاهره اعتبار عدالتهما في دينهما ﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ من أهل الذمة ولا تسمع شهادتهم إلا في هذه القضية عندنا، ونسخه ممنوع وإرادة الأقارب والأجانب بـ (منكم) و(غيركم) لا يطابق سبب النزول ﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ سافرتم فيها ﴿فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ أي: قاربتم الأجل، والجزاء محذوف دلّ عليه، أو آخران ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾ تقفونهما، صفة (آخران) والشرط اعتراض يفيد إنه لا يعدل عن المسلمين الا إذا تعذرا مطلقاً، أو في السفر فقط ﴿مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ صلاة العصر، أو أيّ: صلاة لتغليظ اليمين بشرف الوقت واجتماع الناس حينئذٍ ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ إن ارتاب الوارث، وهواعتراض يخصّص القسم بحال الريبة ﴿لَا نَشْتَرِي﴾ بِهِ لا نستبدل بالقسم، أو بالله ﴿ثَمَنًا﴾ عوضاً من الدنيا بأن يحلف به كاذباً لأجله ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ المقسم له ﴿ذَا قُرْبَى﴾ قريباً منه ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ التي أمرنا بأدائها ﴿إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾ أي: إن كتمنا ﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾ اطّلع ﴿عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾ بخيانة وتحريف ﴿فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ في الحلف ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ جنى عليهم وهم الورثة ﴿الْأَوْلَيَانِ﴾ الأحقّان بالشهادة خبر محذوف أي: هما الأوليان، أو بدل من فاعل (يقومان) أو من (آخران) وعلى قراءة حفص استحق مبنياً للفاعل هو فاعله، وقرأ حمزة وأبو بكر(الأولين) جمع (أول) صفة (الذين) أو بدل

منه﴿ فَيُقْسمان باللّه لَشَهادَتُنا أَحَقُّ﴾ أصدق﴿ مِنْ شَهادَتِهما ومَا اعْتَدَيْنا ﴾ ما تجاوزنا الحق فيها﴿ إنا إِذاً﴾ إن اعتدينا ﴿ لَمِنَ الظّالِمِينَ﴾ أنفسهم، أو الواضعين الباطل مواضع الحق والمعنى: ليشهد المحتضر عدلين من أهل دينه فإن فقدا لسفرٍ ونحوه فآخران من غيرهم فإن ارتاب الورثة فيهما حلفا على صدقهما بتغليظ في الوقت، وجاز تحليف الشاهد هنا للنّص فإن اطلع على ما يكذبهما حلف آخران من الورثة على خيانتهما المعثور عليها، وعن الصادق (ع): في الآية اللذان منكم مسلمإن واللذان من غيركم من أهل الكتاب فلن لم تجدوا من أهل الكتاب فمن المجوس لأنّ رسول اللّه (ص) سن في المجوسية سنة أهل الكتاب في الجزية وذلك إذا مات الرجل في أرض غربة فلم يجد مسلمين أشهد رجلين من أهل الكتاب يحبسإن بعد العصر فيقسمإن باللّه (تعالى) لا نشتري به... الآية، وذلك إن ارتاب ولي الميت في شهادتهما، فإن عثر على إنهما شهدا بالباطل فليس له أن ينقض شهادتهما حتى يجيء بشاهدين فيقومان مقام الشاهدين الأولين فيقسمان باللّه لشهادتنا أحق... إلخ، فإذا فعل ذلك نقض شهادة الأولين...الخبر، وعنه (ع): إذا كان الرجل في أرض غربة لا يوجد فيها مسلم جاز شهادة من ليس بمسلم على الوصية ﴿ ذلِكَ﴾ أي: الحكم المذكور﴿ أَدْنى﴾ أقرب إلى﴿ إن يَأْتُوا بالشَّهادَةَ عَلى وَجْهِها﴾ الذي تحملوها عليه بلا تحريف لخوف الحلف﴿ أو﴾ أدنى إلى أن ﴿ يَخافُوا إن تُرَدَّ إيمان بَعْدَ إيمانِهِمْ﴾ على الورثة المدعين فيحلفوا على كذبهم فيفتضحوا﴿ واتَّقُوا اللّهَ﴾ إن تكذبوا وتخونوا واسمعوا وصيته سماع قبول﴿ واللّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ﴾ الخارجين عن طاعته إلى حجة، أو إلى الجنة.

[سورة المائدة الآيات ١٠٩ - ١١٣]

يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم

مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللّهُ الرُّسُلَ ﴾ ظرف (لايهدي) أو نصب بـ(أذكر) مضمراً ﴿ فَيَقُولُ ﴾ لهم توبيخاً لقومهم ﴿ ماذا ﴾ في موضع المصدر أي: أيّ إجابة ﴿ أُجِبْتُمْ قالُوا ﴾ تشكياً ورداً للأمر إلى علمه بما كابدوا منهم ﴿ لا عِلْمَ لَنا ﴾ بما أنت تعلمه أي: لا حاجة إلى شهادتنا ﴿ إنكَ أنت عَلّامُ الْغُيُوبِ ﴾ فتعلم ما أجابونا وما أسرّوا في أنفسهم ومعناه: لا علم لنا مع علمك لأنّك علاّم الغيوب فكيف الظواهر؟ وكسر حمزة وأبو بكر غين (الغيوب) حيث وقع ﴿ إِذْ قالَ اللّهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وعَلى والِدَتِكَ ﴾ أي: اذكر إذ يقول، أو بدل من (يوم يجمع) أي: توبيخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن إجابتهم وذكر ما منحهم من آياته فكذبهم قوم ودعوهم (سحرة) وغلا قوم ودعوهم (آلهة) ﴿ إِذْ أيدْتُكَ ﴾ قويتك ظرف نعمتي ﴿ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ جبرئيل، أو ملك آخر، أو روحك المطهرة من الأدناس ﴿ تُكَلِّمُ النَّاسَ ﴾ حال من كاف (أيدتك) ﴿ فِي الْمَهْدِ ﴾ طفلاً ﴿ وكَهْلاً ﴾ أي: تكلمهم حال الطفولية والكهولة على حد سواء في كمال العقل والرشد، وبه استدل على نزوله، فإنه رفع قبل إن اكتهل ﴿ وإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتابَ والْحِكْمَةَ والتَّوْراةَ والإنجيل وإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وتُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ بِإِذْنِي وإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتى بِإِذْنِي ﴾ وقد مرّ تفسيره في آل عمران وقرأ نافع طائراً ﴿ وإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرائِيلَ عَنْكَ ﴾ أي: اليهود حين همّوا بقتله ﴿ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّناتِ ﴾ المعجزات ظرف لـ(كففت) ﴿ فَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هذا إِلاَّ سِحْرٌ

مُبِينٌ﴾ أي: ما هذا الذي جئت به إلاّ سحر، وقرأ حمزة والكسائي (إلاّ ساحر) فالإشارة إلى عيسى ﴿ وإِذْ أو حَيْتُ إلى الْحَوارِيِّينَ﴾ أمرتهم على ألسنة رسلي، وعن الباقر (ع): ألهموا: ﴿ إن آمِنُوا بِي وبِرَسُولِي﴾ (إن) مصدرية، أو مفسرة﴿ قالُوا آمَنَّا واشْهَدْ بأننا مُسْلِمُونَ﴾ مخلصون﴿ إِذْ قالَ الْحَوارِيُّونَ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ معمول (اذكر) أو ظرف لـ(قالوا) فيؤذن بشكهم حين ادّعوا الإخلاص إذ العارف لا يقول: ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أن يُنَزِّلَ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ﴾ أو المعنى: هل يطيع إنه يجيبك فاستطاع بمعنى: أطاع وقرأ الكسائي (هل تستطيع ربك) أي: سؤال ربك، والمائدة: خوإن عليه طعام من ماد أي: تحرك، أو ماده أي: أعطاه﴿ قالَ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ أن تقترحوا عليه﴿ إن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ كما ادعيتم﴿ قالُوا نُرِيدُ أن نَأْكُلَ مِنْها﴾ تمهيد عذر وبيان لما دعاهم إلى السؤال وهو أن يتمتعوا بالأكل منها ﴿ وتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنا﴾ بأنضمام علم المشاهدة إلى علم اللإستدلال بكمال قدرته ﴿ ونَعْلَمَ أن قَدْ صَدَقْتَنا﴾ في ادّعاء النبوة، أو أن الله يجيب دعوتنا ﴿ ونَكُونَ عَلَيْها مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ عليها عند من لم يحضرها، أو الشاهدين لله بالوحدانية ولك بالرسالة.

[سورة المائدة الآيات ١١٤- ١٢٠]

قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ

يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ ﴿١٢٠﴾

﴿ قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنا﴾ نداء ثان ﴿ أنزل عَلَيْنا مائدَةً منَ السَّماء تَكُونُ لَنا عيداً﴾ قيل: أي: يكون يوم نزوله عيداً نعظمه وكان يوم الأحد، وقيل: أي: سروراً عائداً ﴿ لأولنا وَآخرِنا﴾ بدل من (لنا) بإعادة العامل، أي: عيداً لمتقدمينا وآخرينا، أو يأكل منه أولنا وآخرنا﴿ وآيةً ﴾كائنة﴿ منكَ﴾ على قدرتك ونبوتي ﴿ وارْزُقنا﴾ إياها، أو شكرها﴿ وأنت خَيْرُ الرَّازِقينَ﴾ لأنك خالق الرزق ومعطيه بلا

عوض﴿ قالَ اللّهُ إني مُنَزِّلها عَلَيْكُمْ﴾ إجابة لسؤالكم، وشدّده نافع وابن عامر وعاصم﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإني﴾ وفتح نافع الياء﴿ أُعَذِّبُهُ عَذاباً﴾ تعذيباً ويجوز أن يجعل مفعولاً به على السعة﴿ لا أُعَذِّبُهُ﴾ الضمير للمصدر، أو العذاب ـ إن أريد به ما يعذب به ـ ﴿ أَحَداً مِنَ العالَمينَ﴾ مطلقاً، أو عالمي زمانهم، عن الباقر (ع): إن عيسى قال لهم: صوموا ثلاثين يوماً ثم سلوا اللّه ما شئتم يعطكموه، فصاموا ثلاثين، فلمّا فرغوا قالوا: إنا لوعملنا لأحد من الناس فقضينا عمله لأطعمنا طعاماً وإنا صمنا وجعنا فادع اللّه أن ينزل علينا مائدة من السماء، فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات حتى وضعتها بين أيديهم، فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم، وعنه (ع): المائدة التي نزلت على بني إسرائيل مدلاة بسلاسل من ذهب، عليها تسعة ألوان وأرغفة﴿ وإِذْ قالَ اللّهُ﴾ عن الباقر (ع): لم يقله وسيقوله، إن اللّه إذا علم شيئاً هوكائن أخبر عنه خبر ما قد كان﴿ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَ أنت قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وأُمِّي إِلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّهِ﴾ توبيخ للكفرة وتبكيت لهم، القمي: وذلك إن النصارى زعموا إن عيسى قال لهم ذاك، فإذا كان يوم القيامة يجمع اللّه بين النصارى وبين عيسى، وفتح ياء (أمي) نافع وابن عامر وأبوعمرو وحفص﴿ قالَ سُبْحانَكَ﴾ تنزيهاً لكم من أن يكون لك شريك﴿ ما يَكُونُ﴾ ما ينبغي﴿ لِي﴾ وفتح الياء الحرميّان وأبو عمرو﴿ إن أَقُولَ ما﴾ أي: قولاً﴿ لَيْسَ لِي بِحَقّ﴾ لا يحق لي أن أقوله﴿ إن كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي ولا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ﴾ تعلم ما أخفيه في نفسي كما تعلم ما أعلنته ولا أعلم ما تخفيه من معلوماتك، ولفظ (في نفسي) للمشاكلة، وعن الباقر (ع): في الآية إن الإسم الأكبر ثلاثة وسبعون حرفاً فاحتجب الرّب بحرف فمن ثمّ لا يعلم أحد ما في نفسه، وأعطى

آدم اثنين وسبعين حرفاً فتوارثها الأنبياء حتى صارت إلى عيسى، فذلك قول عيسى: تعلم ما في نفسي، يعني: اثنين وسبعين حرفاً من الإسم الأكبر، يقول: علمتنيها فأنت تعلمها ولا أعلم ما في نفسك، يقول: لأنك احتجبت بذلك الحرف فلا يعلم أحد ما في نفسك﴿ إنكَ أنت عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾ يقرر الجملتين منطوقاً ومفهوماً﴿ ما قُلْتُ لَهُمْ إلاَّ ما أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ فيه إقرار بأنه عبد مأمور﴿ أن اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وربَّكُمْ﴾ خبر مضمر، أو مفعول أي: هو، أو أعني، أو عطف بيان للهاء في (به)﴿ وكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾ رقيباً مطلعاً أمنعهم أن يقولوا ذلك﴿ ما دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ بالرفعة إليك لقوله: (إني متوفيك ورافعك اليّ) والتوفي: أخذ الشيء وافياً، والموت نوع منه، (اللّه يتوفى الأنفس حين موتها)[1] وروي: إنه قبض روحه بين السماء والأرض، ثم ردّت اليه ﴿ كُنْتَ أنت الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وأنت عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ مطلق مراقب له﴿ إن تُعَذِّبْهُمْ فَإنهُمْ عِبادُكَ ﴾ تملكهم وأنت مالك أمرهم مطّلع على جرائمهم، وفيه إشارة إلى أنهم أحقّاء بالعذاب لأنهم عبادك وعبدوا غيرك ﴿ وإن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإنكَ أنت الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ القادر القوي على الثواب والعقاب الذي لا يثيب ولا يعقاب إلا عن حكمة وصواب، فإن المغفرة حسنة لكل مجرم، فإن عذبت فعدل، وإن غفرت ففضل ﴿ قالَ اللَّهُ هذا يَوْمُ﴾ ونصبه نافع ظرفاً لـ(قال) أو مستقراً خبراً لـ(هذا) أي: هذا الكلام من عيسى واقع﴿يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ حال التكليف لأنه النافع في القيامة ﴿ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهارُ خالِدِينَ فِيها أَبداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بعملهم﴿ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بثوابه ﴿ ذلِكَ﴾

---

(١) سورة الزمر الآية ٤٢.

أي: ما عدّد من النفع ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ إذ فيه سعادة الأبد ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾ من الأجناس ومنها عيسى وأمّه، فكذب من زعمهما إلهين وغلب غير العقلاء لفرط بعدهم عن رتبة الألوهية ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من المقدورات ﴿قَدِيرٌ﴾

تمّت ـ ولله الحمد ـ سورة المائدة وتفسيرها.

سورة الأنعام

مائتان وخمس وستون آية، مكية.

وقيل إلاّ ست آيات.

[الآيات ١ – ٨]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ

يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾

عن الصادق (ع): إن سورة الأنعام نزلت جملة واحدة شيّعها سبعون ألف ملك حتى نزلت على محمد (ص)، فعظّموها وبجّلوها فإن إسم الله فيها في سبعين موضعاً، ولويعلم الناس ما في قراءتها ما تركوها، وفي آخر عن الرضا (ع): من قرأها سبّحوا له إلى يوم القيامة﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ والأَرْضَ﴾ إخترعهما بما اشتملا عليه من عجائب الصنع وبدائع الحكم وأنواع النعم، وتعليق الحكم على الوصف يشعر بالعليّة، فهو المستحق للحمد وقدّم السموات لشرفها﴿ وجَعَلَ الظُّلُماتِ والنُّورَ﴾ أي: أنشأهما، والفرق بين (الخلق) و(الجعل) إن الخلق فيه معنى التقدير، والجعل فيه معنى التصيير، كإنشاء شيء من شيء، أو تصييره شيئاً وجمعت (الظلمات) دون (النور) لكثرة أسبابها، إذ لكل جرم ظل، وقدّمت لتقدم العدم على الملكة﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ عطف على(الحمد لله) أي: هوحقيق بالحمد على ما خلق للعباد، ثم الذين كفروا به

يعدلون عنه، فـ(الباء) يتعلق بـ(كفروا) أو على (خلق) أي: إنه خلق ما يعجز عنه غيره، ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه، فيتعلق بـ(يعدلون) ومعناه: يسوّن به الأصنام وثم لإستبعاد عدولهم مع قيام هذه الحجة، وعن الصادق (ع): إنها ردّ على ثلاثة أصناف: لمّا قال: (الحمد للّه الذي خلق السموات والأرض) كان رداً على الدهرية الذين قالوا: إن الأشياء لا بدء لها وهي قائمة، ثم قال: (وجعل الظلمات والنور) فكان رداً على الثنوية الذين قالوا: إن النور والظلمة هما المدبرّان ثم قال: (ثم الذين كفروا) فكان رداً على مشركي العرب الذين قالوا: إن أوثاننا آلهة﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ أي: ابتدأ خلقكم، وأصلكم آدم وأنتم من ذريته﴿ ثُمَّ قَضَى﴾ كتب وقدّر﴿ أَجَلاً﴾ محتوماً لا يتقدم ولا يتأخر﴿ وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ لموتكم أيضاً يمحوه، ويثبت غيره لحكمة الصدقة والدعاء وصلة الرحم وغيرها مما يتحقق به الخوف والرجاء ولوازم العبودية، فعن الباقر (ع): في تفسيرها أَجَلان: أجل محتوم وأجل موقوف، وعن الصادق (ع): الأجل المقضي: هو المحتوم الذي قضاه اللّه وحتمه والمسمّى هوالذي فيه البلاء يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء، والمحتوم ليس فيه تقديم ولا تأخير وقيل: الأجل الأول الموت أو ما بين الخلق والموت، والثاني أجل القيامة، أو ما بين الموت والبعث، (وأجل) مبتدأ خصّ بمسمّى أي: معيّن وخبره عنده أي: لا يعلمه ولا يقدر عليه غيره﴿ ثُمَّ أنتم تَمْتَرُونَ﴾ تشكون فيه، أو في بعثه إياكم إستبعاد لشكهم في البعث بعد ثبوت إنه ابتدأ خلقهم فإن من قدر على الإبتداء فهو على الإعادة أقدر﴿ وَهُوَ﴾ أي: المقصود، أو (اللّه) مبتدأ خبره﴿ اللَّهُ﴾ ويتعلق بمعناه﴿ فِي السَّماوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾ أي: المعبود فيهما، وعن الصادق (ع): في الآية كذلك هو في كل مكان،

قيل: بذاته، قال: ويحك الأماكن أقدار فإذا قلت: في مكان بذاته لزمك أن تقول: في أقدار، وغير ذلك ولكن هو بائن من خلقه محيط بما خلق علماً وقدرة وإحاطة وسلطاناً، وليس علمه بما في الأرض بأقل من السماء لا يبعد منه شيء، والأشياء عنده سواء علماً وقدرة وسلطاناً وملكاً وإحاطةً ﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وجَهْرَكُمْ ﴾ القمي: السر: ما أسرّ في نفسه، والجهر ما أظهره ﴿ويَعْلَمُ ما تَكْسِبُونَ﴾ أي: يعلم نياتكم وأقوالكم، وأعمالكم من خير وشر فيجازيكم به ﴿ وما تَأْتِيهِمْ مِنْ آيةٍ مِنْ آياتِ ربِّهِمْ﴾ حجة من حججه المعجزات كآيات القرآن وغيرها و(من) الأولى مزيدة، والثانية للتبعيض ﴿ إلاّ كانوا عَنْها مُعْرِضِينَ﴾ عن النظر فيها لا يلتفتون إليها ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ بالقرآن ﴿ لَمَّا جاءَهُمْ ﴾ كأنه قيل: إن أعرضوا عن الآيات فقد كذّبوا بما هو أعظمها ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أنباءُ ما﴾ أي: أخبار الشيء الذي ﴿ كانوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ﴾ وهوعقابهم في الآخرة، أو ما يؤول إليه إستهزاؤهم في الدنيا والآخرة ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ﴾ خبرية منصوبة بقوله: ﴿أهلكْنا﴾ معلقة لما قبلها من العمل أي: ألم يعلم هؤلاء الكفار كم أهلكنا ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ من أهل عصر، والقرن: كل طبقة مقترنين في وقت ﴿ مَكَّنّاهُمْ فِي الأَرْضِ﴾ أعطيناهم مكاناً فيها بالسعة والقوّة وطول المقام ﴿ ما لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ﴾ ما لم نعطكم يا أهل مكة، وفيه التفات، ويقال: مكنته ومكنت له ﴿ وأرْسَلْنا السَّماءَ﴾ المظللة إذ الماء منها، أو السحاب، أو المطر ﴿ عَلَيْهِمْ مِدْراراً﴾ مغزاراً من درّ اللبن ﴿ وجَعَلْنا الأنهارَ﴾ ماءها ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ تحت مساكنهم ﴿ فَأَهلَكْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ ولم يغن ذلك عنهم شيئاً ﴿ وأنشأنا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ﴾ فالقادر على فعل ذلك بهم قادر على فعله بكم، ودلّ على وجوب التفكر والتدبر والإحتجاج على منكري البعث ﴿ ولَوْنَزَّلْنا عَلَيْكَ كِتاباً فِي

قرطاسٍ﴾ مكتوباً في ورق ـ كما اقترحوه ـ ﴿فَلَمَسُوهُ بأيديهِمْ﴾ بعد أن عاينوه ولم يقتصر بهم على الرؤية، لئلا يقولوا: سكرت أبصارنا، وذكر (الأيدي) للتأكيد ﴿لقالَ الَّذينَ كَفَرُوا﴾ تعنتاً وعناداً﴿ إن هذا إلاّ سحرٌ مُبينٌ وقالُوا لولا﴾ هلاّ ﴿أُنزل عَلَيْه مَلَكٌ﴾ فعاينه فيصدّقه﴿ولو أنزلنا مَلَكاً﴾ ـ كما اقترحوه ـ فلم يؤمنوا ﴿لقُضِيَ الأَمْرُ﴾ بحق إهلاكهم بمقتضى الحكمة﴿ ثُمَّ لا يُنْظَرُونَ﴾ لا يمهلون.

[سورةالأنعام الآيات ٩ – ١٨]

وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١٠ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٢ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١٣ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ

ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾

﴿ ولَوجَعَلْناهُ مَلَكاً﴾ أي: الذي طلبوه، جواب ثان، أو الرسول فهو جواب اقتراح آخر كقولهم: لوشاء ربّنا لا نزل ملائكة ملكا يعاينوه﴿ لَجَعَلْناهُ رَجُلاً﴾ كما مثل جبرئيل في صورة دحية[1] لأنّهم لا يستطيعون أن يروا الملك في صورته ﴿ ولَلَبَسْنا﴾ أي: ولوجعلناه رجلاً لخلطنا ﴿ عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ﴾ ما يخلطون على أنفسهم فيقولون: ما هذا إلا بشر مثلنا وكذبوه كما كذبوك، وروي ما يقرب منه، وقيل: أي: لوأنزلنا ملكاً لما عرفوه إلا بالتفكر، وهم لا يتفكرون فيبقون في اللبس الذي هم فيه، وأضاف اللبس إليه لأنّه يقع عند إنزال الملك﴿ ولَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ تسلية له (ص)، فلست بأول مستهزأ به﴿ فَحاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ما كانوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ﴾ فأحاط بهم عملهم السيء، أو جزاؤه﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾ أي: سافروا فيها﴿ ثُمَّ أنظُرُوا﴾ بأبصاركم وتفكروا في قلوبكم، والقمي: أي: أنظروا في القرآن وأخبار الأنبياء﴿كَيْفَ كان عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ قُلْ لِمَنْ ما فِي السَّماواتِ والأَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً، أهي لله أم للأصنام؟ والسؤال للتبكيت فإن قالوا: لله وإلا ﴿ قُلْ﴾ لهم﴿ لِلَّهِ﴾ ولا يقدرون على مخالفته﴿ كَتَبَ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ أو جبها

(١) الدِحية (بكسر الدال): هو رئيس الجند.

على ذاته في هدايتكم إلى معرفته، والعلم بتوحيده بنصب الأدلة وإنزال الكتب والإمهال على الكفر والذنوب لتدارك ما فرّط﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ قسم للوعيد على اشراكهم وترك النظر﴿ إلى يَوْمِ الْقِيامَةِ﴾ أي: فيه، أو مبعوثين اليه فيجازيكم بعملكم﴿ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ في اليوم، أو الجمع ونفي الريب على الإطلاق لأنّ الحق حق ـ وإن ارتاب فيه المبطل ـ ﴿ الَّذينَ خَسِرُوا أنفسهُمْ﴾ أهلكوها بتعريضها للعقاب لاختيارهم الكفر، منصوب على الذم، أو مرفوع خبر أي: أنتم الذين، أو مبتدأ خبره: ﴿ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ إذ إبطال الفطرة أدّاهم إلى الإصرار على الكفر ﴿ ولَهُ﴾ عطف على لله﴿ ما سَكَنَ فِي اللَّيْلِ والنَّهارِ﴾ من السكنى أي: ما حلّ فيهما أو من السكون أي: ما سكن وتحرك فيهما، فاكتفى بأحدهما عن الآخر، أو له ما سكن في الليل للإستراحة وتحرك في النهار للمعيشة، واقتصر على الساكن لأنّه أعم وأكثر، ولأنّ غاية المتحرك السكون والنعمة في السكون أكثر والراحة فيه أعم، وذكر في الأول السموات والأرض المشتملين على الأمكنة جميعاً، وهنا الليل والنهار المشملين على الأزمنة ليعلم الموجودات، التي تندرج تحت الظرفين، لأنّهما ظرف لجميع الموجودات﴿ وَهُو السَّمِيعُ﴾ لكل صوت﴿ الْعَلِيمُ﴾ بكل شيء﴿ قُلْ أَ غَيْرَ اللَّه أتَّخذُ وَلِيًّا﴾ معبوداً، قدّم (غير) وأو لي الهمزة لأنّ الأنكار لاتخاذ غير الله ولياً لا لإتخاذ الولي﴿ فاطِرِ السَّماوات والأرْضِ﴾ منشئهما ومبدعهما إبتداءً من غير أخذ مثال﴿ وهُو يُطْعِمُ ولا يُطْعَمُ﴾ يرزق الخلق ولا يرزق، وخصّ الطعام لشدة الحاجة اليه﴿ قُلْ إني أُمِرْتُ﴾ من ربي﴿ أن أكُونَ أولَ مَنْ أسْلَمَ﴾ لأنّ النبي (ص) سابق أمته في الإسلام، وفتح نافع الياء﴿ وَ﴾ قيل لي: ﴿ لا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُلْ إني﴾ وفتح الياء الحرميّان وأبو عمرو﴿ أخافُ إن عَصَيْتُ رَبِّي﴾

كما عصيتموه بعبادة غيره، أو بترك أمره ونهيه وجملة الشرط إعتراض، أو في محل النصب على الحال كأنه قيل: إني أخاف عاصياً ربي﴿ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ في قلوب العباد شديد عليهم، وفيه مبالغة أخرى في قطع أطماعهم وتعريض لهم بأنهم عصاة مستوجبون للعذاب، وعن الصادق (ع): ما ترك رسول الله (ص) (إني أخاف... إلخ)حتى نزلت سورة الفتح، فلم يعد إلى ذلك الكلام﴿ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ﴾ العذاب﴿ يَوْمَئِذٍ﴾ وبناه حمزة والكسائي وأبو بكر للفاعل، والضميرلله والمفعول محذوف، أو (يومئذ) أي: هوله﴿ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ نجّاه وأثابه﴿ وذلكَ﴾ الرحم ﴿ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ عن النبي (ص): والذي نفسي بيده ما من الناس أحد يدخل الجنة بعمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل﴿ وإن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ ببلاء كفقر ومرض، و(الباء) للتعدية أي: جعل الضر يمسك، وإلا فالمس من صفات الأجسام والله منزه عنه﴿ فَلا كاشِفَ لَهُ﴾ فلا قادر على إزالته﴿ إلاَّ هُوَ﴾ لا آلهة المشركين ﴿ وإن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ وهو-نقيض الضر-إسم جامع لكل ما ينتفع به كالصحة والغنى وغيرها من النعم﴿ فَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الخير والضر﴿ قَدِيرٌ﴾ ومنه ادامته فلا يقدر أحد على دفعه﴿ وهُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ﴾ القادر على أن يقهرهم مستعلياً عليهم، فهم تحت تسخيره وتذليله بما علاهم به من الإقتدار الذي لا ينفك منه أحد﴿ وهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في تدبيرهم ﴿ الْخَبِيرُ﴾ بهم .

[سورة الأنعام الآيات ١٩ - ٢٧]

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ

وَمَا ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾

﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد (ص) ﴿أيّ شَيْءٍ أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿شَهادَةً﴾ حتى آتيكم به يدلكم على صدقي ﴿قُلِ اللّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وبَيْنَكُمْ﴾ ويلزمه أنه أكبر شهادة، ويحتمل أن يكون (اللّه) جواباً أي: اللّه أكبر شهادة، و(شهيد) مستأنف بتقدير: هو، وعن الباقر (ع): إن مشركي أهل مكة قالوا: يا محمد ما وجد اللّه رسولاً يرسله غيرك؟ وما نرى أحداً يصدقك بالذي تقول، وذلك في أوّل ما دعاهم، وهو يومئذٍ بمكة قالوا: ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أنه ليس لك ذكر عندهم، فأتنا بأمر نشهد لك أنك رسول اللّه (ص)[1] اللّه شهيد بيني وبينكم ﴿وأوحِيَ إِلَيَّ هذَا القرآن﴾ شاهداً على صدقي ﴿لأُنذِرَكُمْ﴾ لاخوفكم ﴿بِهِ﴾ من عند اللّه تعالى ﴿ومَنْ بَلَغَ﴾ أي: وأنذر به من بلغه من الثقلين إلى يومِ القيامة، ويفيد تكليف من سيوجد بأحكامه، وعن الصادق (ع) في الآية: ومن بلغ أن يكون إماماً فهو ينذر بالقرآن كما أنذر به رسول اللّه (ص)، وعلى هذا يكون عطفاً على فاعل (لأُنذركم) لا مفعوله ﴿إنكُمْ لَتشْهَدُونَ أن مَعَ اللّهِ آلِهَةً أُخْرى﴾ بعد وضوح الأدلة على وحدانيته تعالى، وفيه تقرير لهم مع إنكار وإستبعاد ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿لا أَشْهَدُ﴾ بما تشهدون به من الشريك ﴿قُلْ﴾ لمن شهد إن مع اللّه آلهة أخرى ﴿إنما هُوَإِلهٌ واحِدٌ وإنني بَرِيءٌ

---

(١) كذا في الخطية والظاهر ان فيها سقط، ويحتمل أن تكون: (فأجاب: الله شهيد بيني وبينكم).

ممّا تُشْرِكُونَ﴾ من الأوثان وغيرها﴿ الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ﴾ مبتدأ خبره: ﴿ يَعْرِفُونَهُ﴾ أي: محمداً (ص) بنعته في كتبهم﴿ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمُ﴾ القمي: نزلت في اليهود والنصارى لأنّ الله قد أنزل عليهم في التوراة والإنجيل والزبور صفة محمد (ص) وصفة أصحابه ومهاجره وهو قوله (محمد رسول الله) إلى قوله: (ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل)[1] فهذه صفة رسول الله (ص) في التوراة والإنجيل وصفة أصحابه، فلما بعثه الله عرفه أهل الكتاب كما قال جل جلاله: (فلما جاء ما عرفوا كفروا به)[2]﴿ الَّذِينَ خَسِرُوا أنفسهُمْ﴾ نعت لـ(الذين آتيناهم) فيختص بأهل الكتاب، أو مبتدأ خبره: ﴿ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ فيعمهم وسائر الكفّار﴿ ومَنْ أَظْلَمُ﴾ إستفهام إنكاري أي: لا أحد أظلم﴿ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ بنسبة الباطل إليه من شريك وولد وصاحبة ونحوها﴿ أو كَذَّبَ بآياته﴾ بالقرآن ومعجزات محمد (ص)، وذكر، أو وهم، قد جمعوا بين الأمرين للتنبيه على إن كلاً منهما وحده بالغ غاية الإفراط في الظلم على النفس﴿ إنهُ لا يُفْلِحُ ﴾ لا يفوز برحمة الله﴿ الظَّالِمُونَ﴾ فضلاً عمن لا أحد أظلم منهم﴿ ويَوْمَ نَحشُرُهُمْ﴾ منصوب بمضمر تهويلاً للأمر أي: اذكر، أو عطف على محذوف أي: لا يفلح الظالمون أبداً ﴿ ويَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَميعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذينَ أَشْرَكُوا أينَ شُرَكاؤُكُمُ﴾ آلهتكم التي جعلتموها لله شركاء﴿ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ تزعمونهم شركاء، وفيه توبيخ لهم بعدم الإنتفاع بها﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ﴾ معذرتهم، أو شركهم أي: عاقبته، وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص (تكن) بالتاء، ورفع(فتنتهم) ونافع وأبوعمرو

---

(١) سورة الفتح الآية ٢٩.

(٢) سورة البقرة الآية ٨٩.

وأبوبكر بالتاء، ونصبها خبراً، والتأنيث له والإسم المصدر في ﴿ إلاّ أن قالُوا﴾ والباقون بالياء ونصبها﴿ واللّهِ ربِّنا ما كُنّا مُشْرِكينَ﴾ ونصب حمزة والكسائي (ربنا) نداءً وإنما كذبوا في الآخرة وحلفوا عليه والدار ليست بدار تكليف والناس فيها ملجأو ن إلى ترك القبيح لزوال عقولهم بما يلحقهم من فرط الحسرة والدهشة من أهوال يوم القيامة، ثم ترجع عقولهم فيعترفون، أو أن المعنى: ما كنّا مشركين في الدنيا عند أنفسنا لإعتقادهم أنهم مصيبون فيحلفون عليه، وعن الباقر والصادق (ع): يعنون بولاية علي (ع)﴿ أنظُرْ﴾ يا محمد (ص)﴿ كَيفَ﴾ منصوب بقوله:﴿كَذَبُوا عَلى أنفسهِمْ﴾ إستفهام معناه التعجب﴿ وَضَلَّ﴾ غاب﴿ عَنْهُمْ ماكانوا يَفْتَرُونَ﴾ من الشركاء فلم ينتفعوا بها، وعن علي (ع) في حديث يذكر فيه أهوال يوم القيامة: ثم يجتمعون في موطن آخر يستنطقون فيه، فيقولون واللّه ربنا ما كنّا مشركين وهؤلاء خاصة هم المقّرون في دار الدنيا بالتوحيد، فلم ينفعهم إيمانهم باللّه مع مخالفتهم رسله وشكهم فيما أتوا به عن ربّهم، ونقضهم عهودهم في أو صيائهم، وإتبدالهم الذي هوأدنى بالذي هوخير، فكذبهم اللّه فيما أنتحلوه من الإيمان بقوله: (أنظر كيف كذبوا على أنفسهم) القمي قال: إنها في قدرية هذه الأمة يحشرهم اللّه يوم القيامة مع الصابئين والنصارى والمجوس، فيقولون: واللّه ربنا ما كنّا مشركين يقول اللّه (أنظر كيف كذبوا...)إلخ، قال رسول اللّه (ص): إن لكل أمة مجوساً، ومجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر ويزعمون أن المشيئة والقدرة إليهم ولهم﴿ ومِنهُمْ مَنْ يَستَمِعُ إلَيْكَ﴾ حين تتلوالقرآن، قيل: استمع له (ص) نفر من قريش منهم النضر، فقالوا له: ما يقول محمد ؟ فقال: أساطير الأولين﴿ وجَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أكِنَّةً﴾ أغطية، جمع (كنان) وهو: الغطاء﴿إن يَفْقَهُوهُ﴾ كراهة أن يفهموه

﴿ وفي آذانهم وقراً﴾ صمما مثل لنبوقلوبهم ومسامعهم عن قوله، وأسند اليه تعالى دلالة على تمكنه منهم كالجبلّة، أو إن ذلك عقوبة لكفرهم وعنادهم﴿ وإن يَرَوْا كُلَّ آيةٍ﴾ دالة على صحة نبوتك﴿ لا يُؤْمِنُوا بِها﴾ لفرط عنادهم وإستحكام التقليد فيهم﴿ حَتَّى إِذا جاؤُكَ يُجادِلُونَكَ﴾ يخاصمونك، ويردون عليك قولك ﴿ يَقُولُ الَّذينَ كَفَرُوا﴾ جواب (إذا) أو (حتى) الجارّة أي: حتى وقت مجيئهم ويجادلونك، ويقول: بيان له ﴿ إن هذا إلاّ أساطِيرُ الأولينَ﴾ أحاديثهم الباطلة التي كانوا يسطرونها، وهو غاية التكذيب﴿ وهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ عن القرآن، أو الرسول، أو أتباعه ﴿ ويَنْأَوْنَ﴾ يتباعدون﴿ عَنْهُ وإن يُهْلِكُونَ﴾ بالنهي ولنأي﴿ إلاّ أنفسهُمْ﴾ لا يتعداهم ضرره إلى غيرهم﴿ وما يَشْعُرُونَ﴾ بذلك القمي: قال: بنوهاشم كانوا ينصرون رسول اللّه (ص) ويمنعون قريشاً عنه وينأون أي: يتباعدون عنه ولا يؤمنون، أقول: زعم بعض إنها في أبي طالب أي: ينهى عن أذاه ولا يؤمن به وهو رجم بالغيب، ويبطله إن الضمير للكفرة المجادلين المكذبين وأبوطالب ما كذبه قط بالإتفاق بل كان مصدّقاً له مؤمناً به بشهادة أشعاره وخطبه ووصاياه لأهله، وقد أجمع أهل البيت على إيمانه وهم أدرى بما فيه﴿ ولَوتَرى﴾ يا محمد (ص)، أو أيها السامع﴿ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾ أروها، أو اطلعوا عليها، أو ادخلوها فعرفوا عذابها من وقفه غيره وقفاً ولم يسمع (أوقفه) مهموزاً، وجوابه محذوف أي: لرأيت هائلاً﴿ فَقالُوا﴾ تمنياً﴿ يا لَيْتَنا نُرَدُّ ﴾ إلى الدنيا﴿ ولا نُكَذِّبَ بآياتِ رَبِّنا ونَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنينَ ﴾ برفع الفعلين معاً على الاستيناف أي: نحن لا نكذب، أو عطفاً على (نرد) فيدخلان في التمني وبالنصب فيهما بـ(أن) مضمرة بعد الواو وإجراءً لها مجرى القائل.

[سورة الأنعام الآيات ٢٨ - ٣٥]

بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ

أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٥

﴿ بَلْ بَدا لَهُمْ﴾ ظهر لجهالهم﴿ ما كانوا﴾ ما كان علماؤهم﴿ يُخْفُونَ مِنْ قَبلُ﴾ من عنادهم، أو من أعمالهم التي كانوا يخفونها عنهم فأظهرها الله وشهدت به جوارحهم، أو بدا لهم وبال ما يخفونه من الكفر﴿ ولَورُدُّوا﴾ إلى الدنيا بعد ذلك ﴿ لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ﴾ من الكفر والتكذيب﴿ وإنهُمْ لَكاذِبُونَ﴾ في وعدهم بالإيمان، أو فيما أخبروا عن أنفسهم في الدنيا من الإصابة واعتقاد الحق، أو فيما أخبروا إنهم متى ردّوا آمنوا﴿ وقالُوا﴾ إستيناف، أو عطف على (لعادوا) ﴿إن هِيَ﴾ أي: الحياة﴿إلاّ حَياتُنَا الدُّنيا﴾ لا حياة بعدها في الآخرة﴿ وَما نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ بعد الموت﴿ ولَوتَرى﴾ يا محمد﴿ إِذْ وُقِفُوا عَلى رَبِّهِمْ﴾ على جزائه، أو عرفوه حق التعريف، أو مجاز عن حسبهم للسؤال، وجوابه كما مرّ﴿ قالَ ﴾ أي: الله، أو الملائكة بأمره، وجاء على الماضي لتحقق وقوعه﴿ أ لَيْسَ هذا بِالْحَقِّ﴾ سؤال توبيخ من الله لهم على تكذيبهم بالبعث﴿ قالُوا بَلى ورَبِّنا﴾ أكّدوا إقرارهم بالقسم لا بجلاء الأمر ووضوحه﴿ قالَ فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بسبب كفركم ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ اللَّهِ﴾ بلقاء ما وعد به من الثواب والعقاب والبعث وما يتبعه﴿ حَتَّى﴾ غاية لـ(كذبوا)﴿ إِذا جاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ فجأة، حال، أو مصدر ﴿ قالُوا يا حَسْرَتَنا﴾ احضري فهذا أوانك﴿ عَلى ما فَرَّطْنا﴾ ضيّعنا، وعن النبي (ص) في الآية قال: يرى أهل النار منازلهم في الجنة فيقولون يا حسرتنا﴿ فيها﴾ في الدنيا للعلم بها وإن لم يجر لها ذكر، أو على ما فرطنا في العمل لها﴿ وهُمْ يَحْمِلُونَ

أوزارَهُمْ﴾ أثقال ذنوبهم ﴿ عَلى ظُهُورِهِمْ﴾ إذ اعتيد حمل الأثقال على الظهور ﴿ ألا ساءَ ما يَزِرُونَ ﴾ ما ينالهم جزاء لذنوبهم، إذ كان عذاباً أو نكالاً﴿ ومَا الْحَياةُ الدُّنيا﴾ أي: أعمالها، جواب لقولهم: (إن هي الا حياتنا الدنيا)﴿ إلاّ لَعبٌ ولَهْوٌ﴾ اشتغال بما لا يعقب نفعاً كما تعقبه أعمال الآخرة﴿ ولَلدّارُ الآخِرةُ خَيْرٌ لِلَّذينَ يَتَّقُونَ﴾ المعاصي لدوامها وخلوصها من شوائب النقص، وقرأ ابن عامر (ولدار الآخرة)﴿ أ فَلا يَعقلونَ﴾ ذلك فيؤمنون، وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء تغليباً للحاضرين، وفي الآية تسلية للفقراء، وتقريع للأغنياء الراكنين إلى حطامها﴿ قَدْ﴾ للتحقيق ﴿ نَعْلَمُ إنهُ﴾ أي: الشأن﴿ لَيَحْزُنُكَ الَّذي يَقُولُونَ﴾ إنك شاعر، أو مجنون، أو كذاب﴿ فَإنهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ﴾ بقلوبهم، أو بالحقيقة، وقرأ نافع والكسائي (لا يكذبونك) من أكذبه أي: وجده كاذباً أو نسبه إلى الكذب، وعن الصادق (ع) قرأ رجل على أمير المؤمنين(فإنهم لا يكذبونك) فقال: بلى والله لقد كذبوه أشد التكذيب، ولكنها مخففة: (لا يأتوك بباطل يكذبون به حقك)وعنه (ع) أي: لا يستطيعون إبطال قولك﴿ ولكنَّ الظّالِمينَ بِآياتِ اللّه يَجْحَدُونَ﴾ وضع الظاهر موضع المضمر إيذاناً بأنهم ظلموا بجحودهم القرآن، والباء لتضمن الجحود معنى التكذيب قيل: قال أبوجهل: ما نكذبك وإنما نكذب ما جئت به، فنزلت﴿ ولَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ منْ قَبْلكَ﴾ تسلية له (ص)﴿ فَصَبَرُوا عَلى ما كُذِّبُوا وأوذُوا﴾ (ما) مصدريه﴿ حَتّى أتاهُمْ نَصْرُنا﴾ على المكذبين، فتأسّ واصبر حتى يأتيك نصرنا، وروي: أنه لما نزلت ألزمَ النبي (ص) نفسه الصبر﴿ ولا مُبَدِّلَ لِكَلمات اللّه﴾ لا أحد يقدر على تكذيب خبر اللّه على الحقيقة، أو على خلاف مواعيده به نصر رسله ﴿ ولَقَدْ جاءَكَ منْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ﴾ بعض قصصهم كيف أنجيناهم ونصرناهم على

قومهم ﴿ وإن كان كَبُرَ﴾ عظم وشق ﴿ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ ﴾ عن الإيمان بما جئت به، أو عنك، وعن الباقر (ع) :كان رسول الله (ص) يحب إسلام الحارث بن نوفل، فدعاه وجهد به أن يسلم، فغلب عليه الشقاء، فشق ذلك على رسول الله (ص)، فنزلت﴿ فَإِن اسْتَطَعْتَ إن تَبْتَغِيَ نَفَقاً﴾ سرباً في الأرض، ومنفذاً إلى جوفها ﴿ أو سُلَّماً﴾ مصعداً ﴿ فِي السَّماءِ فَتَأْتِيَهُمْ﴾ من الأرض، أو من السماء﴿ بآية﴾ بحجة تلجأهم إلى الإيمان وتجمعهم على ترك الكفر، فافعل ذلك، والشرط وجوابه المحذوف جواب الشرط الأول، والمقصود بيان حرصه على إيمانهم﴿ ولوشاءَ اللَّهُ﴾ جبرهم﴿ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدى﴾ بالإلجاء، ولكن لم يفعل لمنافاته الحكمة﴿ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الجاهلين﴾ بذلك، القمي: مخاطبة للنبي (ص) والمعنيّ الناس.

[سورة الأنعام الآيات ٣٦ - ٤٤]

إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ

﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾

﴿إنما يَسْتَجِيبُ﴾ يجيب إلى الإيمان بالله وبما أنزل إليك ﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ كلامك ويتفكرون ويتدبرون، وهؤلاء كالموتى لا يسمعون ولا يعقلون ﴿والْمَوْتى يَبْعَثُهُمُ اللّهُ﴾ من قبورهم فيحكم بينهم ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ﴾ إلى حكمه ﴿يُرْجَعُونَ﴾ أو يبعثهم من القبور ثم يرجعون إلى موقف الحساب فحينئذ يسمعون ويلجأون إلى الإيمان، وأما قبل ذلك فلا سبيل إلى سماعهم ﴿وقالُوا﴾ لمّا عجزوا عن معارضه القرآن ﴿لولا﴾ هلاّ ﴿نُزِّلَ عَلَيْه آيةٌ منْ ربِّه﴾ غير ما أنزل من الآيات إستهانة بها وعناداً - مع كثرتها - ﴿قُلْ إن اللّهَ قادِرٌ على أن يُنَزِّلَ آيةً﴾ كما تسألونها ﴿ولكنَّ أكثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ ما في إنزالها من وجوب استئصالهم إذا لم

يؤمنوا، القمي: لا يعلمون أن الآية إذا جاءت ولم يؤمنوا بها لهلكوا، وعن الباقر(ع): سيريكم في آخر الزمان آيات منها: دابة الأرض، والدّجال، ونزول عيسى، وطلوع الشمس من مغربها﴿ وما مِنْ دَابَّةٍ﴾ تدب﴿ فِي الأَرْضِ﴾ وتمشي على وجهها ﴿ ولا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ﴾ وصف به قطعاً لمجاز السرعة كما يقال: (طر في حاجتي) أي: أسرع بها، أو لإخراج السمك فإنه يطير في الماء بلا أجنحة، وأراد تعالى ما في الأرض وما في الجو﴿ إلاَّ أُمَمٌ﴾ أصناف تشتمل كل صنف على العدد الكثير﴿ أَمْثالُكُمْ﴾ في إبداع الله أياها، أو حفظه أحوالها، وتقدير أرزاقها وكتبه آجالها، وهدايتها ودلالتها، والقادر على ذلك قادر على أن ينزل آية، أو إنهم يبعثون كما تبعثون﴿ ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ما تركنا، أو ما قصرنا في القرآن، واللوح المحفوظ شيئاً من التفريط إذ في اللوح ما يجري في العالم من دقيق وجليل، وفي القرآن ما يحتاج اليه من أمر الدين مجملاً أو مفصلاً، ففي الرضوي[١] : إن الله لم يقبض نبيّه حتى أكمل له الدين وأنزل عليه القرآن (فيه تفصيل كل شيء)[٢] فيه الحلال والحرام، والحدود والأحكام، وجميع ما يحتاج اليه كملاً، فقال: نعم (ما فرّطنا في الكتاب من شيء)﴿ ثُمَّ إلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ أي: الأمم كلها بعد موتها يوم القيامة، ينتقم للجماء من ذات القرون[٣] ـ كما في الأخبار ـ ﴿ والَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا﴾ بالقرآن، أو الحجج﴿ صُمٌّ﴾ عن الهدى

---

(١) الحديث الوارد عن الإمام الرضا(ع).

(٢) إشارة إلى الآية الكريمة: (ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء) سورة يوسف الآية ١١١.

(٣) يقال: (جَمَّ الكَبْشُ والنعجة ونحوهما) أي: لم يكن له قرن، فيسمى (أجمّ) ويجمع على جَمّاء. المعنى: إن الله تعالى ـ لشدة عدله ـ ينتقم للحيوان المظلوم الذي ليس له قرن من الحيوان المعتدي الذي له قرون وذلك يوم الحشر.

﴿ وبُكْمٌ﴾ لا يتكلمون بخير﴿ فِي الظُّلُمات﴾ خبر ثالث، أي: ظلمات الكفر ـ كما عن الباقر (ع) ـ أو الجهل﴿ مَنْ يَشأِ اللّهُ يُضْلِلْهُ﴾ يخذله بسوء اختياره، أو يمنعه ألطافه فيضل كما قال: (وما يضل به إلا الفاسقين)﴿ ومَنْ يَشأْ ﴾ يرحمه ويهديه إلى الجنة ﴿ يَجْعَلْهُ عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يلطف به لأنّه أهله، وعن الباقر (ع): نزلت في الذين كذبوا الأوصياء هم صم وبكم كما قال الله (في الظلمات) من كان من ولد إبليس فإنه لا يصدّق بالأو صياء ولا يؤمن بهم أبداً، وهم الذين أضلّهم الله، ومن كان من ولد آدم آمن بالأوصياء وهم على صراط مستقيم﴿ قُلْ أَرَأَيتَكُمْ﴾ (الكاف) حرف خطاب لحقه ما يبين الضمير لا مفعول، وإلا لقيل(أ رأيتموكم) ومتعلق الإستخبار محذوف أي: أخبروني﴿ إن أتاكُمْ عَذابُ اللّهِ﴾ في الدنيا كما نزل بقوم عاد وثمود وغيرهم﴿ أو أَتَتْكُمُ السّاعَةُ﴾ أي: القيامة وأهوالها من تدعون﴿ أَ غَيْرَ اللّهِ تَدْعُونَ ﴾ جواب الشرط، والإستفهام للتبكيت أي: تدعون فيها لكشف ذلك عنكم هذه الأوثان التي تعلمون إنها لا تنفع، أو تدعون الله الذي خلقكم﴿ إن كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ في أن هذه الأوثان آلهة﴿ بَلْ أياهُ تَدْعُونَ﴾ تخصونه بالدعاء دون أوثانكم﴿ فَيَكْشِفُ ما تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ كشفه﴿ إن شاءَ﴾ أن يتفضل عليكم بكشفه﴿ وتَنْسَوْنَ ما تُشْرِكُونَ﴾ وتتركون أوثانكم حيث ارتكز في العقول إنه هو القادر على كشف الضر دونها، وتنسونها في ذلك لشدّة الأمر وهوله ﴿ ولَقَدْ أَرْسَلْنا إلى أُمَمٍ مِنْ﴾ مزيدة﴿ قَبْلِكَ﴾ فكذبوهم﴿ فَأَخَذْناهُمْ بِالْبَأْساءِ﴾ بالشدة والفقر﴿والضَّرّاءِ﴾ المرض، أو نقص من الأموال والأنفس﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ لكي يتضرعوا أو يخضعوا ولم يتضرعوا ولم يخضعوا وهذا كالتسلية له (ص) ﴿ فَلَولا إِذْ جاءَهُمْ بَأْسُنا تَضَرَّعُوا﴾ يعني: إنهم لم يتضرعوا إذ جاءهم بأسنا مع قيام ما يدعوهم

اليه﴿ ولكنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ وأقاموا على كفرهم ولم تنجع[1] فيه العظة﴿ وزَيَّنَ لَهُمُ الشيطان﴾ بالوسوسة والإغراء بالمعصية ـ لما فيها من عاجل اللذة ـ ﴿ ما كانوا يَعْمَلُونَ﴾ فذلك الذي منعهم من التضرع، في النهج: (لو أن الناس حين تنزل بهم النقم وتزول عنهم النعم فزعوا إلى ربهم بصدق من نياتهم ووله من قلوبهم لردّ عليهم كل شارد وأصلح لهم كل فاسد)﴿ فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أي: تركوا الإتعاظ بما وعظوا به من البأساء والضراء﴿ فَتَحْنا﴾ وشدده ابن عامر حيث وقع ﴿ عَلَيْهِمْ أبوابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ المراد التكثير دون التعميم، كما في قوله (وأوتيت من كل شيء)[2] أي: أبواب كل شيء من صنوف النعم إمتحاناً لهم بالشدة والرخاء لتلزمهم الحجة، أو استدراجاً لهم﴿ حَتَّى إِذا فَرِحُوا بِما أُوتُوا ﴾ من النعم التي اشتغلوا بها عن شكر المنعم وبطروا﴿ أَخَذْناهُمْ﴾ بالعذاب ﴿ بَغْتَةً﴾ مفاجأة، مصدر وقع موقع الحال أي: مباغتين﴿ فَإِذا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ آيسون من النجاة متحسرون.

[سورة الأنعام الآيات ٤٥ – ٥٢]

فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ

(١) تنفع.

(٢) سورة النمل الآية ٢٣.

﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾

﴿فَقُطِعَ دابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ استؤصلوا بالعذاب، فلم يبق لهم عقب ولا نسل ﴿والْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾ على إهلاك أعدائه وإعلاء كلمته، ويفيد إن إهلاك الظلمة نعمة يجب الحمد عليها، وعن النبي (ص): إذا رأيت الله يعطي على

المعاصي فإن ذلك إستدراج منه، ثم تلا هذه الآية، وعن الباقر(ع): (فلمّا نسوا ما ذكّروا به) يعني: فلما تركوا ولاية علي وقد أمروا بها (فتحنا عليهم أبواب كل شيء) دولتهم في الدنيا وما بسط لهم فيها (أخذناهم بغتة) الآية نزلت في ولد العباس﴿ قُلْ أَ رَأَيْتُمْ إن أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وأَبْصارَكُمْ﴾ بأن ذهب بهما وصرتم صمّاً وعمياً، وموضع الشرط وجوابه المحذوف نصب على الحال﴿ وَخَتَمَ﴾ وطبع ﴿ عَلى قُلُوبِكُمْ﴾ وذهب بعقولكم، وسلب عنكم البصيرة حتى لا تفهموا شيئاً، وخصت هذه الثلاث بالذكر لأنّها بها تتم النعم ديناً ودنياً ﴿مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ صفة (إله) ﴿ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾ أي: بما أخذ منكم وختم عليه، صفة ثالثة، وعن الباقر(ع): يقول: إن الله أخذ منكم الهدى﴿ أنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآياتِ ﴾ تنبيهاً لهم، أو نوجهها حججا عقلية وترغيباً وترهيباً وتذكيراً بمن مضى﴿ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ يعرضون عنها بعد ظهورها﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إن أَتاكُمْ عَذابُ اللَّهِ﴾ بعد إقامة الحجج﴿ بَغْتَةً ﴾ بلا أمارة قبله ﴿ أو جَهْرَةً ﴾ تسبقه أمارتها، أو ليلاً ونهاراً﴿ هَلْ يُهْلَكُ﴾ أي: ما يهلك به هلاك سخط﴿ إلاَّ الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون، القمي: نزلت لمّا هاجر رسول الله (ص) إلى المدينة، وأصاب أصحابه الجهد والعلل والمرض، فشكوا ذلك إليه يعني أي: لا يصيبكم إلا الجهد والضرّ في الدنيا فأما العذاب الأليم الذي فيه الهلاك فلا يصيب إلا القوم الظالمين، وعن الصادق (ع): يؤاخذ بني أميّة بغتة وبني العباس جهرة ﴿ وما نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إلاَّ مُبَشِّرِينَ﴾ المؤمنين بالجنة﴿ ومُنْذِرِينَ﴾ الكفّار بالنار، لا أرباباً يقدرون على كل آية يسألون عنها﴿ فَمَنْ آمَنَ﴾ بهم﴿ وأَصْلَحَ﴾ عمله﴿ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ من العذاب ﴿ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ كما يحزن أهل النار على فوت الثواب، أو على ما خلفوه في

الدنيا﴿ والَّذِينَ كَذَّبُوا بآياتنا يَمَسُّهُمُ﴾ يصيبهم﴿ الْعَذابُ بما كانوا يَفْسُقُونَ﴾ بخروجهم عن الإيمان والطاعة﴿ قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزائِنُ اللَّهِ﴾ خزائن رحمته، أو مقدوراته، أو أرزاق خلقه، روي: أن موسى قال: (يا رب أرني خزائنك) فقال: (إنما خزائني إذا أردت شيئاً أن أقول له: كن، فيكون﴿ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ولا أَقُولُ لَكُمْ إني مَلَكٌ﴾ من جنس الملائكة أقدر على ما يقدرون، وأعلم ما يعملون، بل أنا بشر﴿ إن أَتَّبِعُ إلاَّ ما يُوحى إِلَيَّ﴾ ما أنبأتكم بما كان أو يكون إلا بالوحي، تبرء من دعوى الألوهية والملكية وأدّعي النبوة التي هي من كمالات البشر ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمى والْبَصِيرُ﴾ إستفهام نفي، أي: لا يستوي العالم والجاهل، وعنهم (ع): (من لا يعلم ومن يعلم)﴿ أَ فَلا تَتَفَكَّرُونَ﴾ فتعلموا الحق، أو فتؤمنوا، أو فتنصفون من أنفسكم وتعملون بالواجب عليكم من الإقرار بالتوحيد ونفي الشريك﴿ وَأَنذِرْ بِهِ﴾ وخوّف بالله، أو بالقرآن﴿ الَّذِينَ يَخافُونَ﴾ أي: يعلمون ﴿ أنْ يُحْشَرُوا إلى رَبِّهِمْ﴾ أو يظنونه، فالمنذر به المفرطون في العمل، أو المجوزون للحشر مؤمناً كان أو كافراً مقراً به، أو متردداً فيه دون ازمين باستحالته﴿ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ من دون الله﴿ وَلِيٌّ ولا شَفِيعٌ﴾ الجملة حال من (يحشروا) أو من (يخافون) أي: متخلين من ولي ولا شفيع﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ لكي يخافوا في الدنيا فيتوبوا، وعن الصادق (ع): وأنذر بالقرآن الذين يرجون الوصول إلى ربهم ترغبهم فيما عنده، فإن القرآن شافع مشفّع ﴿ ولا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداةِ﴾ بألف وبواو في كل القرآن﴿ والْعَشِيِّ﴾ أي: يعبدونه بالدوام، أو في صلاة الصبح والعصرطرفي النهار، وقرأ ابن عامر (بالغدوة)﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ حال، أي: يدعونه مخلصين فيه﴿ ما عَلَيْكَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: المشركين، أو الذين يدعون

ربهم ما عليك من حساب عملهم أو رزقهم من شيء﴿ وما مِنْ حِسابِكَ عَلَيهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك﴿ فَتَطْرُدَهُمْ﴾ جواب النفي﴿ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ جواب النهي، القمي ما حاصله: كان بالمدينة فقراء مؤمنون، أمرهم النبي (ص) أن يكونوا في الصفة وكان (ص) يتعاهدهم بنفسه ويختلفون إليه (ص) فيقربهم ويؤنسهم، وكان إذا جاء الأغنياء والمترفون من أصحابه ينكرون عليه ذلك، فجاء رجل من الأنصار يوماً إلى النبي (ص) وعنده رجل من أهل الصفة قد لزق برسول الله (ص) يحدثه، فقعد الأنصاري بالبعد منهما، فقال له (ص): تقدم، فلم يفعل، فقال (ص): لعلك خفت أن يلزق فقره بك، فقال الأنصاري: اطرد هؤلاء عنك، فنزلت.

[سورة الأنعام الآيات ٥٣ - ٥٩]

وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ

قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾

﴿ وَكَذلِكَ﴾ مثل ذلك الفتن وهو إختلاف أحوال الناس في أمور الدنيا ﴿ فَتَنَّا﴾ ابتلينا﴿ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ﴾ أي: شدّدنا التكليف على الأشراف من العرب بأن أمرناهم بالإيمان وبتقديم هؤلاء الضعفاء على أنفسهم وكان شاقاً ومن ثمّ سمّاه الله(فتنة) ﴿ لِيَقُولُوا﴾ (اللام) للعاقبة أي: فعلنا هذا ليصبروا ويشكروا فآل أمرهم إلى أن قالوا﴿ أَ هؤُلاءِ﴾ الضعفاء والمساكين﴿ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنا﴾ بالهداية والتوفيق دوننا ونحن الرؤساء وهم الضعفاء، ومثله: (لوكان خيراً ما سبقونا اليه)(١)

(١) سورة الأحقاف الآية ١١.

﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ فيوفقهم، وبغيرهم فيخذلهم، ويدل على أن فقراء المؤمنين أولى بالتعظيم من أغنيائهم، وعن علي (ع): (من أتى غنياً فتواضع لغناه ذهب ثلثا دينه) ﴿ وإذا جاءكَ الَّذينَ يُؤْمِنُونَ بِآياتنا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾ تحية من الله على لسان نبيه، كرامة للمؤمنين، وكناية عن قبول عذرهم، وبشرى لهم بالسلامة ممّا اعتذروا منه ﴿ كَتَبَ﴾ أوجب ﴿ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ إيجاباً مؤكداً لمن تاب، عن الصادق (ع): إنها نزلت في التائبين، ويؤيده تمام الآية، وعن ابن عباس: نزلت في علي وحمزة وزيد، وقيل: نزلت في الذين نهى النبي (ص) عن طردهم وكان النبي (ص) إذا رآهم بدأهم بالسلام وقال: الحمد لله الذي جعل في، مّتي من أمرني أن أبدأهم بالسلام﴿ إنهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً﴾ إستئناف لبيان الرحمة وفتحها نافع وعاصم وابن عامر بدلاً منها ﴿ بِجَهالَةٍ ﴾ متلبساً بفعل الجهلة، إذ ارتكاب ما يعقب الضرر جهل وسفه﴿ ثُمَّ تابَ مِنْ بَعْدِه﴾ بعد عمله﴿ وأَصْلَحَ﴾ العمل بالتدارك﴿ فَانهُ﴾ أي: الله ﴿ غَفُورٌ﴾ له ﴿ رَحِيمٌ﴾ به، وفتحها من فتح الأول سوى نافع، مبتدأً أو خبراً أي: فله، أو فأمره غفرانه﴿ وَكَذلكَ﴾ التفصيل﴿ نُفَصِّلُ الآياتِ﴾ نبيّن آيات القرآن ليظهر الحق ﴿ ولِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمينَ﴾ قرأ نافع بالتاء ونصب (سبيل) مفعولاً خطاباً للنبي (ص)، وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وحفص يرفعه فاعلاً، والباقون بالياء ورفعه على تذكيره﴿ قُلْ إني نُهيتُ﴾ عن ﴿ إن أَعْبُدَ الَّذينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدونهم أو تسمونهم (آلهة)﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لا أَتَّبِعُ أَهْواءَكُمْ﴾ استجهال لهم، وبيان لعلّة الإمتناع من متابعتهم وبسبب ضلالهم من اتباع الهوى لا الحجة﴿ قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً﴾ إن اتبعت أهوائكم﴿ وما إنا مِنَ الْمُهْتَدينَ﴾ تعريض بهم﴿ قُلْ إني عَلى بَيِّنَةٍ﴾ حجة واضحة ﴿ مِنْ رَبِّي﴾ من معرفته، أو كائنة

منهم[١] ﴿ وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾ بربي حيث أشركتم به غيره، أو بالبينة على المعنى أي: القرآن﴿ ما عِنْدِي ما تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ من العذاب الذي استعجلتموه من قولكم: (فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم)[٢] ﴿ إن الْحُكْمُ إلاَّ لِلَّهِ ﴾ في العذاب وغيره ﴿ يَقُصُّ ﴾ يقضي القضاء ﴿ الْحَقَّ﴾ أو يصنع الحق وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم (يقص) أي: يقول﴿ وهُوَ خَيْرُ الْفاصِلِينَ﴾ أي: القاصين﴿ قُلْ لَوأن عِنْدِي﴾ في قدرتي﴿ ما تَسْتَعْجِلُونَ بهِ﴾ من العذاب﴿ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وبَيْنَكُمْ﴾ بأن أهلككم، ولكنه عند الله﴿ واللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ وبما توجبه الحكمة من أخذهم وإمهالهم﴿ وعِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُها إلاَّ هُوَ﴾ جمع (مَفتح) بفتح الميم أي: خزائنه التي فيها علم العذاب المستعجل به وغيره من الآجال والأرزاق، فهو يعجّل ما تعجيله أصلح، ويؤخّر ما تأخيره أصلح، أو جمع (مِفتح) بكسر الميم وهو المفتاح أي: عنده الوصلة إلى علم الغيب، فإنه الذي يفتح باب العلم لمن يريد من الأنبياء والأوصياء بإعلامه وتعليمه، ونصب الأدلة ويغلقه عمن يريد لأنّه لا يعلمها أحد إلاّ هو، أو من أعلمه بها، وعلّمه إياه على ما تقضيه الحكمة ﴿ ويَعْلَمُ ما فِي الْبَرِّ والْبَحْرِ﴾ من حيوان وغيره ﴿ وما تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إلاَّ يَعْلَمُها﴾ أو تبقى إلا بعلمه ساقطة وثابتة ﴿ ولا حَبَّةٍ فِي ظُلُماتِ الأَرْضِ﴾ أي: حبّة نابتة في باطنها إلا يعلمها ﴿ ولا رَطْبٍ ولا يابِسٍ﴾ جميع الأشياء كلها فيها، لأنّ الأجسام لا تخلومن أحدهما، وقيل: ما ينبت وما لا ينبت، وقيل: كناية عن الحي والميت ﴿ إلاَّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ﴾ أي: إلا هومكتوب في كتاب مبين، هوعلمه تعالى، أو اللوح، وروي

---

(١) الظاهر أن الصحيح: (منه).

(٢) سورة الأنعام الآية ٣٢.

الورقة السقط والحبة الولد، وظلمات الأرض الأرحام، والرطب: ما يحيى، واليابس: ما يغيض، وكل ذلك في كتاب مبين، وعن الكاظم (ع): الورقة: السقط من بطن أمّه من قبل أن يهل الولد، والحبة: الولد في بطن أمّه إذا أهل وسقط من قبل الولادة، والرطب: النطفة إذا اشتكت في الرحم قبل أن يتم خلقها قبل أن تنتقل، واليابس: الولد التام، والكتاب المبين: الإمام المبين.

[سورة الأنعام الآيات ٦٠- ٦٨]

وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ

وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾

﴿ وهُو الّذي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللّيلِ﴾ يقبض أرواحكم عن التصرف بالنوم كما يقبضها بالموت﴿ ويَعْلَمُ ما جَرَحْتُمْ ﴾ ما كسبتم من الأعمال﴿ بِالنَّهارِ﴾ على التفصيل على كثرتها وكثرتكم، وفيه إشارة إلى سعة رحمته حيث يعلم ولا يعاجلهم بالعقوبة ﴿ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ في النهار، وجعل إنبثاثهم من النوم بعثاً﴿ لِيُقْضى أَجَلٌ مُسَمًّى﴾ أي: الموت ـ كما عن الباقر (ع)ـ ﴿ ثُمَّ إلَيْه﴾ أي: إلى حكمه وجزائه﴿ مَرْجِعُكُمْ﴾ بالموت، أو البعث﴿ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بمجازاتكم به﴿ وهُو الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ﴾ أي: المقتدر والمستعلي عليهم﴿ ويُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ ملائكة تحصي أعمالكم، وفيه لطف للعباد لأنّهم إذا علموا أن أعمالهم تكتب وتعرض في القيامة كان أزجر عن الذنب﴿ حَتّى إِذا جاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا ﴾ ملك الموت وأعوانه، وقرأ حمزة (توفاه) بألف ممالة﴿ وهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾ لا يقصرون بالغفلة والتواني﴿ ثُمَّ رُدُّوا إلى اللّهِ﴾ إلى حكمه وجزائه في المواضع الذي لا يملك الحكم غيره﴿ مَوْلاهُمُ﴾ المتولي أمرهم﴿ الْحَقِّ﴾ الثابت العدل في حكمه﴿ أَلا لَهُ الْحُكْمُ﴾ يومئذٍ لا لغيره ﴿ وهُو أَسْرَعُ الْحاسِبِينَ﴾ يحاسبهم في قدر حلب شاة، لا يشغله حساب عن حساب، كما مرّ في سورة البقرة﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ﴾ وخفّفه يعقوب ﴿ مِنْ ظُلُماتِ الْبَرِّ والْبَحْرِ﴾ شدائدهما يقال لليوم الشديد يوم مظلم وذو كواكب ﴿ تَدْعُونَهُ﴾ حال﴿تَضَرُّعاً وخُفْيَةً﴾ علانّية وسراً حالان، أو مصدران، وكسر الخاء

أبوبكر، قائلين: ﴿ لَئِنْ﴾ قسم﴿ أنجيتنا﴾ وقرأ الكوفيون (أنجانا)﴿ مِنْ هذهِ﴾ الظلمات﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ دلّ على أن السّنة في الدعاء التضرع والإخفات وعن النبي (ص): خير الدعاء الخفي،﴿ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ﴾ وشدّده الكوفيون ﴿ مِنْها﴾ من الظلمات ﴿ وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾ سواها﴿ ثُمَّ أنتم تُشْرِكُونَ ﴾ به، ولم تفوا بوعد الشكر﴿ قُلْ هُوَالْقادِرُ عَلى أن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذاباً مِنْ فَوْقِكُمْ ﴾ كالطوفان والريح والحجارة والصيحة﴿ أو مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ كالغرق والخسف، وقيل: الأول: السلاطين الظلمة، والثاني: العبيد ومن لا خير فيه﴿ أو يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً﴾ أي: يخلطكم فرقاً مختلفي الأهواء، أو كل فرقة متابعة لإمام شيعته، ومعنى خلطهم اشتباكهم في ملاحم القتال﴿ وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ يقتل بعضكم بعضاً ﴿أنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآياتِ﴾ نرددها مرّة بعد أخرى بالوعد والوعيد﴿ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ لكي يعلموا الحق فيتبعوه والباطل فيجتنبوه، وعن الباقر (ع): عذاباً من فوقكم وهو الدّخان والصيحة، أو من تحت أرجلكم هوالخسف أو يلبسكم شيعاً هو الإختلاف في الدين وطعن بعضكم على بعض، ويذيق بعضكم بأس بعض هو أن يقتل بعضكم بعضاً، وكل هذا في أهل القبلة، وعن الصادق (ع): من فوقكم: من السلاطين الظلمة ومن تحت أرجلكم: العبيد السوء ومن لا خير فيه، أو يلبسكم شيعاً يضرب بعضكم ببعض ما يلقيه بينكم من العداوة والعصبية، ويذيق بعضكم بأس بعض هو سوء الجوار﴿ وَكَذَّبَ بِهِ﴾ بالقرآن، أو العذاب، أو تصريف الآيات ﴿ قَوْمُكَ﴾ يعني: قريشاً والعرب﴿ وَهُوَ﴾ أي: القرآن﴿ الْحَقُّ﴾ الصدق، أو العذاب الحق الواقع، أو تصريف الآيات الدال على الحق﴿ قُلْ﴾ يا محمد (ص)﴿ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ بحفيظ لأعمالكم إنما أنا منذر والله المجازي الحفيظ﴿ لِكُلِّ نَبَأٍ﴾

خبر من أخبار الله ورسوله﴿ مُسْتَقَرٌّ﴾ حقيقة كائنة إما في الدنيا، أو في الآخرة ﴿ وسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ما يحلّ بكم من العذاب﴿ وإذا رأيتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتنا﴾ يكذبون ويستهزؤن بها ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ بالقيام وعدم المجالسة وعن الباقر (ع) في الآية الكلام في الله والجدال في القرآن قال: منه القصّاص﴿ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ أعاد الضمير على معنى الآيات وهو القرآن، أو غير الإستهزاء وإنما أمر بالإعراض عنه لأنّ المحاجّة مع من هذا شأنه تضييع وقت، ووضع للشيء في غير محلّه﴿ وإمَّا يُنسِيَنَّكَ﴾ بتخفيف النون والتشديد﴿ الشيطان﴾ النهي عن الجلوس﴿ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرى﴾ للنهي، أو بدعائك إياهم إلى الدّين ﴿ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وضع الظاهر موضع المضمر تنبيهاً على أنهم ظلموا بوضع التكذيب والإستهزاء موضع التصديق والإستعظام، ولا يحتج بالآية على نسيان الأنبياء لأنّ أكثر الخطابات من باب: إياك أعني واسمعي يا جارة.

[سورة الأنعام الآيات ٦٩ - ٧٣]

وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ

مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

﴿وَمَا عَلَى﴾ المؤمنين ﴿الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ معاصي الله بحضور مجلس الخوض ﴿مِنْ حِسَابِهِمْ﴾ حساب الكفرة ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ من قبائح أعمالهم وأقوالهم التي يحاسبون عليها ﴿وَلَكِنْ﴾ نهوا عن مجالستهم ليزدادوا تقى وأمروا أن يذكروهم ﴿ذِكْرَى﴾ ويمنعوهم عن الخوض وغيره ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ لكي يتجنب المشركون ذلك حياءً أو خوفاً، وعن الباقر (ع): لما نزل (فلا تقعد بعد الذكرى) قال المسلمون: كيف نصنع؟ كلّما استهزأ المشركون قمنا وتركناهم فلا ندخل إذاً

المسجد الحرام ولا نطوف بالبيت الحرام فأنزل الله (وما على الذين يتقون...) إلخ، أمر بتذكيرهم وتبصيرهم ما استطاعوا﴿ وذَرِ الَّذينَ اتَّخذُوا دينَهُمْ لَعِباً ولَهْواً﴾ حيث سخرو واستهزؤا به، وجعلوا عيدهم الذي هو ميقات عبادتهم زمان لعب ولهو ﴿ وغرَّتْهُمُ الحَياةُ الدُّنيا﴾ فألهتهم حتى أنكروا البعث والنشور﴿ وذَكِّرْ بِهِ ﴾ وعظ بالقرآن كراهة ﴿ أن تُبسَلَ نَفسٌ بما كَسَبَتْ﴾ أن تسلم نفس إلى الهلاك بعملها السّيىء، وأصل البسل: المنع (أسد باسل) لا تغلب فريسته منه ﴿ لَيْسَ لَها مِنْ دُونِ اللَّهِ ولِيٌّ ﴾ ناصر﴿ولا شَفِيعٌ﴾ يدفع العذاب عنها والجملة صفة نفس﴿ وَإن تَعْدِلْ﴾ العدل: الفداء وأصله المثل والقسط﴿كُلَّ عَدْلٍ﴾ منصوب على المصدر أي: وإن تفد كل فداء﴿لا يُؤْخَذْ مِنها﴾ أو إن تقسط كل قسط في ذلك اليوم لا يقبل منها لأنسداد التوبة﴿أولئكَ﴾ مبتدأ خبره: ﴿ الَّذينَ أُبْسِلُوا بما كَسَبُوا﴾ أي: أسلموا إلى الهلاك بسبب كسبهم الأعمال القبيحة والعقائد الفاسدة﴿ لَهُمْ شَرابٌ﴾ خبر ثان، أو مستأنف﴿ مِنْ حَميمٍ﴾ وهو: الماء الحار أحمّ حتى إنتهى غليانه، ومنه الحَمّام ﴿ وعَذابٌ أَليمٌ﴾ مؤلم﴿ بما كانوا يَكْفُرُونَ﴾ أي: هم بين ماء مغلي يتجرجر[1] في بطونهم ونار تشتعل بأبدانهم بسبب كفرهم﴿ قُلْ أَنَدْعُوا ﴾ نعبد﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يَنْفَعُنا﴾ إن عبدناه﴿ ولا يَضُرُّنا﴾ إن تركناه﴿ ونُرَدُّ عَلى أَعْقابِنا﴾ كناية عن الخيبة ﴿ بَعْدَ إِذْ هَدانا اللَّهُ﴾ بخير الأديان﴿كَالَّذي﴾ صفة مصدر محذوف أي: أندعومن دون الله دعاء مثل دعاء الذي﴿ اسْتَهْوَتْهُ﴾ ذهبت به﴿ الشَّياطينُ﴾ من مردة الجن في المهابة[2]﴿ فِي الأَرْضِ حَيْرانَ﴾ حال من مفعول استهوته أي: لايهتدي إلى طريق

---

(١) من الجرجرة وهي: صوت الماء في الجوف.

(٢) كذا في الأصل والظاهر أنها (المهامه) أي: المفاوز.

﴿ لَهُ أَصْحابٌ﴾ صفة لـ(حيران)﴿ يَدْعُونَهُ﴾ صفة لأصحاب﴿ إلى الْهُدَى﴾ الطريق الواضح قائلون له: ﴿ ائْتِنا﴾ ولا يقبل منهم ولا يأتيهم لحيرته باستيلاء الجن عليه، بناءً على ما تزعمه العرب إن الجن تستهوي الإنسان﴿ وأُمِرْنا لِنُسْلِمَ﴾ أمورنا﴿ لِرَبِّ الْعالَمِينَ﴾ فنتوكل عليه﴿ وأن أَقِيمُوا﴾ عطف على (لنسلم) أي: أمرنا لأن نسلم ولأنْ اقيموا﴿ الصَّلاةَ﴾ أو على المعنى أي: أمرنا بالإسلام وبإقامة الصلاة، فموضع (أن) نصب على الأول، ورفع على الثاني﴿ وَاتَّقُوهُ﴾ واجتنبوا معاصيه﴿ وَهُوَ الَّذي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيجازيكم على أعمالكم﴿ وَهُوَ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ والأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ للحق أي: خلقهما حقاً لا باطلاً كما قال: (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً)[1] أو بكلامه الحق وهو قوله: (ائتيا طوعاً أو كرهاً)[2]﴿ يَوْمَ يَقُولُ﴾ أي: اذكر، أو عطف على مفعول (فاتقوه) أي: فاتقوا يوم يقول﴿ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ ﴾ مبتدأ وخبر، أو (قوله) فاعل يكون و(الحق) صفة، وقيل مبتدأ مؤخرو(يوم يقول) خبره مقدّم عليه ﴿ ولَهُ الْمُلْكُ﴾ مختص به﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ لبطلان ملك كل مالك فيه سواه، كما قال: (لمن الملك اليوم لله)[3] والصور قرن: من نور موصوف بالسعة والضيق أعلاه وأسفله فيه ثب بعدد أرواح الخلائق ينفخ فيه إسرافيل نفختين: الأولى لأنتهاء الدنيا والأخرى لإبتداء الآخرة ـ كما ياتي في الزمر إن شاء الله تعالى ـ ﴿ عالِمُ الْغَيْبِ﴾ ما لم يكن ﴿ والشَّهادَةِ﴾ ما كان ـ كما عن الصادق (ع)ـ ﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ وهذا كالفذلكة[4] للآية.

---

(١) سورة فصلت الآية ٢٧.

(٢) سورة فصلت الآية ١١.

(٣) سورة غافر الآية ١٦.

(٤) أي: هذا ما فُصل وخلاصته.

[سورة الأنعام الآيات ٧٤ - ٨١]

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَـٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَـٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـٰذَا رَبِّى هَـٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَـٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ

أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

﴿ وَ﴾ اذكر﴿ إِذْ قالَ إبراهيم لأَبِيهِ آزرَ ﴾ عن علي (ع): أنه كان أباه في التربية، وعن الصادق (ع): أن اسم أبيه تارخ ﴿ أَ تَتَّخذُ﴾ استفهام إنكاري أي: لا تتخذ ﴿ أصْناماً آلِهَةً إني أراكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ﴾ عن الحق﴿ مُبِينٍ﴾ ظاهر الضلالة ﴿ وَكَذلِكَ﴾ كما أرينا إبراهيم قبح ذلك﴿ نُرِي إبراهيم مَلَكُوتَ السَّماواتِ والأَرْضِ﴾ للإعتبار، أو كما أريناك يا محمد أرينا إبراهيم آثار قدرتنا في الشمس والقمر والنجوم والبحار والهواء والرياح﴿ ولِيَكُونَ﴾ كلام مستأنف، أو معطوف على محذوف أي: نريه الملكوت ليستدل به﴿ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ عن الباقر (ع): كشط[1] الله له عن الأرضين حتى رآهنّ وما تحتهن وعن السموات حتى رآهنّ وما فيهنّ من الملائكة وحملة العرش، وعنه (ع) وفعل بمحمد (ص) كما فعل بإبراهيم وإني لأرى صاحبكم قد فعل به مثل ذلك، وعنه (ع): أعطي بصره من القوة ما نفذ في السموات، فرأى ما فيها ورأى العرش وما فوقه ورأى ما في الأرض وما تحتها﴿ فَلَمَّا جَنَّ﴾ أظلم﴿ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى كَوْكَباً﴾ هو الزهرة، أو المشتري ﴿ قالَ هذا رَبِّي﴾ على سبيل الأنكار وكان قومه يعبدون الكواكب أي: هذا ربّي عندكم وفي مذهبكم، أو على وجه الإستدلال، وعن الصادق (ع): لم يكن من إبراهيم شرك وإنما كان في طلب ربّه، وهومن غيره شرك ﴿ فَلَمَّا أَفَلَ﴾ غاب وأنتقل من حال، إلى حال لأنّ الأفول يدل على أنه مخلوق﴿ قالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾

---

(١) أي: أزال الغطاء، كما يقال: كشط الجلد عن الذبيحة ، أي: أزاله.

فضلاً عن عبادتهم﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بازِغاً﴾ مبتدئاً في الطلوع﴿ قالَ هذا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ﴾ كالكوكب السابق﴿ قالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ إلى إصابة الحق ﴿ لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ بعبادة هذه الحوادث المسخرة، وروي: (لأكونن من الضالين) أي: ناسياً للميثاق﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بازِغَةً﴾ ملأت الدينا نوراً﴿ قالَ هذا رَبِّي﴾ بلفظ التذكير و(الشمس) مؤنثة تنزيهاً عن التأنيث﴿ هذا أَكْبَرُ﴾ من الكواكب والقمر ﴿ فَلَمَّا أَفَلَتْ ﴾ صارت كالسابق﴿ قالَ يا قَوْمِ إني بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إني وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ أي: نفسي﴿ لِلَّذِي فَطَرَ السَّماواتِ والأَرْضَ حَنِيفاً﴾ مائلاً عن الشرك إلى الإخلاص﴿ وما أنا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وعن الرضا (ع) ما ملخصه: أنه[1] (ع) وقع إلى ثلاثة أصناف: صنف يعبد الزهرة، وصنف يعبد القمر، وصنف يعبد الشمس، وإنما أراد (ع) بما قال: أن يبين لهم بطلانَ دينهم ويثبت عندهم أن العبادة لخالقها وخالق السموات والأرض، قال تعالى: (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم...)[2] إلخ ﴿ وَحاجَّهُ﴾ خاصمه﴿ قَوْمُهُ﴾ في الدين خوفوه من ترك عبادة أصنامهم﴿ قالَ أَتُحاجُّونِّي﴾ بتخفيف النون وتشديدها على حذف الثانية، أو إدغام الأولى فيها﴿ فِي اللَّهِ﴾ في وحدانيته﴿ وقَدْ هَدانِ﴾ بتوفيقه إلى معرفته﴿ وَلا أَخافُ ما تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ لأنَّ ما تعبدوه لا يملك نفعاً ولا ضراً﴿ إلاَّ أن يَشاءَ رَبِّي شَيْئاً﴾ منقطع أي: لا أخاف الأوثان الا أن يشاء ربّي أن يعذبني، أو إبتداء، أو متصل أي: لا أخافها الا أن يشاء ربّي إحياءها واقدارها﴿ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً ﴾ فلا يستبعد في علمه إنزال مخوف بي﴿ أَ فَلا تَتَذَكَّرُونَ﴾ وتميزوا بين الحجر وخالق البشر والقادر والعاجز والضار

---

(١) أي: إبراهيم(ع).

(٢) سورة الأنعام الآية٨٣

والنافع (أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون)[1] ﴿وكَيْفَ أخافُ ما أشْرَكْتُمْ ﴾ ولا يضر ولا ينفع﴿ ولا تَخافُونَ أنكُمْ أشْرَكْتُمْ﴾ أي: إشراككم ﴿ بِاللَّهِ﴾ الخالق القادر أن يضر وينفع﴿ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ﴾ بإشراكه﴿ عَلَيْكُمْ سُلْطاناً﴾ حجة، وهوآلهتكم المخلوقة العاجزة﴿ فَأيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾ من الموحدين والمشركين ﴿ أحَقُّ بِالأمْنِ إن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الأحقّ به منهما، ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله:

[سورة الأنعام الآيات ٨٢- ٩٠]

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَـٰهُمْ وَهَدَيْنَـٰهُمْ إِلَىٰ

(١) سورة الصافات الآية ٩٠.

صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾

﴿الَّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يَلْبِسُوا﴾ أي: لم يخلطوا ﴿إيمانَهُمْ بظُلْمٍ﴾ بشرك ﴿أولئكَ لَهُمُ الأمْنُ﴾ من ربهم بحصول الثواب والأمن من العقاب ﴿وهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ إلى الحق والدين أو إلى الجنة، وعن علي (ع): في هذه الآية من تمام قول إبراهيم (ع)[1] ﴿وتلْكَ حُجَّتُنا﴾ مبتدأ وخبر أشير إلى احتجاج إبراهيم ﴿آتَيْناها إبراهيم﴾ بالوحي والإلهام، أو الإفاضة ﴿عَلى قَوْمِهِ﴾ من الكفّار ﴿نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ﴾ بالإضافة على أن الدّرجات هي المرفوعة وبالتنوين على أن المرفوع صاحبها كما في قوله: (ورفع بعضهم درجات) أي: نفضل بعض المؤمنين على بعض بحسب أحوالهم في الإيمان واليقين ﴿إن ربَّكَ حَكيمٌ عَليمٌ﴾ يفعل ما تقتضي الحكمة والعلم ﴿ووَهَبْنا لَه﴾ لإبراهيم ﴿إسْحاقَ﴾ ابنه من سارة ﴿ويَعْقُوبَ﴾ ابن إسحاق ﴿كُلاً﴾ منهما،

---

(١) الظاهر أن (في) زائدة، فتكون العبارة: «هذه الآية من تمام...»

أو منهم﴿ هَدَيْنا ونُوحاً هَدَيْنا مِنْ قَبْلُ﴾ وعن الباقر (ع): كلاً هدينا لنجعل الوصية في أهل بيته ونوحاً هدينا من قبل لنجعلها في أهل بيته﴿ ومِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ ذرّية نوح، لأنّ لوطاً والياس ليسا من ذرية إبراهيم، ويشكل بالياس إن أريد به إدريس جد نوح، وقيل: ذرية إبراهيم وقد سميت إلى المحسنين، أو أنه غلّب الأكثر الذين هم من نسله؛ وعن الباقر (ع): جعل من عيسى من ذرية نوح، وفي جملة من الأخبار: فجعل عيسى (ع) من ذرية إبراهيم﴿ داود﴾ بن أيشا﴿ وسُلَيْمان﴾ ابنه﴿وأيوبَ ويُوسُفَ ومُوسى وَهارُونَ وكَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنينَ﴾ بنيل الثواب والكرامات ﴿ وزكَرِيَّا﴾ عطف على (نوحاً) على الثاني وعلى(داود) على الأول﴿ وَيَحْيى وعِيسى﴾ عن الصادق (ع): لقد نسب الله عيسى في القرآن إلى إبراهيم من قبل النساء، وتلا الآية﴿ وَإِلْياسَ﴾ قيل: هوالخضر، وقيل غيره﴿ كُلٌ مِنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْماعِيلَ﴾ بن إبراهيم﴿والْيَسَعَ﴾ بتشديد اللام وفتحها وسكون الياء على زيادة (آل)، وهواليسع بن أخطوب﴿ويُونُسَ ﴾ بن متى﴿ ولُوطاً ﴾ بن هارون بن أخي إبراهيم أو ابن أخته﴿وكلاً فَضَّلْنا عَلَى الْعالَمِينَ﴾ عالمي زمانه ﴿ ومِنْ آبائِهِمْ﴾ عطف على (كل) أو نوحاً أي: فضلنا كلاً منهم، أو هدينا هؤلاء وبعض آبائهم ﴿ وذُرِّيَّاتِهِمْ وإِخْوانِهِمْ ﴾ وأتى بـ(من) إذ منهم من لم يكن نبياً ولا مهدياً ﴿ واجْتَبَيْناهُمْ﴾ عطف على (فضلنا) أو (هدينا) أي: اصطفيناهم بالرّسالة﴿ وهَدَيْناهُمْ﴾ بالتسديد، والثبات فاهتدوا﴿ إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ لا اعوجاج فيه﴿ ذلكَ﴾ الاجتباء والتفضيل والهداية﴿ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ﴾ ممّن لم يسم هنا، والهداية ـ هنا ـ الإرشاد إلى الثواب، لقوله: (وكذلك نجزي المحسنين) لا (نصب الأدلة) لاشتراكها بين المؤمن والكافر﴿ ولَو أَشْرَكُوا﴾ مع علو شأنهم﴿ لَحَبِطَ عَنْهُمْ ما

كانوا يَعْمَلُونَ﴾ لأنّ الشرك يحبط العمل، أو لأنّهم أوقعوها لغيروجه الله تعالى ﴿ أولئكَ﴾ الأنبياء﴿ الَّذينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ﴾ أي: جنسه﴿ والْحُكْمَ ﴾ بين الناس، أو الحكمة﴿ والنُّبوَّةَ فَإن يَكْفُرْ بها﴾ بالنبوة، أو بالثلاثة ﴿ هؤُلاءِ﴾ القمي: يعني أصحابه وقريشاً ومن إنكر بيعة أمير المؤمنين (ع) ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنا بِها﴾ بمراعاة أمر النبوة وتعظيمها والأخذ﴿ قَوْماً لَيْسُوا بِها بِكافِرِينَ﴾ وهم الأنبياء المذكورون آمنوا بمحمد (ص) قبل بعثته ومن آمن به بعدها، والقمي يعني شيعة أميرالمؤمنين (ع)، وعن الصادق (ع) قوماً يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويذكرون الله كثيراً ﴿ أولئِكَ﴾ الأنبياء السابقون﴿ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ إلى الصبر﴿ فَبِهُداهُمُ اقْتَدِهْ﴾ بكسر الهاء مشبعة على جعلها كناية عن المصدر وبسكونها وثباتها وقفاً وحذفها وصلاً على أنها للسكت وإثباتها وصلاً أيضاً إجراءً للوصل مجرى الوقف أي: اقتد بهم في الصبر على أذى قومك﴿ قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على تبليغ الرسالة، أو القرآن ﴿ أَجْراً﴾ أي: جزاء كما لم يسأله من قبلي من الأنبياء﴿ إلاَّ ذِكْرى﴾ تذكيراً ﴿ لِلْعالَمِينَ﴾ وفي الآية دلالة على عدم خلوالزمان من حافظ للدّين نبي أو إمام لقوله: (فقد وكلنا بها قوماً) وأسند التوكيل إليه، ولا دلالة في الآية على أنه (ص) كان متعبداً بشريعة من قبله لورودها فيما اتفق عليه من الأصول ومكارم الأخلاق، لا في الشرائع إذ لا يصح الإقتداء بجميع الأنبياء فيها.

[سورة الأنعام الآيات ٩١-٩٤]

وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ

تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

﴿ وما قَدَرُوا اللّهَ حَقَّ قَدْرِه﴾ ما عرفوه حق معرفته، ولا وصفوه بما هوأهله (سبحان ربك رب العزّة عما يصفون)[1] وعن الصادق (ع): (إنّ اللّه لا يوصف وكيف يوصف وقد قال: (وما قدروا اللّه حق قدره) فلا يوصف بقدر إلا كان أعظم من ذلك)﴿ إذْ قالُوا﴾ حين قالوا منكرين الوحي وبعثة الرسل﴿ ما أنزل اللّهُ عَلى بَشَرٍ منْ شَيْءٍ ﴾ القمي: هم قريش واليهود﴿ قُلْ ﴾ لهم يا محمد ﴿ مَنْ أنزل الْكتابَ الّذِي جاءَ بِهِ مُوسى﴾ أي: التوراة احتج به على اليهود لأنّه كتابهم، وعلى مشركي العرب لأنّه ظاهر لا ينكرونه﴿ نُوراً﴾ يستضاء به في الدين كما يستضاء بالنور في الدنيا﴿ وهُدىً للنّاسِ﴾ ودلالة يهتدون به ﴿ تَجْعَلونَهُ﴾ بالتاء على الخطاب، وبالياء على الغيبة، ومثله الأخيران﴿قراطِيسَ﴾ كتباً وصحفاً﴿تُبْدُونَها وتُخْفُونَ كَثيراً﴾ مما فيه وصف النبي (ص) والبشارة به، القمي: يبدون ما شاؤوا ويخفون يعني من أخبار رسول اللّه (ص)، وعن الصادق (ع): يكتمون ما شاؤوا، وفي رواية كانوا يكتبونه في القراطيس يبدون ما شاؤوا ويخفون ما شاؤوا﴿ وَعُلِّمْتُمْ ﴾ خطاب للمسلمين، أو اليهود أي: علمتم التوراة، أو القرآن﴿ ما لَمْ تَعْلَمُوا أنتم ولا آباؤُكُمْ قُلِ اللّهُ ﴾ أنزل ذلك﴿ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ وعيد وتهديد أي: دعهم فسيعلمون عاقبة أمرهم﴿ وهذا﴾ القرآن﴿ كتابٌ أنزلناهُ﴾ من السماء إلى الأرض ﴿ مُبارَكٌ ﴾ لما فيه من النفع وزيادة البيان وانه ناسخ﴿ مُصَدِّقُ الّذي بَيْنَ يَدَيْه ﴾ من الكتب السابقة أي: ينطق بحقيتها، أو مشتمل على ما اشتملت عليه ﴿ ولِتُنْذِرَ﴾ بالياء والتاء عطف على ما دلّ عليه (مبارك) أي: أنزلناه للبركات ولتنذر﴿ أمَّ الْقُرى﴾

(١) سورة الصافات الآية ١٨٠.

أي: أهلها، وهي: مكة لأنّ الأرض دحيت من تحتها فكأنها تولدت منها، والقمي: سميت أم القرى لأنّها أول بقعة خلقها اللّه من الأرض﴿ ومَنْ حَوْلَها﴾ أهل المشرق والمغرب﴿ والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بالقرآن، أو بمحمد (ص) لدلالة الكلام عليه﴿ وهُمْ عَلى صَلاتِهِمْ﴾ على أو قاتها﴿ يُحافِظُونَ﴾ ليؤدوها ويقيموها بإتمام ركوعها وسجودها، وخص الصلاة بالذكر لأنّها عمود الدين﴿ ومَنْ أَظْلَمُ﴾ أي: لا أحد أظلم﴿ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ وزعم أنه بعثه نبياً كمسيلمة ﴿ أو قالَ أوحِيَ إِلَيَّ ولَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ كعبد اللّه بن سرح، وأفرد بالذكر ـ مع دخوله في الأول ـ تعظيماً﴿ ومَنْ﴾ أظلم ممّن ﴿ قالَ سَأنزِلُ مِثْلَ ما أنزل اللَّهُ﴾ لعله جواب لقولهم: لونشاء لقلنا مثل هذا، فادّعوا ثم إنهم لم يفعلوا وبذلوا النفوس والأموال واستعملوا سائر الحيل في إطفاء نور اللّه ويأبى اللّه الا أن يتم نوره، عن أحدهما (ع): نزلت في ابن أبي سرح الذي كان عثمان استعمله على مصر، وهوممن كان رسول اللّه (ص) يوم فتح مكة هدر دمه، وكان يكتب لرسول اللّه (ص) فإذا أنزل اللّه (إن اللّه عزيز حكيم) كتب (إن اللّه عليم حكيم) فيقول له: دعها فإن اللّه عليم حكيم، وكان يقول للمنافقين: إني لأقول من نفسي مثل ما يجيئ به فما يعسر عليّ، فأنزل اللّه فيه الذي أنزل وعن الباقر (ع): في تأو ليه من ادّعى الإمامة دون الإمام﴿ ولَوتَرى إِذِ الظَّالِمُونَ﴾ الجواب والمفعول محذوفان أي: ولوترى الظالمين، حين هم ﴿ فِي غَمَراتِ الْمَوْتِ﴾ شدائده عند النزع لرأيت أمراً عظيماً﴿ والْمَلائِكَةُ﴾ الموكلون بالعذاب، أو يقبض الأرواح ﴿ باسِطُوا أيدِيهِمْ﴾ بالعذاب يضربون وجوههم وأدبارهم على الأول، أو لقبض أرواحهم كالمتقاضي المسلط على الثاني قائلين: ﴿ أَخْرِجُوا أنفسكُمُ﴾ من سكرات الموت إن صدقتم

فيما قلتم، أو أخرجوها من أجسادكم عند معاينة الموت إزهاقاً لهم، وتغليظاً عليهم﴿ الْيَوْمَ﴾ اليوم لعله وقت الإماتة، وعن الباقر (ع) يوم القيامة﴿ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ العذاب الذي فيه إهانة وشدة، والقمي: العطش، وعن الباقر (ع): العطش يوم القيامة﴿ بِما﴾ كنتم﴿ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ في الدنيا من دعوى الشريك، والولد، وإدّعاء النبوة، والوحي، ونحوها﴿ وَكُنْتُمْ عَنْ آياتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ تأنفون من إتّباعها، ولا تؤمنون بها﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونا﴾ من كلام اللّه، أو الملائكة القابضين للأرواح يؤدونه عن اللّه﴿ فُرادى﴾ وحداناً لا مال لكم ولا ولد، ولا حشم ولا أو ثان، أو واحداً واحداً على حدة﴿ كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ على الهيئة التي ولدتم عليها، حفاة عراة غرلاً، لا ناصر لكم ولا معين، وعن الصادق (ع): تنوقوا في الأكفان فإنكم تبعثون بها، وعنه (ع) ـ وقد سئل ـ: الناس يحشرون عراة؟ قال: بلى يحشروا في أكفانهم قيل: إنى لهم بالأكفان وقد بليت؟ قال: إن الذي أحيى أبدانهم جدّد أكفانهم قيل: فمن مات بلا كفن؟ قال: يستر اللّه عورته بما شاء من عنده ﴿ وَتَرَكْتُمْ ما خَوَّلْناكُمْ﴾ في الدنيا، والتخويل: الإعطاء وأصله: تمليك الخول، كما أن التمويل: تمليك المال﴿ وَراءَ ظُهُورِكُمْ﴾ خلفها في الدنيا ولم تحملوا منه شيئاً ﴿ وما نَرى مَعَكُمْ شُفَعاءَكُمُ﴾ أصنامكم﴿ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ إِنَّهُمْ﴾ يشفعون لكم وإنهم﴿ فِيكُمْ﴾ في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم﴿ شُرَكاءُ﴾ للّه﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ بالرّفع على إنه ظرف استعمل اسمًا أي: تقطع وصلكم، وهومن الأضداد يرد للوصل والفراق، وبالنصب على إضمار الفاعل وعوده على الوصل لدلالة ما قبله عليه، أو على مصدر الفعل، أو على ما كنتم تزعمون على سبيل التنازع﴿ وَضَلَّ عَنْكُمْ﴾ ضاع وتلاشى﴿ ما كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ إنهم شفعاؤكم، أو ما تزعمون من عدم

البعث، والجزاء، وعن الصادق (ع) نزلت في معاوية وبني أميّة وشركائهم أئمتهم لقد تقطع بينكم يعني: المودّة.

[سورة الأنعام الآيات ٩٥ - ١٠١]

إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ

وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ (١٠٠) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١)

﴿ إن اللَّهَ فالِقُ الحَبِّ﴾ وهو ما لا نوى له كالبر والشعير ﴿ والنَّوى﴾ شاق الحبّة اليابسة الميتة بإخراج النبات فيها وشاق النواة اليابسة ومخرج النخل والشجر منها، أو المراد: خالقها ومنشئها، أو ما فيها من الشق المستوي وهومن عجيب قدرته ﴿ يُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ﴾ النبات الطري من الحب اليابس ﴿ ومُخرِجُ المَيِّتِ مِنَ الحَيِّ﴾ الحب اليابس من النبات الحي النامي، أو الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان أو المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ﴿ ذلِكُمُ﴾ أي: فاعل ذلك ﴿ اللَّهُ فَأنى تُؤْفَكُونَ﴾ تصرفون عنه ﴿ فالِقُ الإِصْباحِ﴾ من ظلمة الليل، أو خالق الصباح ﴿ وَجَعَلَ اللَّيلَ﴾ بألف وبدونها من باب عطف الفعل على الأسلم لأنّ (فالق) بمعنى: المضي ﴿ سَكَناً﴾ تسكن فيه الخلق، كما قال: لتسكنوا فيه ﴿ والشَّمْسَ والقَمَرَ حُسْباناً﴾ مفعولاً فعل دل عليه جاعل، لا منصوباً به لأنّه بمعنى: المضي، وعلى القراءة الأخرى ظاهر أي: جعلهما يجريان في أفلاكهما بحساب لا يتجأو زانه حتى ينتهيا إلى أقصى منازلهما، فتقطع الشمس البروج الإثنى عشر في ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وربع، والقمر في ثمانية وعشرين يوماً ﴿ ذلِكَ﴾ أي: خلق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ﴿ تَقْدِيرُ العَزِيزِ﴾ الذي عزّ سلطانه فلا يقدر شيء على الإمتناع منه ﴿ العَلِيمِ﴾ بمصالح عباده وتدبيرهم ﴿ وهُوالَّذِي جَعَلَ

لَكُمُ النُّجُومَ﴾ خلقها لنفعكم ﴿لِتَهْتَدُوا﴾ بها بضوئها وبمواضعها﴿فِي ظُلُماتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآياتِ﴾ بيّناها فصلاً فصلاً﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ مواضع الحجة ومواضع العبرة وخصّوا لأنّهم المنتفعون بذلك﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ﴾ أبدعكم ﴿ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ﴾ آدم (ع) ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ﴾ بكسر القاف أي: قارّ وبفتحها اسم مفعول خبره محذوف أي: منكم مستقر في الأرحام﴿ ومُسْتَوْدَعٌ﴾ في الأصلاب، ومستقر في الرحم إلى أن يولد، ومستودع في القبر إلى أن يبعث، وعن الباقر (ع) قال لأبي بصير في الآية: ما يقول أهل بلدك؟ قال يقولون: مستقر في الرحم ومستودع في الصلب فقال: كذبوا، المستقر من استقر الإيمان في قلبه فلا ينزع منه أبداً، والمستودع الذي يستودع الإيمان زماناً ثم يسلبه، وقدكان الزبير منهم، وروي المستقر الثابت والمستودع المعار، وعن الكاظم (ع): ما كان من الإيمان المستقر فمستقر إلى يوم القيامة وأبداً، وما كان مستودعاً سلبه الله قبل الممات﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الآياتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ قيل: إنما أتى في النجوم بـ(يعلمون) لأنّ أمرها ظاهر وهنا يتفقهون لأنّ إنشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة دقيق غامض يحتاج إلى دقة نظر﴿ وهُوالَّذِي أنزل مِنَ السَّماءِ﴾ من السحاب، وكل ما علا فهوسماء﴿ ماءً فَأَخْرَجْنا﴾ على تلوين الخطاب﴿ بِهِ﴾ بالماء المنزل من السماء ﴿ نَباتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ما ينبت به كل شيء وينمو عليه من غذاء الطير والأنعام والوحش وأرزاق بني آدم، أو المراد: نبت كل شيء من أصناف النبات والمراد إظهار القدرة في إنبات الأنواع المختلفة بماء واحد كما قال: (يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل)[1]﴿ فَأَخْرَجْنا مِنْهُ﴾ من الماءأو النبات

(١) سورة الرعد الآية ٤

﴿ خَضِراً﴾ زرعاً رطباً أخضر وهو ساق السنبلة﴿ نُخْرِجُ مِنْهُ﴾ من الخضر﴿ حَبًّا مُتَرَاكِباً﴾ ركب بعضه بعضاً هو السنبلة﴿ ومِنَ النَّخْلِ﴾ وأخرجنا من النخل نخلاً﴿ مِنْ طَلْعِها قِنْوانٌ﴾ أعذاق رطب جمع (قنو) كـ(صنوان وصنو)﴿ دانِيَةٌ﴾ قريبة من المتناول، أو من الأرض لكثرة ثمرها أو ثقل حملها، أو قريب بعضها من بعض واكتفى بذكر القريبة عن البعيدة لدلالتها عليها ولزيادة المنفعة فيها كما قال: (سرابيل تقيكم الحر) أي: والبرد، وخص الطلع لما فيه من المنافع التي ليست في غيره من أكمام الثمار ﴿ وجَنَّاتٍ ﴾ بالنصب عطف على (خضر) أو نبات كل شيء، وبالرفع وهي قراءة علي (ع) على الابتداء أي: ولكم جنات وبساتين﴿ مِنْ أَعْنابٍ والزَّيْتُونَ والرُّمَّان مُشْتَبِهاً﴾ حال من الرمان، أو من الجمع﴿ وغَيْرَ مُتَشابِهٍ﴾ في الهيئة والمقدار واللون والطعم وبعضها غير متشابه﴿ انظُرُوا إلى ثَمَرِهِ﴾ بفتحتين جمع ثمرة كـ(بقر وبقرة) أو بضمتين جمع ثمار كـ(كتب وكتاب)﴿ إِذا أَثْمَرَ ويَنْعِهِ ﴾أي: أنظروا إلى زوج الثمار نظر إعتبار من إبتداء خروجه إلى أنتهاء نضجه إذا بلغ وأدرك كيف يتبدل عليه الأحوال في الطعم واللون والرائحة والصغر والكبر﴿إن فِي ذلِكُمْ لآياتٍ﴾ على وجود الصانع القدير العليم الحكيم﴿ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصوا بالذكر لأنهم المنتفعون ﴿ وجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ الْجِنَّ﴾ مفعول أول، أو بدل، أو بيان من (شركاء) والمراد بهم الملائكة كما قال تعالى: (وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً)[1] أو الجن فإن قريشاً كانوا يقولون: إن الله قد صاهر الجن، فحدثت الملائكة، أو الشياطين فإنهم أطاعوهم كما يطاع الله، أو عبدوا الأوثان بتسويلهم، أو قالوا: إن الله خالق الخير

---

(١) سورة الصافات الآية ١٥٨.

وإبليس خالق الشر﴿ وخَلَقَهُمْ﴾ حال بتقدير (قد) أي: وقد علموا ان اللّه خلقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق، أو خلق الجن فكيف يكون المخلوق شريك الخالق؟ ﴿ وخَرَقُوا لَهُ﴾ بالتشديد والتخفيف أي: اختلقوا للّه﴿ بَنِينَ وبَنات﴾ فقال المشركون: الملائكة بنات اللّه واليهود عزيز بن اللّه، والنصارى: المسيح بن اللّه﴿ بغَيْرِ عِلْمٍ﴾ وحجّة بل جهلاً بعظمته تعالى﴿ سبحانه﴾ نصب على المصدر أي: أنزّهه تنزيهاً له عما يقولون﴿ وتَعالى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ من أن له شريكاً، أو ولداً ﴿ بَدِيعُ السَّماواتِ والأَرْضِ﴾ أي: هو مبدعهما ومنشؤهما بعلمه إبتداءً لا من شيء، ولا على مثال سبق ـ كما عن الباقر (ع) ـ ﴿ أنى﴾ من أين يكون وكيف﴿ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ ولَمْ تَكُنْ لَهُ صاحِبَةٌ﴾ وإنّما يكون الولد منها﴿ وخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ منها من الأجسام، والأعراض والصاحبة والولد من خلقه، فكيف يكون للخالق صاحبة وولد من المخلوق؟﴿ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فلا حاجة له إليهما، ولم يقل: به، لتطرق التخصيص للأول.

[سورةالأنعام الآيات ١٠٢ -١١٠]

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿١٠٤﴾

وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾

﴿ ذلِكُمُ ﴾ الذي خلق هذه الأشياء ودبّر التدابير هو﴿ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ خالقكم ومدبركم ﴿لا إِلهَ إلاّ هُوخالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ صفة لـ(ربكم) أو خبر محذوف، وعن الرضا (ع): أفعال العباد مخلوقة خلق تقدير لاخلق تكوين والله خالق كل شيء ولا نقول بالجبر والتفويض، فاعبدوه فإنه المستحق للعبادة﴿ وهُوعَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ حفيظ على خلقه فهو وكيل عليهم، ولا يقال: وكيل لهم، أو رقيب على

أعمالهم ليجازيهم بها﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ وهُوَيُدْرِكُ الأَبْصارَ﴾ أي: ذووالأبصار، يرى ولا يُرى، وعن الصادق (ع): يعني إحاطة الوهم، وعن الباقر (ع): أوهام القلوب أدقّ من أبصار العيون أنت قد تدرك بوهمك السند والهند والبلدان التي لم تدخلها ولم تدركها ببصرك، وأو هام القلوب لا تدركه فكيف أبصار العيون ﴿ وهُوَاللَّطِيفُ﴾ بعباده لشيوع انعامه، أو في تدبيره، وحذف للعلم به﴿ الْخَبِيرُ﴾ الذي لا يغرب عنه شيء﴿ قَدْ جاءَكُمْ بَصائِرُ﴾ دلالات﴿ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ تبصرون بها الهدى من الضلالة، وتميزون بها الحق من الباطل، وصفت بالمجيء تفخيماً لشأنها كما يقال: أقبل السّعد، وانصرف المرض، والبصيرة للقلب كالبصيرة للبدن سميت بها الدلالة لأنّها تجلى لها الحق ويبصرها﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ تبين هذه بأن نظر فيها حتى أو جبت له العلم﴿ فَلِنَفْسِهِ﴾ يضرّ، ونفعه يعود عليه﴿ ومَنْ عَمِيَ﴾ ولم ينظر فيها وصدف عنها﴿ فَعَلَيْها﴾ فعلى نفسه وباله، وسمي العلم (إبصاراً) والجهل (عمى) توسعاً وفيه دلالة على أن الإنسان مختار غير مجبور﴿ وما أنا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ برقيب على أعمالكم وإنما الرقيب هو الله﴿ وَكَذلِكَ﴾ صفة مصدر محذوف أي: تصريفاً مثل ذلك التصريف للآيات﴿ نُصَرِّفُ الآياتِ﴾ والتصريف: إجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة لتجتمع فيه وجوه الفائدة من التصرف وهونقل الشيء من حال إلى حال﴿ ولِيَقُولُوا﴾ عطف على محذوف أي: ليجحدوا وليقولوا ﴿ دَرَسْتَ﴾ بألف أي: دارست أهل الكتاب وذاكرتهم كما قال تعالى حكاية: (وأعانه عليه قوم آخرون)[1] و(درست) بغير ألف وسكون السين أي: تعلمته منهم، وإضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بذلك، و(اللام) للعاقبة أي: لم نصرّف الآيات ليقولوا:

---

(١) سورة الفرقان الآية ٤.

دارست ودرست ولكن كان عاقبتهم ذلك، ودرست بفتح السين: من الدروس أي: كراهية أن يقولوا قدمت هذه الآيات وطال العهد بها وانمحى أثرها كقولهم: أساطير الأولين، القمي: كأنت قريش تقول لرسول الله (ص): ن الذي تخبرنا به من الأخبار تتعلمه من علماء اليهود ودرسه﴿ ولِنُبَيِّنَهُ﴾ لنبيّن الذي دلّت هذه الآيات عليه﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ويعقلون ما نورده عليهم، وخصّهم لأنّهم المنتفعون به دون غيرهم﴿ اتَّبِعْ ما أو حِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ﴾ حال من (ربك) وإعادة لأنّ المراد (دعهم)[1] إلى انه لا إله الا هو، أو ما يوحى إليك إنه لا إله الا هو﴿ وأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ اهجرهم ولا تلاطفهم، ومن قال: المراد الإعراض عن دعائهم إلى الله كأنت الآية عنده منسوخة بآية القتال﴿ ولَوشاءَ اللَّهُ﴾ أن يتركوا الشرك قهراً ﴿ ما أَشْرَكُوا﴾ إلا أنه لا يضطرهم لمنافاته التكليف، وعنهم (ع): لوشاء الله أن يجعلهم كلهم مؤمنين معصومين حتى كان لا يعصيه أحد لما كان يحتاج إلى جنّة وإلى نار، ولكنه أمرهم ونهاهم وامتحنهم وأعطاهم ماله عليهم به الحجّة من الآلة والاستطاعة ليستحقّوا الثواب والعقاب﴿ وما جَعَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾ على أعمالهم رقيباً﴿ وما أنت عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ يقوم بأمورهم وإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب، وجمع بينهما لأنّ الحافظ للشيء: هو الذي يصونه عمّا يضره والوكيل عليه: هو الذي يجلب الخير اليه﴿ وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ لا تذكروا ما يدعونه﴿ إلها مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ بما فيه من القبائح﴿ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً﴾ مصدر في موضع الحال أي: ظلماً ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ على جهالة به تعالى ولا يقدرون على عقوبتهم ولم يؤذن لكم في

---

(١) الظاهر ان الصحيح: إدعهم.

القتال، وعن الصادق (ع) كان المؤمنون يسبّون ما يعبد المشركون من دون الله، فكان المشركون يسبّون ما يعبد المؤمنون، فنهى اللّه المؤمنين عن سب آلهتهم لكيلا يسب الكفّار إله المؤمنين، فيكون المؤمنون قد أشركوا باللّه من حيث لا يعلمون، وعنه (ع) إنه سئل عن الآية فقال: رأيت أحداً يسب اللّه؟ فقيل: وكيف؟ قال: من سب ولّي اللّه فقد سب اللّه﴿كَذلِكَ﴾ أي: كما زينّا لكم أعمالكم﴿ زَيَّنّا لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ قبلكم﴿ عَمَلَهُمْ﴾ من حسن الدعاء إلى اللّه وترك السب للأصنام، أو زيّنا عملهم بذكر ثوابه كما قال (وحبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان)[1] أي: حبب الإيمان بذكر ثوابه وكرّه الكفر بذكر عقابه﴿ ثُمَّ إلى ربِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بماكانوا يَعْمَلُونَ﴾ من خير وشر، القمي: يعني بالمحاسبة والمجازاة﴿ وأَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهْدَ إيمانِهِمْ﴾ مصدر في موضع الحال أي: حلفوا به مجدّين مجتهدين، والجهد ـ بالفتح ـ المشقّة، و ـ بالضم ـ الطاقة، وقيل: بالفتح المبالغة أي: بالغوا في اليمين واجتهدوا فيه، القمي: يعني قريشاً﴿ لَئِنْ جاءَتْهُمْ آيةٌ﴾ ممّا سألوه﴿ لَيُؤْمِنُنَّ بِها قُلْ إنمَا الآياتُ عِنْدَ اللّهِ﴾ هوالقادر عليها يظهر منها ما يشاء على مقتضى حكمته﴿ وما يُشْعِرُكُمْ﴾ أيها المؤمنون، وفاعل (يشعر) ضمير يعود على (ما) الإستفهامية، أي: وما يدريكم إيمانهم إذا جاءت الآية ﴿ إنها إِذا جاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ بكسر الهمزة على إستئناف القطع بأنهم لا يؤمنون وبفتحها على أنها بمعنى (لعل) أو (لا) زائدة﴿ ونُقَلِّبُ﴾ عطف على (لا يؤمنون) أي: وما يشعركم انها إذا جاءت نقلب﴿ أَفْئِدَتَهُمْ وأَبْصارَهُمْ﴾ بالحيرة التي تغم وتزعج النفس، فلا يفقهون الحق ولا يبصرونه،

---

(١) سورة الحجرات الآية ٧.

أو نقلبها في النار عقوبة﴿كَما لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ﴾ بما أنزل من الآيات ﴿ أَولَ مَرَّةٍ﴾ في الدنيا، والقمي: يعني في الذر والميثاق﴿ ونَذَرُهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ندعهم يترددون في الحيرة وعن الباقر(ع): ونقلب أفئدتهم فيكون أسفل قلوبهم أعلاها ونعمي أبصارهم فلا يبصرون الهدى.

[سورة الأنعام الآيات ١١١ - ١١٨]

وَلَو أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن

﴿ شَياطِينَ الأَنسِ والْجِنّ﴾ مردة كفارهما﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ﴾ وعن الباقر (ع): إن الشياطين يلقى بعضهم بعضاً فيلقي اليه ما يغوي به الخلق حتى يعلم بعضهم بعضاً﴿ زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾ هوالمموه الذي يستحسن ظاهره ولا حقيقة له من (زَخرَفَه) إذا زيّنه﴿غُرُوراً﴾ مفعول له، أو مصدر في موضع الحال أي: يغرونهم بذلك غروراً ﴿ ولَوشاءَ رَبُّكَ﴾ إن يمنعهم من ذلك جبراً﴿ ما فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وما يَفْتَرُونَ﴾ فدعهم وافتراءهم الكذب، وفيه تهديد ووعيد﴿ ولِتَصْغى إِلَيْهِ﴾ متعلق بـ(يوحى) أي: ولتميل إلى هذا الوحي بزخرف القول، أو إلى هذا القول المزخرف ﴿ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ ولِيَرْضَوْهُ﴾ لأنفسهم﴿ ولِيَقْتَرِفُوا﴾ وليكتسبوا ﴿ ما هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ في عدوة النبي (ص) والأئمة (ع)﴿ أَ فَغَيْرَ اللَّهِ ﴾ أي: قل لهم أ فغير اللّه﴿ أَبْتَغِي حَكَماً ﴾ يحكم بيني وبينكم﴿ وَ﴾ الحال إنه﴿ هُوالَّذِي أَنزل إِلَيْكُمُ الْكِتابَ﴾ القرآن﴿ مُفَصَّلاً﴾ مبيناً فيه الحق والباطل بغير تخليط ولا إلتباس ﴿ والَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ﴾ التوراة والإنجيل ﴿ يَعْلَمُونَ إنهُ مُنَزَّلٌ﴾ بالتشديد من (نزّل) والتخفيف من (أنزل)﴿ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ ببيان الحق﴿ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكين في أنهم يعلمون ذلك، أو في أنه منزل بجحود أكثرهم، والخطاب من باب إياك أعني﴿وتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ بالإفراد والجمع أي: بلغت الغاية على وجه لا يمكن لأحد الزيادة فيه والنقصان، وهي دين اللّه كما قال: وكلمة اللّه هي العليا وحجته التي كلّم بها، أو القرآن﴿ صِدْقاً ﴾ لا كذب فيه ﴿ وعَدلاً﴾ لا جور في أحكامه، ونصبهما على التمييز، أو الحال من (كلمة ربك) أي: صادقة وعادلة﴿ لا مُبَدِّلَ لِكَلماته﴾ بما هو أصدق وأعدل﴿ وهُو السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم﴿ لْعَلِيمُ﴾ بنياتهم﴿ وإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرضِ﴾ من الكفّار وأهل

الضلالة﴿ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ عن دينه ويدل على أن الأكثرية لا عبرة بها غالباً لإتباعهم الأهواء، والمدار على الحجة﴿ إن يَتَّبِعُونَ إلاَّ الظَّنَّ﴾ الذي لا يغني من الحق شيئاً ﴿ وإن هُمْ إلاَّ يَخْرُصُونَ ﴾ يقولون عن تخمين لا عن يقين﴿ إن ربَّكَ هُوَأعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ ﴾ بمن يضل﴿ عَنْ سَبِيلِهِ وهُوَ أعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ أي: هواعلم بالفريقين، وفيه دلالة على أن الضلال والإضلال من فعل العبد﴿ فَكُلُوا﴾ أمر إباحة ﴿ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ عند ذبحه ودعوا الميتة وما ذكر عليه إسم الأصنام ﴿ إن كُنْتُمْ بآياتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ فإن التصديق به يوجب إتباع أوامره واجتناب نواهيه.

[سورة الأنعام الآيات ١١٩ - ١٢٤]

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ

زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

﴿ وما لَكُمْ﴾ أي: شيء وسبب عرض لكم﴿ ألاَّ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي: ما الذي يمنعكم أن تأكلوا منه، فـ(ما) استفهامية، أو لا سبب لكم في ترك أكله، فـ(ما) نافيه﴿ وقَدْ فَصَّلَ﴾ بالبناء للمعلوم والمجهول أي: بيّن﴿ لَكُمْ ما حَرَّمَ ﴾ كذلك ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ بقوله: (حرمت عليكم الميتة والدم...) إلخ وليس هذا منه﴿ إلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ من الحرام فإنه حلال في الضرورة﴿ وإن كَثِيراً لَيَضِلُّونَ﴾ بفتح الياء وبضمها من (ضلّ) و(أضلّ) والمفعول على الأخير محذوف أي: يضلون أشياعهم فيحرمون الحلال وبالعكس﴿ بِأَهْوائِهِمْ ﴾ بمجرد اتباعها ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ إن رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ المتجاوزون الحق إلى الباطل والحلال إلى الحرام﴿ وذَرُوا﴾ امرٌ لا ماضي له، ولا إسم فاعل، فلا يقال: وذر، ولا (واذر) كراهة الإبتداء بواو ، واستغنوا عنها بـ(ترك) وتارك﴿ ظاهِرَ الإِثْمِ وباطِنَهُ﴾ ما يعلن به ويسّر، والقمي: الظاهر من الإثم المعاصي والباطن الشرك والشك في القلب ﴿ إن الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِما كانوا يَقْتَرِفُونَ﴾ يعملون﴿ ولا تَأْكُلُوا مِمَّا

لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾يدل على وجوب التسمية على الذبيحة﴿ وإنهُ لَفسْقٌ﴾ لقوله أو فسقاً أهل لغير الله به﴿ وإن الشَّياطِينَ﴾ هم علماء الكفّار﴿ لَيوحُونَ﴾ بالإيماء والإشارة﴿ إلى أوليائهِمْ﴾ من الكفّار﴿ لِيُجادلُوكُمْ﴾ في استحلال الميتة بقولهم: تأكلون مما قتلتم أنتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله﴿ وَإن أطَعْتُمُوهُمْ﴾ أيها المؤمنون في استحلالها﴿ إنكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ لأنّ من استحل الميتة كافر إجماعاً، وحذفت الفاء لأنّ الشرط بلفظ المضي والأولى إنه جواب لقسم حذفت اللام الموطئة، والأصل: لئن أطعتموهم إنكم لمشركون﴿ أ ومَنْ كان﴾ إستفهام تقريري﴿ مَيْتاً﴾ بالتشديد والتخفيف، بحذف التاء الثانية المنقلبة عن واو أي: كافراً﴿ فَأَحْيَيْناهُ﴾ فهديناه إلى الإيمان ﴿ وجَعَلْنا لَهُ نُوراً﴾ وهو العلم والحكمة، أو الإيمان، أو القرآن﴿ يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ﴾ مبتدأ خبره:﴿ فِي الظُّلُماتِ﴾ والمراد به: الكافر الذي في ظلمة الكفر ﴿ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها﴾ حال من المستكن في الظرف أي: مثل من هداه وإنقذه من الضلال، وجعل له حجة يهتدى بنورها كمن صفته البقاء في الضلالة لا يفارقها بحال، سمي الكافر (ميتاً) لعدم أنتفاعه بحياته، والمؤمن (حياً) للعكس، والعلم والإيمان والقرآن (نوراً) لأنّ بذلك يهتدي من ظلمات الكفر وحيرة الضلالة كما يتهدى بسائر الأنوار، والكفر (ظلمة) لأنّ الكافر لا يهتدي بهداه، وعن الباقر (ع): ميتاً لا يعرف شيئاً ونوراً يمشي به في الناس إماماً يؤتم به كمن مثله في الظلمات الذي لا يعرف الإمام وعن الصادق (ع): كان ميتاً عنّا فأحييناه بنا والقمي: قال جاهلاً عن الحق والولاية فهديناه إلينا قال النور الولاية في الظلمات يعني ولاية غير الائمة (ع) ﴿ كَذلِكَ زُيِّنَ لِلْكافِرِينَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ كما زين لأولئك الأعيان فعملوه﴿ وَكَذلِكَ ﴾ مثل الذي قصصنا من زينة

العمل﴿ جَعَلْنا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكابِرَ مُجْرِمِيها﴾ مفعول أول و(جعل) بمعنى صيّر، أو بدل من (أكابر) والظرف مفعول ثان، أو منصوب بإضافة (أكابر) اليه إن فسر جعل أي: خليناهم وشأنهم﴿ لِيَمْكُرُوا﴾ (اللام) للعاقبة وخص الأكابر لأنّهم أقوى على استتباع الناس والمكر بهم﴿ فِيها وَما يَمْكُرُونَ إلاّ بأنفسهِمْ﴾ لرجوع وباله عليهم﴿ وما يَشْعُرُونَ﴾ ذلك ﴿ وإِذا جاءَتْهُمْ﴾ أي: الأكابر﴿ آيةٌ﴾ دالة على صدق النبي (ص) قالُوا أي: الأكابر﴿ لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتى﴾ معجزة﴿ مِثْلَ ما أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ حداً للنبي(ص) روي: إن أبا جهل قال: زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان قالوا منّا نبي يوحى إليه والله لا نرضى به ولا نتبعه أبداً إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه، فنزلت، ونحوه قوله تعالى: (يريد كل امرئ منهم ،ن يؤتى صحفاً منشّرة)[1] ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ﴾ من الخلق ﴿ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ﴾ وقرئ بالجمع مفعول به على الإتساع أي: اعلم بالمكان الذي يضع فيه رسالته لا ظرف لـ(أعلم) إذ لا يوصف تعالى بكونه أعلم في هذا الموضع﴿ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ إنقطعوا إلى الكفر﴿ صَغارٌ﴾ ذل ثابت لهم ﴿ عِنْدَ اللَّهِ﴾ يوم القيامة ـ وإن كانوا أكابر في الدنيا ـ وقيل: المعنى من عند الله﴿ وعَذابٌ شَدِيدٌ بِما كانوا يَمْكُرُونَ﴾ جزاء على مكرهم، القمي: أي: يعصون الله في السر.

---

(١) سورة المدثر الآية ٥٢

[سورة الأنعام الآيات ١٢٥ -١٣١]

فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ

أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾

﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أن يَهْدِيَهُ﴾ إلى الثواب وطريق الجنة﴿ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾ في الدنيا بأن يثبت عزمه لطفاً به، وسئل النبي (ص) عن شرح الصدر؟ فقال: نور يقذفه الله تعالى في قلب المؤمن فينشرح صدره وينفسح، قيل: فهل لذلك أمارة يعرف بها؟ فقال: نعم: الأنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والإستعداد للموت قبل نزول الموت﴿ ومَنْ يُرِدْ أن يُضِلَّهُ﴾ عن ثوابه أي: يخذله ويخلّي بينه وبين ما يريد من الكفر﴿ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً﴾ بسكون الياء وبتشديدها هنا وفي الفرقان﴿ حَرَجاً﴾ بكسر الراء أي: شديد الضيق وبفتحها على الوصف بالمصدر عقوبة له على ترك الإيمان أي: يمنعه الألطاف التي ينشرح لها صدره لخروجه عن قبولها بإقامته على كفره، وعن الصادق (ع) في الآية: قال: يكون ضيقاً وله منفذ يسمع منه ويبصر والحرج: هوالملتئم الذي لا منفذ له يسمع به ولا يبصر منه وفي آخر كالشيء المصمت الذي لا يدخل فيه شيء ولا يخرج منه شيء ﴿ كانما يَصَّعَّدُ﴾ بسكون الصاد من غير ألف من الصعود﴿ فِي السَّماءِ﴾ وبتشديدها وألف بعدها وبتشديدها وتشديد العين بغير ألف، والأصل يتصعد، وأدغم وفيه مبالغة في ضيق صدره عن قبول الإسلام﴿ كَذلكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ﴾ عن الصادق (ع): هو الشك﴿ عَلَى الَّذينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: عليهم وضع الظاهر موضعه للتعليل، عن الصادق (ع): إن القلب ليتلجلج به طلب الحق فإذا أصابه اطمأن وقرّ، ثم تلا الآية ﴿ وَهذا صِراطُ رَبِّكَ﴾ طريقه وهو القرآن، أو الإسلام، وأضافه إلى نفسه لأنّه الذي

دلّ عليه وهدى إليه﴿ مُسْتَقِيماً﴾ حال أي: لا إعوجاج فيه والقمي: يعني الطريق الواضح﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الآيات﴾ بيّناها﴿ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ أصله: يتذكرون أي: يعلمون بالآيات أن القادر هو اللّه وإن ما يحدث بقضائه وقدره واللّه عليم بأحوال عباده حكيم عدل في أفعاله بهم وخصهم بالذكر لأنّهم المنتفعون بالحجج دون غيرهم ﴿ لَهُمْ﴾ للذين تذكروا ﴿ دارُ السَّلامِ﴾ وهي الجنة، والسّلام من أسمائه أضيفت إليه تعظيماً، أو دار السّلامة من الآفات والبليات، والقمي: يعنى: الجنة والسلام الأمان والعافيه والسرور﴿ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ذخيرة لهم لا يعلم كنهها غيره، أو في ضمانه يوصلهم إليها لا محاله﴿ هُوَولِيُّهُمْ﴾ يتولى إيصال المنافع لهم ودفع المضار عنهم، أو يتولاهم في الدنيا بالتوفيق وفي الآخره بالخير، أو ناصرهم ومحبهم، والقمي: أي: أولى بهم﴿ بِما كانوا يَعْمَلُونَ ﴾ من الطاعات جزاء عليها﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً﴾ بالياء والنون أي: يوم نحشرجميع الخلائق نقول:﴿ يا مَعْشَرَ الْجِنِّ﴾ يعنى: الشياطين﴿ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإنسِ﴾ ممن أضللتموه منهم، والقمي: قال: من وإلى قوماً فهو منهم وإن لم يكن من جنسهم﴿ وقالَ أولِياؤُهُمْ﴾ الذين اتبعوهم﴿ مِنَ الإنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنا بِبَعْضٍ﴾ أي: أنتفع الإنس بالشياطين حيث زيّنوا لهم اللذات ونبهوهم على الشهوات واستعاذوا بهم في المهامه[1] فإن الرجل ينتفع إذا قال: أعوذ بسيد هذا الوادي وأنتفع الشياطين بالإنس حيث اتخذهم الإنس قاده اتبعوهم، وأطاعوا أمرهم، فسرّوا بذلك﴿ وَبَلَغْنا أَجَلَنَا الَّذي أَجَّلْتَ لَنا ﴾ هو الموت والبعث لأنّه أجل الجزاء كما إن الموت أجل استدراك ما مضى، القمي: يعنى

---

(١) جمع (مَهْمة)وهي: المفازة البعيدة والبلد المقفر.

القيامة﴿ قال﴾ الله تعالى﴿ النَّارُ مَثْواكُمْ﴾ منزلكم، أو ذات مثواكم، والثواء: الإقامة ﴿ خالِدينَ﴾ مؤبدين﴿ فيها﴾ حال من (مثواكم) على الثاني، أو من معنى الإضافة على الأول لأنّ المصدر فيه معنى الفعل دون المكان ﴿ إلاّ ما شاءَ اللّهُ﴾ من آمن منهم، أو من عصاة المسلمين، أو إلاّ ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومدّة محاسبتهم﴿ إن ربَّكَ حَكيمٌ﴾ في أفعاله﴿ عَليمٌ﴾ بأعمال عباده﴿ وكَذلكَ نُوَلّي بَعْضَ الظّالِمينَ بَعْضاً﴾ بأن نجعل بعضهم يتولى أمر بعض للعفا أو نكل الإتباع إلى المتبوعين ونقول للإتباع: تولوا المتبوعين حتى بخلصوكم من العذاب ﴿ بِما كانوا يَكْسِبُونَ﴾ من المعاصي، القمي: نولي كل من تولى أولياؤهم فيكونون معهم وعن الباقر(ع) ما أنتصر الله من ظالم إلا بظالم وذلك قوله عزّ وجلّ: (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً)﴿ مَعْشَرَ الْجِنِّ والإِنْسِ﴾ المعشر: الجماعة التامة من القوم المشتملة على أصناف الطوائف﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ إن كان الخطاب للجميع والرسل من الإنس خاصّة كان فيه تغليب، والمراد برسل الجن: رسل الرسل إليهم كما قال تعالى: (ولوا إلى قومهم منذرين) أو إنه أرسل إلى الجن أيضاً، سئل أمير المؤمنين (ع): هل بعث الله نبيّاً إلى الجن؟ فقال: نعم بعث إليهم نبيّاً يقال له يوسف، فدعاهم إلى الله فقتلوه، وفي رواية: إن الله أرسل محمداً إلى الإنس والجن﴿ يَقصُّونَ﴾ يتلون﴿ عَلَيْكُمْ آياتِي ويُنْذِرُونَكُمْ﴾ ويخوّفونكم ﴿ لقاءَ يَوْمِكُمْ﴾ لقاء العذاب في يومكم ﴿ هذا﴾ أي: يوم القيامة، وفيه إحتجاج عليهم بأن بعث إليهم الرسل إعذاراً وإنذاراً﴿ قالوا شَهِدْنا عَلى أنفسنا﴾ بالكفر والعصيان﴿ وغَرَّتْهُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا﴾ بزينة ظاهرها﴿ وَشَهِدُوا عَلى أنفسِهِمْ﴾ في الآخرة﴿ أنهُمْ كانوا كافِرِينَ﴾ في الدنيا﴿ ذلِكَ﴾ خبر محذوف، أو مفعول محذوف

والإشارة إلى إرسال الرسل ﴿أن لَمْ يَكُنْ ربُّكَ﴾ و(ان) مخففة، أو مصدرية ﴿مُهْلِكَ القُرى بِظُلْمٍ﴾ ظالماً لهم، أو بسبب ظلمهم ﴿وأهلها غافِلُونَ﴾ لم يُنبهوا برسول، والمعنى: الأمر ذلك، أو فعلنا ذلك لإنتفاء كون ربك، أو لأنّ الشأن لم يكن ربك يهلك أهل القرى حتى يبعث إليهم رسلاً.

[سورة الأنعام الآيات ١٣٢ - ١٣٧]

وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأَٰتٍۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ

ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

﴿ وَلِكُلٍّ﴾ عامل من المكلفين به طاعة، أو معصية﴿ دَرَجاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾ مراتب في عمله على حسب ما يستحقه، فيجازي عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر ﴿ وما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء لا يشذ من ذلك شيء من علمه فيجازيهم على حسب ما يستحقونه﴿ ورَبُّكَ الْغَنِيُّ﴾ عن عباده وعن عبادتهم، لا تنفعه طاعتهم ولا تضره معصيتهم﴿ ذُوالرَّحْمَةِ﴾ صاحب النعمة عليهم، ومنها التكليف لمصالحهم العامة والخاصة﴿ إن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أيها العصاة بالإهلاك ﴿ ويَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ﴾ و(من) للبدل﴿ ما يَشاءُ ﴾ وينشئ من بعد إهلاككم خلقاً غيركم يطيعونه يكونوا خلفاً لكم وبدلاً عنكم﴿كَما﴾ مثل ما ﴿ إنشأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ يقدمونكم لكنّه أبقاكم ترحماً عليكم و(من) لإبتداء الغاية ﴿ إن ما﴾ إن الذي﴿ تُوعَدُونَ﴾ من الحشر والثواب والعقاب وتفاوت الدرجات والدّركات لكائن لا محالة﴿ لآتٍ وما أنتم بِمُعْجِزِينَ﴾ بفائتين وسابقين، يقال: أعجزني كذا أي: فاتني وسبقني﴿ قُلْ يا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ﴾ وقرأ (مكاناتكم) أي: على قدر منزلتكم، وتمكنكم في الدنيا، أو على طريقتكم وحالتكم التي أنتم عليها﴿ إني عامِلٌ﴾ على مكانتي التي أنا عليها والأمر للتهديد والوعيد ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ﴾ مبتدأ خبره ﴿ تَكُونُ﴾ بالياء والتاء لأنّ المسند إليه مؤنث غير حقيقي أي: أيّنا يكون له ﴿ لَهُ عاقِبَةُ الدّارِ﴾ أي: العاقبة المحمودة في دار السلام، أو دار الدنيا بالنصر والظفر﴿ إنهُ لا يُفْلِحُ الظّالِمُونَ﴾ لا يظفرون بمطلوبهم

وضع الظالمون موضع الكافرين لأنّه أعم وأكثر فائدة على أنه تعالى قال في موضع آخر: (والكافرون هم الظالمون) وقال(إن الشرك لظلم عظيم) ﴿ وجَعَلُوا﴾ يعني: مشركي العرب، والجعل بمعنى الوصف والحكم﴿ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾ مما خلق ﴿ مِنَ الْحَرْثِ والأنعام﴾ من الزرع والمواشي من الإبل والبقر والغنم، ولا يقال لذوات الحافر: أنعام ﴿نَصِيباً﴾ حظاً أي: جعلوا لأوثانهم من ذلك نصيباً﴿ فَقالُوا هذا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ - بضم الزاي وبفتحها - لغتان أي: من غير أن يؤمروا به﴿ وهذا لِشُرَكائنا﴾ أي: أو ثانهم التي أشركوها في أموالهم﴿ فَما كانَ لِشُرَكائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وما كان لِلَّهِ فَهُوَيَصِلُ إِلى شُرَكائِهِمْ ساءَ ما يَحْكُمُونَ﴾ روي: أنهم كانوا يعينون شيئاً من حرث ونتاج لله ويصرفونه إلى الضيفان[1] والمساكين، وشيئاً منها إلى آلهتهم وينفقونه على سدنتها[2] ويدعون عندها وثم إن رأو ا ما عيّنوا لله أزكى بدّلوه بما لآلهتهم وإن رأو ا ما لآلهتهم أزكى تركوه حيّاً لآلهتهم واعتلّوا لذلك بأن الله غني﴿ وَكَذلِكَ﴾ أي: مثل الذي يجوز في الحرث والأنعام﴿ زُيِّنَ﴾ بضم الزاي وكسر الياء﴿ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ﴾ برفع اللام على أنه نائب فاعل﴿ أولادِهِمْ﴾ مفعول المصدر﴿ شُرَكاؤُهُمْ﴾ من إضافة المصدر إلى فاعله والفصل بين المتضايفين بمعمول المضاف جائز على قلّة، وقرئ (زين) بالبناء للفاعل ونصب اللام على المفعولية، وخفض الدال على الإضافة و(شركاؤهم) فاعل(زين) مضاف إلى المفعول ﴿ لِيُرْدُوهُمْ﴾ ليهلكوهم بالإغواء﴿ ولِيَلْبِسُوا﴾ وليخلطوا﴿ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ بإدخال الشبهات﴿ ولَوشاءَ اللَّهُ﴾ أن يمنعهم من ذلك، أو يضطرهم إلى تركه ﴿ ما فَعَلُوهُ﴾

---

(١) جمع (ضيف) وهي تجمع على (ضيوف وضيفان وضياف).

(٢) القائمين بشؤنها.

ولكنه ينافي التكليف﴿ فَذَرْهُمْ وما يَفْتَرُونَ﴾ فدعهم وافتراءهم على الله فإنه يجازيهم وهذا تهديد وزجر، وفيه دلالة على أن القتل وتزيينه فعلهم وإنهم في اضافة ذلك إلى الله كاذبون.

[سورة الأنعام الآيات ١٣٨ - ١٤٢]

وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ

إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿١٤٢﴾

﴿ وقالُوا هذِهِ أنعامٌ وحَرْثٌ﴾ وهي التي جعلوها لآلهتهم﴿ حِجْرٌ﴾ فعل به معنى مفعول يستوي فيه المفرد وغيره والمذكر والمؤنث أي: حرام﴿ لا يَطْعَمُها﴾ لا يأكلها﴿ إلاّ مَنْ نَشاءُ﴾ ان نأذن له وكانوا لا يحلون ذلك الا لمن قام بخدمه أصنامهم من الرجال دون النساء﴿ بِزَعْمِهِمْ ﴾ بغير حجة، والقمي: كانوا يحرمونها على قوم﴿ وأنعامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُها﴾ قال: يعني: البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ﴿ وأنعامٌ لا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللّهِ عَلَيْهَا﴾ في الذبح والنحر وإنما يذكرون عليها أصنامهم، وقيل: لا يحجون عليها ولا يلبّون على ظهورها، والمعنى: انهم قسّموا أنعامهم إلى أجناس ثلاثة، ونسبوه إلى الله﴿ افْتِراءً عَلَيْه﴾ مفعول له، أو منصوب على المصدر لما في قالوا من معنى الإفتراء والتقول، والظرف متعلق به﴿ سَيَجْزِيهِمْ بِما كانوا يَفْتَرُونَ﴾ بدله، أو بسببه ﴿ وقالُوا ما فِي بُطُونِ هذِهِ الأنعام﴾ أي: البان البحائر والسيّب عن ابن عباس أو أجنّتها﴿ خالِصَةٌ لِذُكُورنا ومُحَرَّمٌ عَلى أزْواجِنا﴾ حلال للذكور خاصة دون الأناث إن ولد حيّاً﴿ وإن يَكُنْ﴾ بالياء والتاء﴿ مَيْتَةً﴾ بالرفع على ان (كان) تامة، وبالنصب خبر لها واسمها ضمير ما في الأرحام وهي الأجنّة﴿ فَهُمْ فِيهِ شُرَكاءُ﴾ سواء الذكر والأناث وتإنيث الخالصة لما في (ما) من معنى الأجنّة أو التاء فيه للمبالغة وهو مصدر كـ(العاقبة) وقع موقع الخالص، القمي:

كانوا يحرمون الجنين الذي يخرجونه من بطون الأرحام على النساء فإذا كان ميتاً يأكله الرجال والنساء﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ أي: العقاب بوصفهم الكذب على الله بالتحليل والتحريم كما قال: (وتصف ألسنتهم الكذب)[1] هذاحلال وهذا حرام حذف الجار وأنتصب المجرور أو المراد جزاء صفهم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه﴿ إنهُ حَكِيمٌ﴾ بما يفعله بهم من العقاب﴿ عَلِيمٌ ﴾ بما يفعلونه ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذينَ قَتَلُوا﴾ بالتخفيف والتشديد للتكثير﴿ أولادهُمْ﴾ قيل: كانت العرب تقتل بناتها خوفاً من الفقر وهرباً من العار﴿ سَفَهاً﴾ أي: سفهوا بما فعلوا سفهاً ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ تأكيد لجهلهم وذهابهن إلى غير الصواب فإن الله رازق أولادهم ونصبه على المصدر، أو الحال﴿ وحَرَّمُوا ما رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ من الحرث والأنعام التي زعموا أنها حجر﴿ افْتِراءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا﴾ عن طريق الحق بما فعلوه﴿ وما كانوا مُهْتَدِينَ﴾ إلى الدين﴿ وهُو الَّذي أنشَأَ﴾ خلق وابتدع لا على مثال﴿ جَنَّاتٍ ﴾ من الكروم﴿ مَعْرُوشاتٍ﴾ مرفوعات بالدعائم﴿ وغَيْرَ مَعْرُوشاتٍ﴾ ملقيات على وجه الأرض، أو قائمات على أصولها مستغنية عن التعريش من سائر الأشجار ﴿ والنَّخْلَ﴾ وأنشأ النخيل﴿ والزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ﴾ أي: مقدار اختلاف أكله، كما في قولك: مررت برجل معه صقر صائداً به غداً، أو أن معنى اكله ثمره الذي يصلح ان يؤكل منه لا ثمره الذي يؤكل بالفعل، واختلافه لوناً وطعماً ورائحة﴿ والزَّيْتُونَ والرُّمَّان مُتَشابِهاً﴾ فيما تقدم بعضه﴿ وغَيْرَ مُتَشابِهٍ ﴾ بعضه الآخر ﴿كُلُوا ﴾ والأمر للإباحة﴿ مِنْ ثَمَرِهِ﴾ من ثمر كل واحد من ذلك﴿ إذا أثْمَرَ﴾ وإن لم يدرك ولم ينع بعد، وقيل: فائدته رخصة المالك في الأكل منه قبل أداء حق الله ﴿ وآتوا حَقَّهُ

---

(١) سورة النحل الآية ٦٢.

يَوْمَ حَصادِهِ﴾ بكسر الحاء وبفتحها لغتان وعن الرضا (ع): الفتح، عن الباقر (ع): هذا من الصدقة تعطى المسكين القبضة بعد القبضة من الجذاذ[1] من الحفنة بعد الحفنة، وعن الصادق (ع) الضغث[2] من السنبل، والكف من التمر إذا أخرص ﴿ولا تُسْرِفُوا﴾ لا تجاوزوا الحد في التصدق به ﴿إنهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ولا يرتضي فعلهم، وعن الكاظم (ع): من الإسراف في الحصاد، والجذاذ أن يتصدق الرجل بكفيه جميعاً ﴿ومِنَ الأنعام﴾ وأنشأ منها ﴿حَمُولَةً﴾ ما يحمل عليها الأثقال، لا واحد لها من لفظها ﴿وفَرْشاً﴾ ما يتخذ من أصوافها وأوبارها وما يفرش ويبسط ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ ولا تحرّموا ما حرّمه أهل الجاهلية في الحرث والأنعام ﴿ولا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشيطانِ﴾ في التحريم من عند أنفسكم ﴿إنهُ لَكُمْ عَدُوٌ مُبِينٌ﴾ ظاهر العداوة .

[سورة الأنعام الآيات ١٤٣ - ١٤٦]

ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ

(١) المقطوع من أصله. يقال: جذّ النخل جذاً وجذاذاً أي: قطع ثمره وجناه.

(٢) كل ما جمع وقبض عليه بجمع الكف ونحوه.

أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾

﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ مفعول(كلوا) وما بينهما إعتراض أو بدل من (حمولة) و(فرشاً) أي: ان شاء ثمانية أفراد لأنّ كل واحد من ذلك يسمّى (زوجاً) الذكر زوج الأنثى والأنثى زوج الذكر، والمروي عن أئمتنا(ع): أن المراد المشاركة في الضغث ﴿ مِنَ الضَّأْنِ﴾ وهي ذوات الصوف من الغنم واحدها (ضائن) كـ(تاجر وتجر)﴿ اثْنَيْنِ﴾ بدل من ثمانية) وبيان أي: أهلي ووحشي ﴿ وَمِنَ الْمَعْزِ﴾ بفتح العين وبسكونها جمع (ماعز) كـ(خادم وخدم) و(صاحب وصحب) أي: أهلي ووحشي ﴿ قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء الذين يحرمون ما أحلّ الله﴿ آلذَّكَرَيْنِ﴾ بألف بين همزتي الإستفهام والوصل من الضأن والمعز﴿ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ﴾ منهما﴿ أَمِ﴾ حرّم ﴿ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ

الأنثَيَينِ﴾ من جنسهما ذكراً كان، أو أنثى﴿ نَبِّئُونِي﴾ خبّروني﴿ بِعِلْمٍ﴾ بأمر معلوم يدل على تحريم ما حرّمتموه﴿ إن كُنتُمْ صادِقينَ﴾ في ذلك﴿ ومنَ الإبِلِ اثْنَيْنِ﴾ العرابي والبخاتي﴿ ومنَ الْبقَرِ اثنَيْنِ﴾ الأهلي والوحشي﴿ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحامُ الأنثَيَيْنِ﴾ معناه كما مرّ، وإنما أجمل أولاً ثم فصّل ثانياً لأنّه أراد أن يقرر على كل شيء منه ليكون أشدّ في التوبيخ من أن يذكر دفعة واحدة﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَداء﴾ حضوراً ﴿ إِذْ وَصَّاكُمُ﴾ حين أمركم الله بهذا التحريم فان طريق العلم: إما السماع وأنتم لا تؤمنون بالرسل، أو المشاهدة التي يختص بها بعض دون بعض وإذا أنتفيا علم بطلأنّ مذهبكم﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ لنفسه﴿ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّه كَذِباً﴾ فأضاف إليه تحريم ما لم يحرمه من تبحير البحائر ونحوه ﴿ لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بغير قصد الإضلال﴿ إن اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالمينَ﴾ إلى ثوابه لاستحقاقهم عذابه الدائم بكفرهم واضلالهم، القمي: فهذه التي أحلّها الله في كتابه في قوله: (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية ازواج) ثم فسّرها في هذه الآية فقال: (من الضأن اثنين) عنى: الأهلي والجبلي (ومن المعز اثنين) عنى: الأهلي والوحشي (ومن البقر اثنين) عنى: الأهلي والوحشي الجبلي (ومن الإبل اثنين) عنى: البخاتي والعرابي فهذه التي أحلّها الله، وعن الصادق (ع): (إن الله أحلّ في الأضحية الضأن والمعز الأهلية وحرم أن يضحّى بالجبلية وأحلّ في الأضحية الإبل العراب وحرّم منها البخاتي وأحل البقر الأهلي أن يضحى بها وحرم الجبلية)﴿ قُلْ لا أَجِدُ فِي ما أو حِيَ إِلَيَّ﴾ في القرآن، أو مطلقاً ﴿ مُحَرَّماً عَلى طاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾ دل على أن التحريم لا بد فيه من الوحي﴿ إلاَّ أن يَكُونَ﴾ بالياء﴿ مَيْتَةً﴾ بالنصب وبالتاء ورفعها﴿ أو دَماً مَسْفُوحاً﴾ مصبوباً كالدم في العرق لا الكبد والطحال والمختلط

باللحم لا يمكن تخليصه منه﴿ أو لَحْمَ خِنزِيرٍ فإنه رِجْسٌ﴾ نجس قذر منفور عنه ﴿ أو فِسْقاً﴾ عطف على لحم خنزير﴿ أهل لِغَيْرِ اللَّه بهِ﴾ ذكر عليه إسم الأصنام، وهو صفة لـ(فسقاً) سمّاه به لخروجه عن أمر اللّه وتوغّله في الفسق﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ ﴾ إلى تناول شيء من ذلك﴿ غَيْرَ باغٍ ولا عادٍ﴾ تفسيرهما في البقرة﴿ فَإن ربَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ حكم بالرخصة كما حكم بالمغفرة والرحمة وخصّ هذه الأربعة بالتحريم مع ذكر غيرها في المائدة من الموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع لوقوع اسم الميتة عليها، أو لغلظ حرمتها لورود الأخبار الصحيحة بتحريم كل ذي مخلب من الطير، وكل ذي ناب من الوحش، وما لا قشر له من السمك ﴿ وعَلَى الَّذينَ هادُوا﴾ على اليهود في أيام موسى﴿ حَرَّمْنا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ وهو كل ما ليس بمنفرج الأصابع كالإبل والأوز والبط أو الإبل فقط﴿ ومِنَ الْبَقَرِوالْغَنَمِ حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُما﴾ الثروب وشحوم الكلى، وغير ذلك ما في أجوافها ﴿ إلاّ ما حَمَلَتْ ظُهُورُهُما﴾ وعلق بها من الشحم وهو اللحم السمين﴿ أو الْحَوايا﴾ في موضع الرفع عطفاً على الظهور وتقديره: أو ما حملت الحوايا من الشحم فإنه غير محرّم أيضاً، والنصب عطف على ما حملت، وقيل: عطف على شحومهما، و(أو) بمعنى: الواو ، وهي المباعر، أو نبات اللبن، أو الأمعاء التي عليها الشحوم جمع (حاوية) أو حاوياً كـ(قاصعاً وقواصع) أو حوية كـ(سفينة وسفائن)﴿ أو مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ عطف على (ما) وهو شحم الجنب، أو الإلية فإنه متصل بالعصعص﴿ ذلكَ﴾ مفعول ثان لقوله: ﴿ جَزَيْناهُمْ﴾ أي: حرمنا ذلك التحريم عليهم عقوبة لهم﴿ بِبَغْيِهِمْ﴾ بسبب قتلهم الأنبياء وأخذهم الربا وأكلهم اموال الناس بالباطل، القمي: كان ملوك بني إسرائيل

يمنعون فقراءهم من أكل لحم الطير والشحوم فحرّم الله ذلك عليهم ببغيهم على فقرائهم ﴿ وإنا لصادقون ﴾ في الإخبار عن التحريم، وعن بغيهم وفي كل شيء.

[سورة الأنعام الآيات ١٤٧ - ١٥١]

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا

تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ ﴾ فيما تقول ﴿ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُورَحْمَةٍ واسِعَةٍ ﴾ لا يعجل بالعقوبة فلا تغتروا بإمهاله فإنه لا يمهل إذا جاء وقته ﴿ ولا يُرَدُّ بَأْسُهُ ﴾ لا يدفع عذابه إذا جاء وقته ﴿ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ المكذبين ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ محتجين في إقامتهم على شركهم وفي تحريمهم ما أحل الله بأن يقولوا:(لَوشاءَ اللَّهُ) لا نعتقد الشرك ولا نفعل التحريم نحن ولا آباؤنا ﴿ ما أَشْرَكْنا ولا آباؤُنا ولا حَرَّمْنا مِنْ شَيْءٍ كَذلكَ ﴾ مثل هذا التكذيب من هؤلاء في أن الله منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه ﴿ كَذَّبَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ الرسل ﴿ حَتَّى ذاقُوا بَأْسَنا ﴾ عذابنا المعجّل دون المؤجّل ﴿ قُلْ ﴾ جواباً لهم ﴿ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ ﴾ من حجة تؤدي إلى علم نجتمع معكم عليه ﴿ فَتُخْرِجُوهُ ﴾ فتظهروه ﴿ لَنا إن ﴾ ما ﴿ تَتَّبِعُونَ ﴾ في ذلك ﴿ إلاّ الظَّنَّ وإن أنتم إلاّ تَخْرُصُونَ ﴾ تكذبون على الله ﴿ قُلْ ﴾ لهم حيث عجزوا ﴿ فَلِلَّه الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ ﴾ التي بلغت قطع عذر المحجوج بأن تزيل كل لبس وشبهة عمن نظر فيها ﴿ فَلَوشاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ إليه بفعل الإلجاء لكنه لا يفعل ذلك لمنافاته التكليف وهذه مشيئة الإلجاء وتلك مشيئة الإختيار فلا منافاة، أو لوشاء لهداكم إلى نيل الثواب ودخول الجنة إبتداء من غير تكليف، ولكن فعل ما تقتضي الحكمة، والقمي: لوشاء لجعلكم كلكم على أمر واحد ولكن جعلكم على الإختلاف ﴿ قُلْ هَلُمَّ ﴾ وأصله هاء التنبيه ضمت إليها (لَمّ) من (الَمّ) إذا قصد حذفت الألف وفتحت الميم للإدغام وجعلتا كالكلمة الواحدة يقال: للواحد وغيره

والمذكر والمؤنث في أكثر اللغات، وربما قيل: (هلمّا) للإثنين و(هلمّوا) للجماعة و(هلمي) للمؤنث، والمعنى: احضروا﴿ شُهَداءَكُمُ الَّذينَ يَشْهَدُونَ﴾ بصحة دعواكم﴿ أن اللّهَ حَرَّمَ﴾ هذا الذي حرمتموه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام والحرث والأنعام﴿ فَإن شَهِدُوا فَلا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ بل بيّن لهم فساده وإنما دعاهم إلى الشهادة، ثم قال: فلا تشهد معهم، لأنّه أمرهم أن يأتوا بالعدول الذين يشهدون بالحق فإذا لم يجدوا ذلك وشهدوا لأنفسهم فلا ينبغي أن تقبل شهادتهم وتشهد معهم، لأنّه يرجع إلى مجرد دعوى بعيدة عن الصواب ﴿ ولا تَتَّبِعْ﴾ يا محمد، أو أيها السامع﴿ أهْواءَ الَّذينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا﴾ وفي وضع الظاهر موضع المضمر إشعار بأن التكذيب مسبب عن متابعة الهوى والتصديق مسبب عن متابعة الحجة، أي: لا تتبع من اعتقد مذهبه هواه بأن يهوى من يتولاه فيقلده، أو تدخل عليه شبهة فيتخيله بصورة الصحيح، أو يكون نشأ على شيء ألفه واعتاده فصعب عليه مفارقته﴿ والَّذينَ﴾ عطف على (الذين) ﴿ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ ﴾كعبدة الأصنام﴿ وهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ يجعلون له عديلاً ومثيلاً﴿ قُلْ تَعالَوْا أتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ (ما) موصولة منصوبة بـ(أتل) أو استفهامية منصوبة بـ(حرم) والجملة مفعول (أتل) لأنّ التلاوة بمنزلة القول﴿ الا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ﴾ أي: بيّن لكم الحرام لئلا تشركوا، أو مرفوع أي: المتلولأنّ لا تشركوا أو المحرم ان تشركوا بزيادة (لا)﴿ وبِالْوالِدَيْنِ﴾ وأحسنوا بهما﴿ إحساناً﴾ وضع موضع النهي عن الإساءة إليهما للمبالغة والدلالة على أن ترك الإساءة في شأنهما غير كاف والقمي: قال الوالدين رسول اللّه (ص) وأمير المؤمنين (ع)﴿ ولا تَقْتُلُوا أولادَكُمْ مِنْ إمْلاقٍ﴾ خوفاً من فقر لقوله: (خشية إملاق)﴿ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإياهُمْ﴾ فإن رزقكم ورزقهم علينا

﴿ ولا تقربوا الفواحش ﴾ المعاصي كلها، أو كبائرها، أو الزنا﴿ ما ظهر منها وما بطن﴾ عن السجاد (ع): ما ظهر نكاح إمرأة الأب وما بطن الزنا، وعن الباقر (ع): ما ظهر الزنا وما بطن المخالة﴿ ولا تقتلوا﴾ إعادة من دخلوه في الفواحش على التفسير الأول تفخيماً لشأنه﴿ النفس التي حرم الله﴾ من مسلم، أو معاهد ﴿ إلا بالحق﴾ كالقود والزنا في الإحصان، والكفر بعد الإيمان﴿ ذلكم﴾ المذكور مفصلاً ﴿ وصاكم به﴾ بحفظه﴿ لعلكم تعقلون﴾ لكي تعقلوا ما أمركم الله، فتحللوا حلاله وتحرموا حرامه.

[الأنعام الآيات ١٥٢ - ١٥٧]

وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟

لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

﴿ ولا تَقرَبُوا مالَ اليَتيمِ إلاَّ بِالَّتي هِيَ أَحْسَنُ﴾ كالحفظ والتنمية ﴿ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّه﴾ قوّته وهوبلوغ الحلم وكمال العقل، عن الصادق (ع): إنقطاع يتم اليتيم الإحتلام وهوأشدّه ،وإن احتلم ولم يؤنس منه رشد وكان سفيهاً أو ضعيفاً فليمسك عنه وليه ماله، وعنه (ع): إذا بلغ أشده ثلاث عشرة سنة، ودخل في الأربع عشرة وجب عليه ما وجب على المحتلمين ـ احتلم أو لم يحتلم ـ وكتبت عليه السيئات، وكتبت له الحسنات وجاز له كل شيء إلا أن يكون ضعيفاً، أو سفيهاً والنهي عن القرب مبالغة، وخص اليتيم لعدم إمكان الدفاع عن نفسه ولا ماله ﴿ وأَوفُوا الكَيْلَ والمِيزانِ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل والتسوية من غير بخس ﴿ لا نُكَلِّفُ نَفساً إلاَّ وُسْعَها﴾ الا ما يسعها ولا يضيق عليها، وفي ذكره بعد الكيل والوزن إشعار بتعسّر التعديل على الحقيقة فاللازم الإجتهاد والتحرز من النجس ﴿ وإِذا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ وقولوا الحق ﴿ ولَوكان ذا قُرْبى﴾ أي: ولوكان الحق على ذي قرابة لكم ﴿ وبِعَهْدِ اللهِ﴾ وهوما

أو جبه على عباده﴿ أوفُوا ذلِكُمْ﴾ المتقدم ذكره ﴿ وَصَّاكُمْ﴾ اللّه بـه﴿ لَعَلَّكُـمْ تَذكَّرُونَ﴾ بتخفيف الذال حيث وقع على حذف التاء الأولـى وبتـشديدها علـى إدغام التاء الثانية فيها، أي: لتذكروه وتأخذوا به، وعن الباقر (ع) إنه قـرأ الآيـات المحكمات التي لم ينسخهن شيء من الأنعام فقال: شيعهن سـبعون ألـف ملـك: (قل تعالوا أتل...) إلخ﴿ وإن﴾ بكـسر الهمـزة علـى الإسـتئناف، وبفتحهـا علـى التخفيف من أن أي: ولأنّه أي: الشأن فيكون تعليلاً للأمر بإتباعه﴿ هذا صِراطِي﴾ بسكون الياء وفتحها﴿ مُسْتَقِيماً ﴾ حال أي: لا عوج فيه ولعلّه إشارة إلى ما ذكر من السورة، فإنها بأسرها في إثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة﴿ فَاتَّبِعُوهُ﴾ فاقتدوا به﴿ ولا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ طرق الكفر والبدع والشبهات﴿ فَتَفَرَّقَ بِكُـمْ﴾ فتفـرقكم، وتخالف بكم﴿ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ عن دينه﴿ ذلِكُمْ﴾ الإتباع﴿ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الضلال والتفرق عن الحق﴿ ثُمَّ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ تَماماً عَلَـى الَّـذِي أَحْـسَنَ﴾ عطف على قوله: (أتل) وثم يقتضي التراخي وكتاب موسى قبل القراءة، قيل: فيه حذف تقديره: ثم قل: يا محمد أتينا، أو التقدير: ثم اتل عليهم أتينا، وقيل: عطف على (وصاكم) و(ثم) للتراخي في الأخبار، أو للتفاو ت في الرتبة، كانه قيل: ذلكم وصاكم به قديماً وحديثاً ثم أعظم من ذلك إنا آتينا تماماً على الذي أحسن، أي: على إحسان موسى أي: ليكمل إحسانه الذي يستحق به كمال ثوابه في الآخـرة، أو تماماً على المحسنين الذي هو أحدهم وهم الذين أحسنوا القيام به، و(النون) قد تحذف من (الذين) أو تماماً على إحسان اللّه إلى أنبيائه، أو تماماً لكرامته في الجنة على إحسانه في الدنيا﴿ وتَفْصِيلاً ﴾ وبياناً مفصلاً ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج اليه فـي الدين﴿ وهُدىً﴾ ودلالة على الحق، و(الدين) يهتدى به إلـى التوحيـد والعـدل

والشرائع ﴿ ورَحْمَةً ﴾ على سائر المكلفين ﴿ لَعَلَّهُمْ بلقاءِ ربِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ لكي يؤمنوا بجزاء ربهم، سمي الجزاء بلقائه تعالى تفخيماً لشأنه ﴿ وهذا كتابٌ ﴾ يعني: القرآن ﴿ أنزلناه ﴾ إلى محمد (ص) بواسطة جبرئيل ﴿ مُبارَكٌ ﴾ كثير النفع ﴿ فَاتَّبِعُوهُ ﴾ اعتقدوا صحته واعملوا به ﴿ واتَّقُوا ﴾ مخالفته ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ لكي ترحموا باتباعه كراهة ﴿ أن ﴾ تقولوا يا أهل مكة، أو لئلا ﴿ تَقُولُوا إنما أنزل الْكِتابُ عَلى طائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنا ﴾ اليهود والنصارى ﴿ وإن ﴾ مخففة، ولذا دخلت اللام في خبرها، أي: وانه ﴿ كُنّا عَنْ دِراسَتِهِمْ ﴾ عن تلاوة كتبهم ﴿ لَغافِلِينَ ﴾ لا ندري ما هي، والمعنى: أنزلنا عليكم هذا الكتاب ليقطع حجتكم ﴿ أَو تَقُولُوا ﴾ عطف على (تقولوا) ﴿ لَو أنا ﴾ فتحت الهمزة بعد (لو) مع أنه لا يقع فيه المصدر لأنّ الفعل مقدر بعد (لو) كانه قيل: لووقع إلينا إنا ﴿ أنزل عَلَيْنَا الْكِتابُ لَكُنّا أَهْدى مِنْهُمْ ﴾ في المبادرة إلى قبوله والتمسك به لحدّة أذهاننا ﴿ فَقَدْ جاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ تعرفونها وهو القرآن ﴿ وهُدىً ﴾ يهتدي به الخلق ﴿ ورَحْمَةٌ ﴾ لمن تأمّل فيه وعمل به ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ ﴾ لنفسه ﴿ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآياتِ اللّهِ ﴾ بعد أن عرف صحتها، أو تمكن من معرفتها ﴿ وصَدَفَ ﴾ أعراض، أو صد، والقمي: أي: دفع ﴿ عَنْها ﴾ غير مستدل بها ولا متفكر فيها، فضلّ وأضلّ ﴿ سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آياتنا سُوءَ الْعَذابِ ﴾ شدته وهو ما أعدّه للكفّار جزاء ﴿ بما كانوا يَصْدِفُونَ ﴾ عن القرآن، أو النبي (ص).

[سورة الأنعام الآيات ١٥٨- ١٦٥]

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ

تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ إنكار أي: ما ينتظر هؤلاء الكفار ﴿إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ﴾ بالتاء والياء ﴿الْمَلاَئِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم، أو لأنزال العذاب عليهم، أو لعذاب القبر ﴿أَوْ يَأْتِيَ

ربُّكَ﴾ جلائل آياته أو أمره بالعذاب﴿ أو يَأْتِيَ بَعْضُ آيات رَبِّكَ﴾ التي كالدابة وطلوع الشمس من مغربها، وعن علي (ع): يعني بذلك: أمر ربك، والآيات: هي العذاب في دار الدنيا كما عُذّب الأمم السالفة﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيات رَبِّكَ﴾ التي تضطرهم إلى المعرفة ويزول التكليف عندها﴿ لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبلُ﴾ لإنسداد التوبة﴿ أو كَسَبَتْ فِي إيمانها خَيْراً﴾ بأن ضمت إلى الإيمان فعل الخير أي: لا ينفع حينئذ إيمان من آمن من الكفّار، ولا إطاعة من أطاع من المؤمنين، وعن الباقر(ع) نزلت: (أو اكتسبت في إيمانها خيراً) قال: إذا طلعت الشمس من مغربها من آمن في ذلك اليوم لم ينفعه إيمانه، وعن أحدهما (ع) في قوله: أو كسبت... إلخ قال: المؤمن العاصي حالت بينه وبين إيمانه كثرة ذنوبه، وقلّة حسناته، فلم يكتسب في إيمانه خيراً وعن الصادق (ع): (من قبل يعني: في الميثاق، أو كسبت في إيمانها خيراً قال: الإقرار بالأنبياء والأوصياء وأميرالمؤمنين خاصة، قال: لا ينفع إيمانها لأنها سلبت﴿ قُلِ أنتظرُوا﴾ إتيان الملائكة، أو وقوع هذه الآيات﴿ إنا مُنتَظِرُونَ﴾ بكم وقوعها، ولنا الفوز، ولكم الويل﴿ إن الَّذِينَ فَرَّقُوا﴾ بالتشديد﴿ دِينَهُمْ﴾ أي: بدوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وفارقوا بالألف عن الصادق (ع): كان علي يقرأها (فارقوا دينهم) فارق والله القوم أي: باينوه وخرجوا عنه﴿ وَكانوا شِيَعاً﴾ تشيع كل فرقة إماماً، وعن الباقر(ع): إنهم أهل الضلال وأصحاب الشبهات والبدع من هذه الأمة، وقيل: المراد بهم الكفّار وأصناف المشركين، ونسختها آية السيف، وقيل: هم اليهود والنصارى يكفّر بعضهم بعضاً ﴿ لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ من مذاهبهم، أو من السؤال عنهم وعن تفرقهم﴿ إنما أمْرُهُمْ﴾ ومجازاتهم على سوء أفعالهم﴿ إلى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِما كانوا يَفْعَلُونَ﴾

بالمجازاة﴿ مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ المعهودة، المأمور بها، و(الهاء) للمبالغة﴿ فَلَهُ عَشْرُ﴾ حسنات ﴿ أَمْثالِها﴾ ثواباً، أو تفضلاً أي: عشر أمثالها في النعيم واللذة لا في المنزلة ﴿ ومَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزى إِلاَّ مِثْلَها﴾ تفضلاً وكرماً في الأول، وعدلاً في الثاني﴿ وهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص الثواب، وزيادة العقاب﴿ قُلْ إِنني هَداني رَبِّي﴾ وأرشدني﴿ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً﴾ بدل من محل الجار، أو مفعول مضمر دل عليه الملفوظ﴿ قِيماً﴾ بفتح القاف وتشديد الياء أي: مستقيماً، أو ثابتاً لا ينسخ وبكسر القاف وتخفيف الياء مصدر نعت له كالصغر والكبر، وكان قياسه قوماً بـ(الواو) كـ(الحول)﴿ مِلَّةَ إِبراهيم﴾ بدل من ديناً وبياناً له، وفيه ترغيب للعرب لجلالة إبراهيم في نفوسهم واتفاقهم أنه كان على الحق﴿ حَنِيفاً﴾ حال من (إبراهيم) أي: مخلصاً لله في العبادة، أو مائلاً للإسلام ميلاً لازماً﴿ وما كان﴾ إبراهيم﴿ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ عن الباقر (ع): ما أبقت الحنيفية شيئاً حتى أن منها قصّ الأظفار، والأخذ من الشارب، والختان، وعنه (ع): ما من أحد يدين بدين إبراهيم غيرنا وغير شيعتنا﴿ قُلْ إِن صَلاتِي ونُسُكِي﴾ ديني وعبادتي، أو ذبيحتي لحجي وعمرتي﴿ ومَحْيايَ﴾ بسكون الياء﴿ ومَماتِي﴾ بفتحها وبالعكس أي: حياتي وموتي، أو ما أنا عليه في حياتي وأموت عليه من الإيمان والطاعة﴿ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾ خالصاً له﴿ لا شَرِيكَ لَهُ﴾ في العبادة والإحياء والإماتة﴿ وبِذلِكَ﴾ الإخلاص﴿ أُمِرْتُ وأنا أولُ الْمُسْلمينَ﴾ من هذه الأمة لأنّ إسلام كل نبي متقدم على إسلام أمته، أو أول المسلمين مطلقاً لأنه أول من أجاب في الميثاق في عالم الذّر﴿ قُلْ أَ غَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي﴾ أطلب﴿ رَبًّا﴾ واترك عبادة من خلقني وربأني﴿ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وليس بمربوب فما أقبحه وهو لازم لكم على عبادتكم الأوثان ﴿ ولا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ جزاء عمل من طاعة

أو معصية﴿ إلاَّ عَلَيْها﴾ فعليها عقاب معصيتها، ولها ثواب طاعتها﴿ ولا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى﴾ ولا يجازى أحد بذنب غيره، جواب قولهم: اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم﴿ ثُمَّ إلى ربِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ﴾ مآلكم يوم القيامة﴿ فَيُنَبِّئُكُمْ بما كُنْتُمْ فيه تَخْتَلِفُونَ﴾ بتبين الرّشد من الغي وتميز الحق من الباطل﴿ وهُوالَّذي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ﴾ أي: خلائف فيها عنه تعالى، تتصرفون فيها على تقدير أن الخطاب عام، أو خلفاء الأمم السالفة على أن الخطاب لأمة محمد (ص)، أو أن أهل كل عصر يخلف العصر الذي قبله، أو كلما مضى قرن خلفهم قرن يجري ذلك على أنتظام وإتساق حتى تقوم الساعة ﴿ ورَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ﴾ في الصورة والعقل والشرف والقوّة والعمر والمال وغيرها﴿ لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم﴿ فِي ما آتاكُمْ﴾ من تلك الدرجات أي: يعاملكم معاملة المختبرين فينظر الغني إلى الفقير فيشكر، والفقير إلى الغني فيصبر﴿ إن ربَّكَ سَرِيعُ الْعِقابِ﴾ لمن كفر النعم﴿ وإنهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمن شكرها.

تمّت ـ ولله الحمد ـ سورة الأنعام وتفسيرها.

سورة الأعراف

مائتان وست آيات، مكية،

[الآيات ١ - ١١]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾

عن الصادق (ع): من قرأها في كل شهر كان يوم القيامة من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ومن قرأها في كل جمعة كان لا يحاسب يوم القيامة لأنّ فيها محكماً فلا تدعوا قراءتها فإنها تشهد يوم القيامة لكل من قرأها، وعن النبي (ص): من قرأها جعل اللّه يوم القيامة بينه وبين إبليس ستراً وكان لآدم رفيقاً، ومن كتبها بماء ورد وزعفران وعلّقها عليه لم يقربه سبع ولا عدوما دامت عليه بإذن اللّه﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ المص﴾ عن الصادق (ع): معناه: أنا اللّه المقتدر الصادق وعنه (ع) وقد سأله زنديق من بني أمية فقال: قول اللّه (المص) أي: شيء أراد بهذا، وأيّ شيء فيه مما ينتفع به الناس؟ فقال (ع): أمسك ويحك الألف واحد و(اللام) ثلاثون والميم أربعون والصاد تسعون كم معك؟ فقال الرجل: مائة وأحد وستون، فقال (ع): إذا إنقضت سنة إحدى وستين ومائة ينقضي ملك أصحابك، قال فنظر فلمّا انقضت إحدى وستون ومائة يوم عاشوراء إذ دخل المسوّدة الكوفة وذهب ملكهم ﴿ كِتابٌ﴾ هوكتاب﴿ أنزل إِلَيْكَ﴾ صفة له﴿ فَلا يَكُنْ﴾ عطف على الجملة السابقة، أو جواب لمحذوف على التقديم والتأخير أي: إذا كان أنزل إليك الكتاب لتنذر به ﴿ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾ ضيق، أو شك من تبليغه، قيل: كان النبي (ص) يخاف تكذيب قومه وإعراضهم وأذاهم له فكان يضيق صدره فآمنه اللّه﴿ لِتُنْذِرَ بِهِ﴾ متعلق بـ(لا يكن) أو (أنزل)﴿ وذِكْرى﴾ اسم للتذكير محلّه النصب أي: أنزل إليك لتنذر ولتذكر﴿ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ خصّوا لأنّهم المنتفعون به دون غيرهم﴿ اتَّبِعُوا﴾ خطاب

للمكلفين﴿ ما أنزل إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ من القرآن، أو الوحي﴿ ولا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونه أو لياءَ﴾ تطيعونهم في معصية الله من شياطين الإنس والجن تذكراً ﴿ قَليلاً ما تَذَكَّرُونَ﴾ (يتذكرون) بياء وتاء على الغيبة، وبتاء واحدة بتخفيف الذال وتشديدها كما مرّ، وهو خبر في معنى الأمر أي: تذكروا ما يلزمكم من أمر دينكم، ومعنى: التذكر: أن يأخذ في الذكر شيئاً فشيئاً مثل التعلم﴿ وكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ (كم) خبرية معناها: التكثير، خبرها﴿ أهلكْناها فَجاءَها بَأْسُنا ﴾ عذاب الإستيصال والفاء بمعنى (الواو) عند الفرّاء، وأهلكناها بإرسال الملائكة، أو بحكمنا فجاءها بأسنا﴿ بَياتاً﴾ بآيتين كقوم لوط﴿ أو هُمْ قائلُونَ﴾ أو قائلين نصف النهار كقوم شعيب﴿ فَما كان دَعْواهُمْ إِذْ جاءَهُمْ﴾ وقت الذي جاءهم ﴿ بَأْسُنا إلاّ أن قالُوا إنا كُنَّا ظالمينَ﴾ إلا اعترافهم بالظلم، ويدل على أن الإعتراف والتوبة عند معاينة البأس لا تنفع ﴿ فَلَنَسْئَلَنَّ﴾ بفاء التعقيب ما بين الأول والثاني لتقريب ما بينهما، كما قال: اقتربت الساعة، و(اللام) للقسم﴿ الَّذينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ وهم المكلفون يسألون عن إجابتهم الرسل﴿ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلينَ﴾ عن تبليغهم الرسالة، أخرج مخرج التهديد والزجر ليتأهب العباد بحسن الإستعداد﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ﴾ على الرسل والمرسل إليهم أعمالهم﴿ بِعِلْمٍ﴾ بأنا عالمون بها كما قال: ولا يحيطون بشيء من علمه ﴿ وما كُنَّا غائِبينَ﴾ عن علم ذلك، أو عن الرسل فيما بلغوا وعن الأمم فيما أجابوا ﴿ والْوَزْنُ﴾ مبتدأ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ خبره﴿ الْحَقُّ﴾ صفة، وهو عبارة عن العدل في الآخرة، أو عن ميزان الأعمال له لسان وكفتان توزن فيه صحائف الأعمال أو تجسّم ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ﴾ حسناته إن كان جمع موزون، أو ما توزن به حسناته إن كان جمع ميزان ولعل جمعه لأنّ لكل نوع من أنواع الطاعات ميزاناً ﴿ فَأولئِكَ

هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بثواب الله﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ فَأُولئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أنفسهُمْ﴾ بأن استحقوا عذاب الأبد﴿ بِما كانوا بآياتنا يَظْلِمُونَ﴾ أي: بسبب جحدهم ما جاء به النبي (ص) من الحجج، القمي: بالأئمة يجحدون﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ﴾ من التصرف﴿ فِي الأَرْضِ﴾ بعمارتها وسكناها﴿ وجَعَلْنا لَكُمْ فِيها مَعايشَ﴾ بغير همزٍ عند جميع القرّاء عدا نافع﴿ قَليلاً ما﴾ منصوب بقوله: ﴿ تَشْكُرُونَ﴾ و(ما) زائدة لتأكيده معنى، أو مصدرية أي: قليلاً شكركم فيما خلقناكم﴿ ولَقَدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ﴾ أي: خلقنا آدم طيناً غير مصوّر ثم صوّرناه، أو خلقناه آدم ثم صوّرناكم في ظهره، وعن الباقر(ع): أمّا (خلقناكم) فنطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظماً ثم لحماً، وأمّا (صورناكم) فالعين والأنف والأذنين والفم واليدين والرجلين، صوّر هذا ونحوه ثم جعل الذميم والوسيم والجسيم والطويل والقصير وأشباه هذا﴿ ثُمَّ قُلْنا﴾ قيل: الترتيب وقع في الاخبار ﴿ لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ﴾ بعد خلقه وتصويره﴿ فَسَجَدُوا إلاّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ مرّ تفسيره.

[سورة الأعراف الآيات ١٢ -٢٢]

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ

صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾

﴿ قالَ﴾ الله ﴿ ما﴾ أي: أيّ شيء ﴿ مَنَعَكَ الا تَسْجُدَ﴾ أي: من السجود و(لا) زائدة لتأكيد معنى الفعل، أو ما أحوجك إلى أن لا تسجد ﴿ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ بالسجود، ويدل على أن الأمر للوجوب والفور ﴿ قالَ﴾ إبليس ﴿ أنا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ ولا يسجد

الفاضل للمفضول﴿ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ ظناً منه أن النّار إذا كأنت أشرف من الطين لم يجز أن يسجد الأشرف للأدون، وعن الصادق (ع): إن إبليس قاس نفسه بآدم فلوقاس الجوهر الذي خلق اللّه منه آدم بالنار كان ذلك أكثر نوراً أو ضياءً من النار، وفي آخر: قاس ما بين النار والطين، ولو قاس نورية آدم بنورية النار عرف فضل ما بين النورين وصفاء أحدهما على الآخر، وعنه (ع) كذب إبليس ما خلقه اللّه إلا من طين، أقول: الظاهر إن اللعين كان أشعري الأصول حنفي الفروع أما الأول: فلقوله: (رب بما أغويتني) حيث نسب الإغواء اليه تعالى بناءً على أن الخير والشر منه، وأمّا الثاني: فلما هنا من القياس﴿ قالَ فَاهْبِطْ مِنْها﴾ من السماء، أو من الجنة إلى الأرض، أو من المنزلة الرفيعة إلى الدّنية التي للعاصين﴿ فَما يَكُونُ﴾ فما يصح﴿ لَكَ أن تَتَكَبَّرَ﴾ عن أمر اللّه فيها فإنها ليست بموضع العاصين وإنما موضعهم النار ﴿ فَاخْرُجْ﴾ منها﴿ إنكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ الأذلاء بالمعصية في الدنيا وبالعذاب في الآخرة﴿ قالَ أنظِرْنِي﴾ امهلني في الأجل﴿ إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ من قبورهم، أراد أن لا يذوق الموت في النفخة الأولى مع من يموت ﴿ قالَ﴾ اللّه تعالى له﴿ إنكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ أجابه لما سأله من الإمهال، وعن الصادق (ع): يموت إبليس ما بين النفخة الأولى والثانية وعنه (ع): أنظر إلى يوم يبعث قائمنا وفي إجابته ابتلاء للعباد، وتعريض للثواب بمخالفته﴿ قالَ﴾ إبليس ﴿ فَبِما أغْوَيْتَنِي﴾ إعتقاداً منه انه تعالى يغوي الخلق ويضلهم، أو بما جنبتني من رحمتك وجنتك، أو بما امتحنتني من السجود لآدم فغويت عنه ولم أثبت كما ثبتت الملائكة ﴿ لأقْعُدَنَّ﴾ جواب قسم محذوف﴿ لَهُمْ﴾ لأولاد آدم﴿ صِراطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ على طريقك الحق المستوي لأصدنّهم عنه بالإغواء حتى يفسدوا بسببي كما فسدت

بسببهم، وعن الصادق (ع): الصراط هنا علي (ع) ﴿ ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيدِيهِمْ ﴾ من قبل دنياهم ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ من قبل آخرتهم ﴿ وَعَنْ إيمانِهِمْ وَعَنْ شَمائِلِهِمْ ﴾ من حجة حسناتهم وسيئاتهم، أو من بين أيديهم وعن إيمانهم من حيث لا يبصرون، وإنما دخلت (من) في اقدام والخلف وعن في اليمين والشمال، لأنّ في الأولين معنى طلب النهاية، وعن الباقر (ع): (من بين أيديهم): أهون عليهم أمر الآخرة، (ومن خلفهم): آمرهم بجمع المال والبخل عن الحقوق لتبقى لورثتهم، و(عن إيمانهم): أفسد عليهم أمر دينهم بتزيين الضلالة وتحسين الشبهة، و(عن شمائلهم): يتحبب اللذات وتغليب الشهوات على قلوبهم ﴿ ولا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شاكِرِينَ ﴾ مطيعين ﴿ قالَ اخْرُجْ مِنْها ﴾ من الجنة، أو من المنزلة الرفيعة ﴿ مَذْؤُماً ﴾ مذموماً معيباً يقال: ذامه وذمه: عابه بأبلغ الذم وحقّره ﴿ مَدْحُوراً ﴾ مطروداً، مبعداً من الدخول ﴿ لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ ﴾ (اللام) للابتداء، و(من) للشرط لا موصولة لأنها لا تقلب الماضي إلى الإستقبال أي: من أطاعك من بني آدم ﴿ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ ﴾ (اللام) للقسم ﴿ مِنْكُمْ ﴾ منك ومنهم ﴿ أَجْمَعِينَ ﴾ غلب المخاطب ﴿ وَيا آدَمُ اسْكُنْ ﴾ من: السكنى، لا السكن ﴿ أنت وزَوْجُكَ ﴾ لم يقل: (وزوجتك) لأنّ الاضافة أبانت معناه ﴿ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُما ولا تَقْرَبا هذه الشَّجَرَةَ ﴾ بالأكل ﴿ فَتَكُونا ﴾ يحتمل العطف والنصب على الجواب ﴿ مِنَ الظّالِمينَ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ﴾ لآدم وحواء ﴿ الشيطان ﴾ الفرق بين (وسوس إليه) و(له) إن الأول بمعنى: ألقى إلى قلبه المعنى بصوت خفي، والثاني: أنه أو همه النصيحة له بذلك ﴿ لِيُبْدِيَ ﴾ ليظهر ﴿ لَهُمَا ﴾ (اللام) للعاقبة، أو للغرض ﴿ ما وُورِيَ ﴾ ما ستر ﴿ عَنْهُما مِنْ سَوْآتِهما ﴾ عوراتهما ﴿ وَقالَ ما نَهاكُما رَبُّكُما عَنْ هذِهِ الشَّجَرَةِ ﴾ عن الأكل منها ﴿ إِلاَّ أن تَكُونا ﴾

كراهة أن تكونا، أو لئلا تكونا﴿ مَلَكَيْنِ أو تَكُونا مِنَ الْخالدِينَ﴾ في الجنة ﴿ وقاسَمَهُما﴾ حلف لهما بالله حتى خدعهما، أخرج على زنة المفاعلة للمبالغة ﴿ إني لَكُما لَمِنَ النَّاصحينَ﴾ المخلصين النصيحة في دعائكما إلى التناول من هذه الشجرة ﴿ فَدَلاَّهُما بِغُرُورٍ﴾ أو قعهما في المكروه، بأن غرهما بتمنيته وبالقسم، حيث إنهما ظنّا أن أحداً لا يحلف بالله كذباً، أو دلاهما إلى الأرض من الجنة ﴿ فَلَمَّا ذاقَا الشَّجَرَةَ﴾ إبتداءاً بالأكل منها شيئاً يسيراً على خوف شديد﴿ بَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما﴾ ظهر لكل منهما عورة صاحبه، وعن الصادق (ع): كأنت سوآتهما لا تبدوا لهما فبدت، يعني: كأنت من داخل مثل سائر الحيوانات﴿ وَطَفِقا يَخْصِفان﴾ جعلا يلصقان﴿ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ وهو ورق التين، صار كهيئة الثوب يغطيان سوآتهما به، من (طفق يفعل كذا) أي: جعل يفعل، و(الخصف): ضم الشيء إلى الشيء وإلصاقه به﴿ وناداهُما رَبُّهُما أَ لَمْ أنهَكُما عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وأَقُلْ لَكُما إن الشيطان لَكُما عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ على الإغترار بقول العدو.

[سورة الأعراف الآيات ٢٣ - ٣٠]

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا

تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

﴿ قالا﴾ أي: آدم وحواء﴿ ربَّنا ظَلَمْنا أنفسنا﴾ بالنزول إلى الأرض ومفارقة العيش الرغيد﴿ وإن لَمْ تَغفرْ لنا﴾ تستر علينا﴿ وتَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ منَ الْخاسرينَ﴾ ممّن خسر ولم يربح﴿ قالَ اهْبطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوولَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾

موضع إستقرار﴿ وَمَتاعٌ إلى حِينٍ﴾ الموت، وقد مرّ تفسيره﴿ قالَ﴾ اللّه تعالى ﴿ فِيها تَحْيَوْنَ﴾ في الأرض تعيشون ﴿ وفيها تَمُوتُونَ ومِنْها تُخْرَجُونَ﴾ عند البعث للجزاء بفتح التاء وضمّها﴿ يا بَنِي آدَمَ قَدْ أنزلنا عَلَيْكُمْ لِباساً يُوارِي﴾ يستر ﴿ سَوْآتِكُمْ﴾ ويغنيكم عن خصف الورق﴿ وَرِيشاً﴾ هوما ظهر من اللباس الفاخر، والريش: ما يتجمل به، استعير من ريش الطائر لأنّه لباسه وزينته﴿ ولِباسُ التَّقْوى﴾ بالنصب عطفاً على (لباساً) وبالرفع على الإبتداء، وخبره قوله: ﴿ ذلِكَ خَيْرٌ﴾ لصاحبه إذا أخذ به، والمراد به العمل الصالح، أو الحياء الذي يلبسكم التقوى، أو لباس التواضع، أو خشية اللّه ذلك خير من جميع ما يلبس، القمي: لباس التقوى ثياب البيض، وعن الباقر (ع): فأما اللباس فالثياب التي تلبسون، وأما الرياش: فالمتاع والمال، وأما لباس التقوى: فالعفاف (ذلك خير) يقول: والعفاف خير، قيل: أنزل ذلك مع آدم وحواء، أو انه ينبت بالمطر النازل من السماء، أو أن البركات تأتي من السماء﴿ ذلِكَ﴾ أي: إنزال اللباس﴿ مِنْ آياتِ اللّهِ﴾ الدالة على فضله ورحمته ﴿ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ فتعرفون نعمه، أو تتعظون فتتورعون عن محارمه﴿ يا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشيطان﴾ لا يضلنكم عن الدين ولا يصرفنكم عن طريق الحق﴿ كَما أَخْرَجَ أبوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ ﴾ نسب الإخراج اليه وهوبأمر اللّه لأنّه كان بإغوائه﴿ يَنْزِعُ عَنْهُما﴾ عند إغوائه﴿ لِباسَهُما﴾ من ثياب الجنة، أسند النزع إليه لأنّه كان بسببه﴿ لِيُرِيَهُما سَوْآتِهِما إنهُ﴾ أي: الشيطان﴿ يَراكُمْ هُووقَبِيلُهُ ﴾ نسله وأتباعه من الجن والإنس ﴿ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ﴾ لأنّ أجسامهم شفافة لطيفة، ويجوز أن يمكنهم اللّه تعالى فيكثفون فيراهم حينئذ من يحضرهم ـ كما ذهب إليه الشيخان ـ وقوّاه الطبرسي ﴿ إنا جَعَلْنَا الشَّياطِينَ أولِياءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: حكمنا بذلك لما بينهما من

التناصر على الباطل﴿ وإذا فَعَلُوا فاحشَةً﴾ كعبادة الأصنام والإقتداء بأئمة الجور ونحوها، فنهوا عنه ﴿ قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا واللّهُ أمَرَنا بها قُلْ إن اللّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ أ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ﴾ وعن العبد الصالح (ع): هذا في أئمة الجور إدّعوا أن اللّه أمرهم بالإئتمام بهم، فردّ اللّه ذلك عليهم، وعن الصادق (ع): من زعم أن اللّه يأمر بالفحشاء فقد كذب على الله، ومن زعم أن الخير والشر إليه فقد كذب على اللّه﴿ قُلْ أمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل والإستقامة، أو بالتوحيد أو بجميع الطاعات والقرب، كما ان الفحشاء اسم جامع لجميع السيئات﴿ وأَقِيمُوا﴾ عطف على (لا يفتتنكم) أي: احذروا الشيطان واقيموا، أو التقدير: قل أمر ربي بالقسط وقل أقيموا ﴿ وُجُوهَكُمْ﴾ توجهوا إلى عبادته مستقيمين غير عادلين إلى غيرها، أو أقيموها نحوالقبلة﴿ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ في وقت كل سجود، أو في كل مكان سجود وهوالصلاة، وعن الصادق (ع): هذه في القبلة وعنه (ع) عند كل مسجد يعني: الأئمة، وعنه (ع): مساجد محدثة فأمروا أن يقيموا وجوههم شطر المسجد الحرام ﴿ وَادْعُوهُ﴾ واعبدوه﴿ مُخْلِصينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: الطاعة، أو الإيمان﴿كَما بَدَأَكُمْ﴾ بدأ خلقكم من التراب، أو لا تملكون شيئاً، أو مسبوقين بالعدم ﴿ تَعُودُونَ﴾ يوم القيامة فيجازيكم على أعمالكم، قيل: هو مستأنف وقيل: متصل بما قبله أي: ادعوه مخلصين له الدين فإنكم مبعوثون ومجازون، وعن الباقر(ع): خلقهم حين خلقهم مؤمناً وكافراً وشقياً وسعيداً وكذلك يعودون يوم القيامة مهتد وضال﴿ فَرِيقاً هَدى﴾ إلى الإيمان، أو إلى طريق الثواب﴿ وفَرِيقاً﴾ مفعول فعل محذوف، أي: أضل ودل عليه قوله: ﴿ حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ﴾ أي: الخذلان إذ لم يقبلوا الهدى﴿ إنهُمُ اتَّخَذُوا الشَّياطِينَ أولِياءَ مِنْ دُونِ اللّهِ ﴾ أطاعوهم فيما أمروهم به، وفيه بيان ان اللّه لم

يبتدئهم بالعقوبة بل جازاهم على عصيانهم وإتباعهم الشياطين﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ القمي: هم القدرية الذين يقولون: لا قدر، ويزعمون إنهم قادرون على الهدى والضلال وذلك إليهم إن شاؤوا اهتدوا وإن شاؤوا أضلوا، وهم مجوس هذه الأمة وكذب أعداء الله المشيئة والقدرة لله كما بدأهم يعودون الخبر.

[سورة الأعراف الآيات ٣١ - ٣٧]

يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا

وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾

﴿ يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي: ثيابكم بموارة عوراتكم عند كل صلاة وطواف، لأنّ الجاهلية كانوا يطوفون عراة الرجال بالنهار والنساء بالليل إلا قريشاً ومن دان بدينهم كانوا يطوفون بثيابهم، وعن الباقر (ع) أي: خذوا ثيابكم التي تتزينون بها للصلاة في الجمعات والأعياد وعنه وعن الرضا (ع): من ذلك التمشط عند كل صلاة وعنه (ع): الغسل عند لقاء كل إمام، والقمي قال: في العيدين والجمعة يغتسل ويلبس ثياباً بيضاً﴿ وَكُلُوا واشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا﴾ بالإفراط والإتلاف وبالتعدي إلى الحرام﴿ إنهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ لا يرضى فعلهم، وعن الصادق (ع): يكون للرجل ثلاثون قميصاً ليس هذا من السرف إنما السرف أن تعجل ثوب صونك ثوب بذلك وعنه (ع): ليس فيما أصحّ البدن إسراف، إنما الإسراف فيما أفسد المال وأضرّ بالبدن، قيل: وما الإقتار؟ قال: أكلك الخبز والملح وأنت تقدر على غيره، قيل: فما القصد؟ قال: الخبز واللحم واللبن والخل والسمن، مرّة هذا ومرّة هذا﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ من الثياب﴿ الَّتِي﴾ يتزين بها الناس

﴿ الَّتي أَخْرَجَ لِعِبادِه﴾ من الأرض كالقطن والكتّان والإبريسم والصوف والجواهر ﴿ والطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ المستلذات من المآكل والمشارب، أو المحللات منها، والإستفهام للأنكار ﴿ قُلْ هِيَ لِلَّذينَ آمَنُوا في الْحَياةِ الدُّنْيا﴾ بالأصالة، وللذين كفروا بالتبع﴿ خالِصَةً ﴾ بالرفع خبر (هي) وبالنصب حال عامله ما في (اللام) من معنى الفعل، أي: هي مستقرة للذين آمنوا في الدنيا خالصة لهم ﴿ يَوْمَ الْقِيامَةِ﴾ لا يشاركهم فيها غيرهم﴿ كَذلِكَ﴾ كتفصيلنا هذا الحكم﴿ نُفَصِّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ سائر الأحكام﴿ قُلْ﴾ يا محمد ﴿ إنما حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وما بَطَنَ﴾ ما علن وما خفي﴿ والإِثْمَ والْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ تأكيد﴿ وأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ﴾ فيه تفصيل بعد إجمال كانه قال: حرّم الفواحش التي منها: الإثم والبغي والإشراك بالله﴿ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً﴾ لم يقم عليه حجة، وكل إشراك بالله بهذه المثابة لا حجة عليه ولا برهان وعن الكاظم (ع): (ما ظهر) يعني: الزنا المعلن، ونصب الرايات التي كأنت ترفعها الفواجر، و(ما بطن) ما نكح من أزواج الآباء، و(الإثم) الخمر، والميسر، و(البغي) الزنا سراً، وعن الصادق (ع): ان القرآن له ظهر وبطن، فجميع ما حرّم الله في القرآن هوالظاهر، والباطن من ذلك أئمة الجور، وجميع ما أحل الله في الكتاب هوالظاهر والباطن من ذلك أئمة الحق﴿ وأن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ﴾ عن النبي (ص): من أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السموات والأرض، وسئل الباقر (ع): ما حجة الله على العباد؟ فقال: أن يقولوا ما يعملون ويقفوا عند ما لا يعلمون﴿ ولِكُلِّ أُمَّةٍ ﴾ جماعة من أهل عصر﴿ أَجَلٌ﴾ وقت إستيصال، فيه تسلية للنبي (ص) في تأخير عذاب الكفّار﴿ فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً﴾ عن وقته﴿ ولا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ ولا يتقدمون عليه، أو لا يطلبون

التأخير عنه للأياس منه ولا يطلبون التقدم عليه، عن الصادق (ع): هوالذي سمي لملك الموت في ليلة القدر﴿ يا بَنِي آدَمَ﴾ خطاب لجملة المكلفين ﴿ إِمَّا﴾ هي (ما) ضمت إلى (إن) الشرطية لتأكيد معنى الشرط ولذا دخلت النون الثقيلة في قوله: (يأتينكم) والأصل ﴿ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ من جنسكم ﴿ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آياتِي فَمَنِ اتَّقى﴾ تكذيب الرسل، أو المعاصي﴿ وَأَصْلَحَ﴾ عمله﴿ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ في الآخرة﴿ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا﴾ حججنا﴿ واسْتَكْبَرُوا عَنْها﴾ عن قبولها﴿ أولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ﴾ الملازمون لها﴿هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ دواماً وتأبيداً، وادخل الفاء في جزاء الأول دون الثاني، للمبالغة في الوعد، والمسامحة في الوعيد ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ لا أحد أشنع ظلماً﴿ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ يقول عليه ما لم يقله﴿ أو كَذَّبَ بِآياتِهِ﴾ الدالة على توحيده ونبوة رسله﴿ أُولئِكَ يَنالُهُمْ﴾ يصيبهم﴿ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتابِ﴾ مما كتب لهم من الأرزاق والآجال، القمي: أي: ينالهم ما في كتابنا من عقوبات المعاصي﴿ حَتَّى إِذا جاءَتْهُمْ رُسُلُنا﴾ ملك الموت وأعوانه﴿ يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ يقبضون أرواحهم﴿ قالُوا﴾ أي: الرسل﴿ أَيْنَ ما كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الإستفهام لتوبيخهم أي: هلاً رفعت عنكم الآلهة التي تعبدونها من الأوثان والأصنام ما نزل بكم من العذاب﴿ قالُوا﴾ أي: الكفار﴿ ضَلُّوا﴾ غابوا ﴿ عَنَّا ﴾ فلا يقدرون على الدفع عنا﴿ وَشَهِدُوا﴾ وأعترفوا﴿ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كانُوا كافِرِينَ﴾ ولم يكونوا على شيء فيما كانوا عليه.

[سورة الأعراف الآيات ٣٨ - ٤٣]

قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا

لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

﴿ قالَ﴾ أي: اللّه تعالى ﴿ ادْخلُوا فِي أُمَمٍ﴾ في جملة جماعات ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ والإنسِ ﴾ على الكفر ﴿ فِي النَّارِ﴾ متعلق بـ(ادخلوا) ﴿ كُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ من هذه الأمم في النّار ﴿ لَعَنَتْ أُخْتَها﴾ في الدين، وهي التي سبقتها إلى النّار، والتي ضلت بالإقتداء بها في عبادة الأصنام، فإن دأبهم يلعنون من كان قبلهم ويلعنون رؤساءهم وقادتهم ﴿ حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيها﴾ تداركوا وتلاحقوا في النّار ﴿ جَمِيعاً قالَتْ أُخْراهُمْ﴾ دخولاً النار، أو منزلة وهم الأتباع ﴿ لأُو لاهُمْ﴾ دخولاً، أو منزلة، وهم الرؤساء أي: لأجلهم لأنّ الخطاب مع اللّه لا معهم ﴿ ربَّنا هؤُلاءِ﴾ عن الصادق (ع): يعني أئمة الجور ﴿ أَضَلُّونا﴾ شرّعوا لنا أن نتخذ من دونك إلهاً، أو دعونا إلى الضلال وحملونا عليه ﴿ فَآتِهِمْ عَذاباً ضِعْفاً﴾ مضاعفاً ﴿ مِنَ النَّارِ﴾ لأنّهم ضلّوا واضلّوا ﴿ قالَ﴾ اللّه تعالى ﴿ لِكُلٍّ﴾ من القادة والأتباع ﴿ ضِعْفٌ﴾ بتضليل الأولى وتقليد الأخرى ﴿ ولكِنْ لا تَعْلَمُونَ﴾ ما لكل بالتاء والياء ﴿ وقالَتْ أو لاهُمْ لأُخْراهُمْ﴾ مخاطبين لهم ﴿ فَما كانَ لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ﴾ تفأو ت في الكفر حتى تطلبوا من اللّه أن يزيد في عذابنا وينقص من عذابكم ﴿ فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ من الكفر بإختياركم لا باختيارنا لكم، القمي: قال شماتة بهم ﴿ إن الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْها﴾ تكبروا عن قبولها ﴿ لا تُفَتَّحُ﴾ بالتاء والتشديد كما قال تعالى مفتحة ﴿ لَهُمْ﴾ الأبواب وبها وبالياء والتخفيف، كما قال: ففتحنا ﴿ أبوابُ السَّماءِ﴾ لهم، أي: لأدعيتهم وأعمالهم ولنزول البركة عليهم،

ولصعود أرواحهم إذا ماتوا، وعن الباقر (ع): أما المؤمنون فترفع أعمالهم وأرواحهم إلى السّماء فتفتح لهم أبوابها، وأما الكافر فيصعد بعمله وروحه حتى إذا بلغ إلى السّماء نادى مناد: اهبطوا به إلى سجّين، وهوواد بحضرموت يقال له: (برهوت) ﴿ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِياطِ﴾ في ثقب الابرة كناية عن المُحال، إذ الجمل لا يلج إلا في باب واسع﴿ وَكَذلِكَ ﴾ مثل ما جزينا هؤلاء ذاك الجزاء الفظيع﴿ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ المكذبين بآيات الله﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهادٌ﴾ فراش﴿ ومِنْ فَوْقِهِمْ غَواشٍ﴾ أغطية، حذفت ياؤه لإلتقاء الساكنين أي: النار محيطة بهم من أعلى وأسفل﴿ وكَذلكِ﴾ عن الصادق(ع): نزلت هذه الآية في طلحة والزبير، والجمل جملهم ﴿ والَّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إلاّ وُسْعَها﴾ منهم، والوسع دون الطاقة﴿ أولئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيها خالِدُونَ ونَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ حقد وحسد وعدأو ة في الجنة، حتى لا يحسد الأدنى درجة الأعلى، وعن الباقر (ع): العدأو ة تنزع منهم أي: من المؤمنين في الجنة ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ﴾ تحت أبنيتهم وأشجارهم ﴿الأنهارُ ﴾ أي: ماؤها حال، أو إستيناف﴿ وقالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لِهذا﴾ العمل الذي استوجبنا به هذا الثواب، ولثبوت الإيمان في قلوبنا، أو لنزع الغل من صدورنا﴿ وما كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَولا أن هَدانا اللَّهُ﴾ وعن الصادق (ع): إذا كان يوم القيامة دعا بالنبي (ص) وبأمير المؤمنين وبالأئمة من ولده، فينصبون للناس، فإذا رأتهم شيعتهم قالوا الحمد لله... الآية، يعني: هدانا الله في ولاية أمير المؤمنين والأئمة من ولده﴿ لَقَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ﴾ فاهتدينا بإرشادهم﴿ ونُودُوا أن ﴾ مخففة، أو مفسرة﴿ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوها بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ عن النبي (ص): ما من أحد إلاّ وله منزلة في الجنة ومنزلة في النار:

فأما الكافر فيرث المؤمن منزله من النار، والمؤمن يرث الكافرمنزله من الجنة، فذلك قول الله: أو رثتموها الآية.

[سورة الأعراف الآيات ٤٤ - ٥١]

وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ

أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾

﴿ وَنادى﴾ وضع الماضي موضع المستقبل لأنّه كائن لا محالة﴿ أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ إن قَدْ وَجَدْنا ما وَعَدَنا رَبُّنا﴾ من الثواب في كتبه وعلى ألسنة رسله﴿ حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّكُمْ من﴾ العقاب ﴿ حَقّاً﴾ شماتة بهم، وإنما لم يقل: (ما وعدكم) كما قال: (ما وعدنا) لأنّ ما ساءهم من الموعود لم يكن بأسره مخصوصاً وعده بهم كالبعث والحساب ونعيم الجنة لأهلها﴿ قالُوا نَعَمْ﴾ بكسر العين وبفتحها في كل القرآن لغتان أي: قال أهل النار: وجدنا ما وعدنا حقاً﴿ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ فنادى مناد﴿ بَيْنَهُمْ﴾ أسمع الفريقين﴿ أن﴾ بالتشديد﴿ لَعْنَةُ اللَّه عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ وبالتخفيف وبالرفع أي: غضبه على الكافرين﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّه ﴾ عن الطريق الذي يؤدي إلى رضاه والجنة، أو يصرفون غيرهم عن دينه﴿ وَيَبْغُونَها عِوَجاً﴾ زيفاً وميلاً عمّا هوعليه، بأن يصلّوا لغير اللّه ويعظموا ما لم يعظمه اللّه﴿ وهُمْ بِالآخِرَةِ كافِرُونَ﴾ عن علي (ع): أنا ذلك المؤذن﴿ وبَيْنَهُما حِجابٌ﴾ أي: بين أهل النار، لقوله (فضرب بينهم بسور)، أو بين الجنة والنار ليمتنع وصول أحدهما إلى الاخرى﴿ وعَلَى الأَعْرافِ﴾ هوذلك السور، أو أعاليه، أو الصّراط، أو أعاليه، جمع (عرف) مستعار من (عرف الفرس والديك)﴿ رِجالٌ يَعْرِفُونَ ﴾ بالإلهام وتعلم

الملائكة ﴿كُلاًّ﴾ من أهل الجنة والنّار﴿ بِسِيماهُمْ﴾ بعلامتهم التي أعلمهم اللّه بها كبياض الوجه وسواده، عن الصادق (ع): الأعراف: كثبأن بين الجنة والنار، والرجال: الأئمة، وعن علي (ع): نحن على الأعراف نعرف أنصارنا بسيماهم، ونحن الأعراف الذين لا يعرف اللّه إلا بسبيل معرفتنا، ونحن الأعراف يوقفنا اللّه يوم القيامة على الصّراط فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه ولا يدخل النار الا من أنكرنأو أنكرناه، وروي: أن أهل الأعراف قوم إستوت حسناتهم وسيئاتهم فإن ادخلوا الجنة فبرحمته وإن عذبهم لم يظلمهم﴿ ونادَوْا﴾ أي: سكنة الأعراف ﴿ أَصْحابَ الْجَنَّةِ أن سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾ سلام تهنئة وسرور﴿ لَمْ يَدْخُلُوها﴾ أي: الجنة ﴿ وهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ أن يدخلهم اللّه فيها برحمته، أو بشفاعة النبي والإمام﴿ وإِذا صُرِفَتْ أَبْصارُهُمْ﴾ أبصار سكنة الأعراف﴿ تِلْقاءَ أَصْحابِ النَّارِ﴾ وإنما قال: (صرفت) لأنّ نظرهم نظر عدأو ة فلا ينظرون الا إذا صرفت وجوههم إليهم قالوا: (نعوذ بالله) ﴿ رَبَّنا لا تَجْعَلْنا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: في النار وفي قراءة الصادق (ع): قالوا: ربنا عائذين بك أن تجعلنا مع القوم الظالمين﴿ وَنادى أَصْحابُ الْأَعْرافِ﴾ أي: سينادي الأنبياء والخلفاء﴿رِجالاً﴾ من أهل النّار﴿ يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيماهُمْ﴾ بصفاتهم، أو بعلاماتهم، أو بصورهم﴿ قالُوا ما أَغْنى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ الأموال في الدنيا وإكثاركم منها﴿ وما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: واستكباركم على الخلق وعبادة اللّه في الدنيا﴿ أَهؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾ حلفتم﴿ لا يَنالُهُمُ اللَّهُ﴾ لا يصيبهم﴿ بِرَحْمَةٍ﴾ وخير مشيرين إلى أتباعهم الذين كانوا معهم على الأعراف، وكانت الكفار في الدنيا يحتقرونهم، ويحلفون ان اللّه لا يدخلهم الجنة﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ أي: فالتفتوا إلى أصحابهم المذكورين وقالوا عن أمر اللّه: أدخلوا الجنة﴿ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ ولا أنتم

تَحْزَنُونَ﴾ عن الصادق (ع): الأعراف كثبأن بين الجنة والنار يوقف عليها كل نبي وكل خليفة نبي مع المذنبين من أهل زمانه كما يوقف صاحب الجيش مع الضعفاء من جنده، ثم ساق مضمون ما مرّ﴿ ونادى﴾ وسينادي﴿ أَصْحابُ النَّارِ أَصْحابَ الْجَنَّة أن أَفيضُوا عَلَيْنا مِنَ الْماءِ﴾ نسكّن به العطش، وندفع به حرّ النّار﴿ أو مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من الأطعمة والفواكه﴿ قالُوا إن اللَّهَ حَرَّمَهُما عَلَى الْكافِرِينَ الَّذينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً ولَعِباً﴾ فحرّموا ما شاءوا وحللوا ما شاءوا و(اللهو) طلب الهم بما لا يحسن أن يطلب به، و(اللعب) طلب المدح بما لا يحسن أن يطلب به﴿ وغَرَّتْهُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا﴾ وفي وضع الظاهر موضع المضمر إشارة إلى العلّة وتصريح بكفرهم﴿ فَالْيَوْمَ نَنْساهُمْ كَما نَسُوا لِقاءَ يَوْمِهِمْ هذا ﴾ نعاملهم مثل معاملتهم، وعن الرضا (ع): نتركهم كما تركوا الإستعداد للقاء يومهم هذا وعن علي (ع): لم يثبهم كما يثيب أو لياءه﴿ وما كانوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ﴾ عطف على ما نسوا و(ما) في الموضعين مصدرية أي: كنسيانهم وكونهم جاحدين بآياتنا.

[سورة الأعراف الآيات ٥٢ - ٥٧]

وَلَقَدْ جِئْنَـٰهُم بِكِتَـٰبٍ فَصَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ

عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

﴿ ولَقَدْ جِئْناهُمْ بِكِتابٍ﴾ هو القرآن ﴿ فَصَّلْناهُ﴾ بيّنا معانيه ﴿ عَلى عِلْمٍ﴾ عالمين بوجه تفصيله ﴿ هُدىً ورَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ مصدران في محل الحال من الهاء، وخص المؤمنين لأنهم المنتفعون ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون ﴿ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ﴾ إلا عاقبة الجزاء عليه وما يؤول معه أمورهم إليه، أو إلا ما وعدوا به من البعث والنشر والحساب والعقاب ﴿ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ القمي: ذلك في قيام القائم ويوم

القيامة﴿ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ﴾ تركوا العمل به ترك الناسي له﴿ قَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ﴾ تبين ذلك﴿ فَهَلْ لَنا مِنْ شُفَعاءَ فَيَشْفَعُوا لَنا﴾ اليوم﴿ أَو نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا﴿ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ من الشرك والمعصية﴿ قَدْ خَسِرُوا أنفسهُمْ﴾ أهلكوها بالعذاب بصرف أعمارهم في الكفر﴿ وضَلَّ﴾ وبطل﴿ عَنْهُمْ ما كانوا يَفْتَرُونَ﴾ على الأصنام بأنها آلهتهم تشفع لهم﴿ إن رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ والأَرْضَ فِي سِتَّةِ أيامٍ﴾ من أيام الدنيا مبتدءاً بالأحد خاتماً بالجمعة، أو في مقدار ستة أيام إذ خلقها قبل الأيام الناشئ مع طلوع الشمس ولا شمس ثمة، وعن علي (ع): لوشاء أن يخلقها في أقل من لمح البصر لخلق ولكنه جعل الأناءة والمداراة منالاً لأمنائه وايجاباً للحجة على خلقه، وفي رواية: ليظهر على الملائكة ما يخلقه منها شيئاً بعد شيء، فيستدل بحدوث ما يحدث على الله مرّة بعد مرّة﴿ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ﴾ إستوى أمره على الملك وظهر، فإن المتعارف في كلام العرب من قولهم (استوى الملك على عرشه إذا أنتضمت امور مملكته، وإذا اختلّت قيل له: (ثل عرشه) وعن على (ع): استوى تدبيره على أمره، وعن الكاظم (ع): استولى على ما جلّ ودقّ، وفي آخر: استوى على كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء﴿ يُغْشِي﴾ بالتشديد وبالتخفيف كقوله: (فغشاها ما غشى) وقوله: (فأغشيناهم فهم لا يبصرون) ﴿ اللَّيلَ النَّهارَ﴾ أي: يغطيه بأن يأتي بأحدهما بعد الآخر فيجعل ظلمة الليل بمنزلة الغشاوة للنهار، ولم يقل: ويغشى النهار الليل، للعلم به كما قال: سرابيل تقيكم الحر أي: والبرد﴿ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً﴾ حال من الفاعل، أو المفعول به، أي: حاثاً، أو محثوثاً أي: يتلوه فيدركه سريعاً﴿ والشَّمْسَ والْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّراتٍ﴾ بالنصب في الأول عطفاً على (السموات) وفي الأخير على الحال منها أي: حال كونها مذلّلات

جاريات إلى مجاريها بتدبيره وبالرفع في الكل على الإبتداء والخبرية﴿ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبارَكَ اللَّهُ﴾ تعالى بالوحدانية في إلهيته وتعظم بالفردانية في ربوبيته ﴿ رَبُّ الْعالَمِينَ﴾ مالكهم وخالقهم﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً﴾ تخشعاً﴿ وَخُفْيَةً﴾ بضم الخاء وبكسرها لغتان مصدران حال أي: متضرعين ومختفين، وروي: التضرع رفع الصوت أي: ادعوه علانية وسراً﴿ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ المجاوز زين ما أمروا به في الدعاء وغيره﴿ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ﴾ بالكفر والمعاصي﴿ بَعْدَ إِصْلاحِها﴾ أن أصلحها الله بالكتب والأنبياء، أو بعد أن أمر الله بالإصلاح فيها بإتباع شرائعه، أو لا تفسدوها بالظلم بعد إصلاحها بالعدل، وعن الباقر (ع): ان الأرض كانت فاسدة فأصلحها الله بنبيّه، والقمي: أصلحها الله برسول الله وأمير المؤمنين (ع) فأفسدوها حين تركوا أمير المؤمنين (ع) وذريته﴿ وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ حال أي: خائفين من عقابه، أو عدله، أو من الرّد، أو من النيران، وطامعين في ثوابه، أو فضله، أو في الاجابة، أو في الجنان﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ إنعامه، أو ثوابه﴿ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ولم يقل: (قريبة) لأنّ المراد بالرّحمة: العفو، أو المطر، أو صفة محذوف أي: أمر قريب، أو لأنّ المؤنث غير حقيقي، وفي النبوي: من يخاف ساحراً أو شيطاناً فليقرأ ان ربكم الله... الآية﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ﴾ وقرئ (الريح) ﴿ بُشْراً ﴾ ـ بضم النون والشين ـ جمع (نشور) بمعنى: فاعل، أو مفعول، وبفتح النون وسكون الشين ـ والمصدر حال من (الريح) أي: يجري الرياح منتشرة والنشر: خلاف الطي، أو متفرقة في الأرض، أو محيية للأرض، وبالباء المضمومة مخففة جمع (بشير) أي: مبشرة بالغيث والرحمة من قوله (ويرسل الرياح مبشرات)﴿ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ قدامها أي: المطر فان (الصّبا) تثير السحاب، و(الشمال) تجمع،

و(الجنوب) تجلب، و(الدّبور) تفرقه﴿ حَتَّى إِذا أَقَلَّتْ﴾ حملت ورفعت﴿ سَحاباً ثِقالاً﴾ بالماء﴿ سُقْناهُ﴾ أفرد الضمير بإعتبار اللفظ ووصفه بالجمع بإعتبار المعنى ﴿ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ لا نبات فيه ولا زرع﴿ فَأَنزلنا بِهِ﴾ بالبلد، أو السحاب﴿ الْماءَ فَأَخْرَجْنا بِهِ﴾ بالماء، أو بالسحاب، أو بالريح، أو بالبلد﴿ مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ﴾ من كل أنواعها، و(من) للتبيين، أو التبعيض﴿كَذلِكَ﴾ الإخراج للثمرات ﴿ نُخْرِجُ الْمَوْتى﴾ من أجداثهم بعد إحيائهم ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ لكي تتفكروا فتعلموا أن القادر على إنشاء ما ذكر قادر على الإعادة.

[سورة الأعراف الآيات ٥٨ - ٦٧]

وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ

فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾

﴿ والبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ أرضه﴿ يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّه﴾ بأمره وتيسيره خروجاً حسناً، وفي قوله: (باذن ربه) ردّ على القائلين بالطبيعة﴿ والَّذي خَبُثَ﴾ ترابه كالحرّة[1] والسبخة[2]،﴿ لا يَخرُجُ﴾ زرعه﴿ إلاّ نَكِداً﴾ شيئاً قليلاً عديم النفع ﴿ كَذلكَ﴾ البيان﴿ نُصَرِّفُ الآياتِ﴾ نردد الدلالات ونكّررها﴿ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ نعمه، القمي: هو مثل للأئمة يخرج علمهم بإذن ربهم ولأعدائهم لا يخرج إلا كدراً فاسداً، وروي: إن ابن العاص قال للحسين (ع): ما بال لحاكم أوفر من لحانا؟ فقرأ (ع) هذه الآية﴿ لَقَدْ أرْسَلْنا﴾ (اللام) للقسم و(قد) للتأكيد﴿ نُوحاً﴾ بن ملك بن متوشلح بن إدريس، روي: سمي (نوحاً) لأنه كان ينوح على نفسه﴿ إلى قَوْمِهِ فَقالَ يا قَوْمِ

---

(١) الحرة: الأرض ذات الحجارة ال

سوداء كأنها أحرقت.

(٢) السبخة: الأرض ذات ملح ونز لا تكاد تنبت.

اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده﴿ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ إني أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يوم القيامة، أو يوم الطوفان وإنما لم يقطع لأنّه جوّز أن يؤمنوا﴿ قالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾ أي: الأشراف الذين يملؤون الأعين هيبةً وجمالاً﴿ إنا لَنَراكَ﴾ بأبصارنا، أو لنعرفك بقلوبنا، أو لنظنك﴿ فِي ضَلالٍ﴾ متمكناً في ذهاب من الحق ﴿ مُبِينٍ﴾ ظاهر، لدعائك إيانا إلى ترك عبادة الأصنام﴿ قالَ يا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ﴾ شيء من الضلال، بالغ في النفي كما بالغوا في الإثبات﴿ ولكِنِّي﴾ بحذف النون لإجتماع النونات﴿ رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾ إبتدأني بالرسالة﴿ أُبَلِّغُكُمْ﴾ - بتخفيف اللام وبالتشديد - أي: أؤدي إليكم ﴿ رِسالاتِ رَبِّي﴾ ما حملني من رسالاته في الأوقات المتطاول له وفي المعاني المختلفة ﴿ وأَنصَحُ لَكُمْ﴾ في تبليغ الرسالة على وجهها من غير تغيير وفي زيادة (اللام) دلالة على إمحاض النصيحة﴿ وأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ﴾ من شدة بطنته، أو من جهته ﴿ ما لا تَعْلَمُونَ﴾ أشياء لا تعلمونها﴿أو عَجِبْتُمْ﴾ (الهمزة) للأنكار و(الواو) عطف على محذوف أي: أكذبتم وعجبتم﴿ أَنْ﴾ من أن﴿ جاءَكُمْ ذِكْرٌ﴾ بيان، أو نبوّة، أو موعظة﴿ مِنْ رَبِّكُمْ عَلى رَجُلٍ مِنْكُمْ﴾ على لسان بشر مثلكم، وتعجبوا من إرسال البشر لأنّه لم يرسل قبل نوح أحد﴿ لِيُنْذِرَكُمْ﴾ ليخوّفكم عاقبة كفركم ومعاصيكم﴿ ولِتَتَّقُوا﴾ الشرك والمعاصي بسبب الأنذار ﴿ ولَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ولكي ترحموا بالتقوى﴿ فَكَذَّبُوهُ﴾ فيما دعاهم إليه ﴿ فَأَنجَيْناهُ والَّذِينَ مَعَهُ﴾ ممن آمن به﴿ فِي الْفُلْكِ ﴾ من الغرق﴿ وأَغْرَقْنا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا﴾ بالطوفان ﴿ إنهُمْ كانوا قَوْماً عَمِينَ﴾ عن الحق بقلوبهم، وأصله (عمين) يقال: رجل عم أي: أعمى القلب، و(أعمى) أي: أعمى البصر﴿ وإلى عادٍ أَخاهُمْ﴾ منصوب بـ(أرسلنا) ﴿ هُوداً ﴾ ويعني بـ(الأخ): الواحد منهم في النسب لا

في الدين، كما يقال: يا أخا العرب للواحد منهم، وعن السّجاد (ع): كانوا إخوانهم في عشيرتهم وليسوا إخوانهم في دينهم، وفي وصفه بذلك إبلاغ للحجة إذ هومن قبلهم ليكونوا ي إليه أسكن﴿ قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ عذابه﴿ قالَ الْمَلأُ الَّذينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِه إنا لَنَراكَ في سَفاهَةٍ﴾ سفيهاً، وجيء بـ(في) للمبالغة أي: منغمساً فيها﴿ وإنا لَنَظُنُّكَ ﴾ أي: نعلمك﴿ مِنَ الْكاذِبينَ قالَ يا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفاهَةٌ وَلكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمينَ﴾ قابلهم بأحسن كلام.

[سورة الأعراف الآيات ٦٨ - ٧٣]

أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ أَمِينٌ نَاصِحٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ

وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٣﴾

﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي﴾ أتى بصيغة الجمع لتضمنها أشياء كثيرة: من الأمر والنهي والترغيب والترهيب والوعد والوعيد ونحوها، ولفظ الواحد يدل عليها اجمالاً ﴿ وإنا لَكُمْ ناصِحٌ﴾ فيما أدعوكم اليه﴿ أمينٌ﴾ ثقة مأمون في أداء الرسالة ﴿ أو عَجِبْتُمْ إن جاءَكُمْ ذِكْرٌ﴾ لا عجب في إن جاءكم معجز﴿ مِنْ رَبِّكُمْ عَلى رَجُلٍ﴾ معجز﴿ مِنْ رَبِّكُمْ عَلى رَجُلٍ مِنْكُمْ﴾ في النسب﴿ لِيُنْذِرَكُمْ﴾ ليخوّفكم﴿ واذْكُرُوا﴾ نعمة الله عليكم﴿ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ﴾ في الأرض تسكنونها﴿ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ وهلاكهم بالعصيان، نقل: أن عاد بن شدّاد مَلَكَ معمورة الأرض من رمل عالج إلى جذعان﴿ وزادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً﴾ طولاً وقوّة، قيل: كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعاً، وعن الباقر (ع): كانوا كالنخل الطوال وكان الرجل منهم ينحوالجبل بيده فيهدم منه قطعة﴿ فَاذْكُرُوا آلاءَ اللّهِ﴾ نعمه بشكرها﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ لكي تفوزوا بنعيم الدينا والآخرة، وعن الصادق (ع): آلاء الله أعظم نعمه على خلقه وهي ولايتنا﴿ قالُوا أَجِئْتَنا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ ما كانَ يَعْبُدُ

آباؤنا﴾ وفي هذا الإستبعاد إنهماك في التقليد﴿ فأتنا بما تعدنا﴾ من العذاب ﴿ إن كنت من الصادقين﴾ فيما تدعيه﴿ قال﴾ هود ﴿ قد وقع عليكم﴾ لا محالة، أخبر بالماضي لتحققه﴿ من ربكم رجس﴾ عذاب، من (الارتجاس) وهو: الإضطراب، وقيل الرجز: قلبت زاؤه سيناً﴿ وغضب﴾ إرادة أنتقام ﴿ أ تجادلونني في أسماء سميتموها﴾ أ تخاصمونني في أصنام صنعتموها﴿ أنتم وآباؤكم﴾ واخترعتم لها أسماء سميتموها (الهة) وما فيها من معنى الآلهة شيء﴿ ما نزل الله بها من سلطان﴾ من حجة لأنّ المستحق للعبادة بالذات الموجد للكل، فلواستحقت العبادة لكان بآية، وليس فليس﴿ فأنتظروا ﴾ نزول العذاب﴿ إني معكم من المنتظرين﴾ نزوله، عن الرضا (ع): ما أحسن الصبر وأنتظار الفرج أما سمعت العبد الصالح يقول أنتظروا... إلخ﴿ فأنجيناه والذين معه﴾ في الدين من العذاب﴿ برحمة منا﴾ عليهم﴿ وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا﴾ استأصلناهم فلم يبق لهم نسل ولا ذرّية﴿ وما كانوا مؤمنين﴾ أي: عُلِمَ من حالهم أنه لولم يهلكهم ما آمنوا، عن الباقر (ع): ان لله بيت ريحٍ مقفل عليه ولوفتحت لأذرت ما بين السماء والأرض ما أرسل على قوم عاد الأ قدر الخاتم﴿ وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً ﴾ هم قبيلة من العرب سمّوا بإسم أبيهم الأكبر (ثمود) بن عاد بن إرم بن سام بن نوح، وعنه (ع): إما صالح فإنه أرسل إلى ثمود وهم قرية واحدة لا تكمل أربعين بيتاً على ساحل البحر صغيرة﴿ قال يا قوم اعبدوا الله﴾ وحده﴿ ما لكم من إله غيره﴾ فتعبدوه ﴿ قد جاءتكم بينة ﴾ معجزة﴿ من ربكم﴾ واضحة الدلالة على صدقي وصحة نبوتي﴿ هذه ناقة الله﴾ أضافها إليه تعظيماً لأنه خلقها بلا واسطة، ولا مالك لها غيره ﴿ لكم آية ﴾ حال عاملها ما في الإشارة من معنى الفعل﴿ فذروها﴾ اتركوها﴿ تأكل﴾

في محل الحال أي: آكلة ﴿فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾ العشب ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾ نهى عن مقدمة العقر[1] والنحر للمبالغة في النهي عنهما ﴿فَيَأْخُذَكُمْ﴾ جواب إلهي أي: فينالكم ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[سورة الأعراف الآيات ٧٤ - ٨١]

وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ

---

(١) العقر: قطع إحدى قوائم البعير ليسقط ويتمكن من ذبحه.

وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

﴿ وَاذْكُرُوا﴾ نعم الله عليكم﴿ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ عادٍ﴾ وأورثكم أرضهم وملكهم﴿ وبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ﴾ جعل لكم فيها مساكن تأوون إليها ﴿ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِها﴾ وهو ما لا مشقة فيه ﴿ قُصُوراً﴾ أي: تبنون فيها الدّور ﴿ وتَنْحِتُونَ الْجِبالَ﴾ وهي خلاف السهول﴿ بُيُوتاً﴾ تسكنونها في الشتاء، وهي حال مقدّرة، روي أنهم لطول أعمارهم كانوا يحتاجون إلى أن ينحتوا في الجبال بيوتاً لأنّ السقوف والأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم ﴿ فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ﴾ نعمه عليكم بما أعطاكم من القوّة، وطول العمر، والتمكن في الأرض﴿ ولا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ لا تبالغوا في الفساد﴿ قالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ وجحدوا الحق أنفة من إتباعه﴿ مِنْ قَوْمِه لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾ من المؤمنين﴿ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾ بدل بعض من كل، وأعيد الجار لئلا يظن بهم إنهم غير مؤمنين﴿ أَ تَعْلَمُونَ أَنَّ صالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّه﴾ قالوه استهزاءً﴿ قالُوا إِنَّا بِما أُرْسِلَ بِه مُؤْمِنُونَ﴾ مصدّقون ﴿ قالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ لهم﴿ إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِه كافِرُونَ﴾ جاحدون﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ نحروها، وعبّر به عن النحر لأنّ ناحر البعير يعقره ثم ينحره، وأسند العقر إليهم ـ والعاقر أحدهم ـ للملابسة ورضى الباقين به ﴿ وعَتَوْا﴾ تجاوزوا الحدّ في

الفساد والمعصية﴿ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ بقوله: (فذروها تأكل في أرض اللّه)﴿ وقالُوا يا صالِحُ ائْتِنا بِما تَعِدُنا﴾ من العذاب على قتل النّاقة﴿ إن كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة، أو الصيحة، القمي: فبعث اللّه صيحة وزلزلة فهلكوا﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دارِهِمْ ﴾ بلادهم، أو دورهم﴿ جاثِمينَ﴾ خامدين لا حراك بهم، وقيل: كالرماد الجاثم لأنّهم احترقوا بالصاعقة﴿ فَتَوَلَّى﴾ فأعرض﴿ عَنْهُمْ﴾ صالح﴿ وقالَ يا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ولكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾ ومن أحب ناصحاً قبله؟، قيل: والظاهر ان الخطاب بعد هلاكهم، كما خاطب رسول اللّه (ص) أهل بدر﴿ ولُوطاً﴾ وأرسلنا لوطاً﴿ إِذْ قالَ لِقَوْمِه﴾ أو اذكر لوطاً وهوأو ل من آمن بإبراهيم، قيل: هوابن هارون بن تارخ بن أخي إبراهيم الخليل، وقيل: ابن خالته وكأنت سارة أخت لوط، وعن الصادق (ع): إن أم إبراهيم وأم لوط كأنتا أختين وهما إبنتان للاحج وكان نبياً منذراً، وعن الباقر (ع): كان لوط بن خالة إبراهيم، وكأنت سارة أخت لوط، وكان لوط وإبراهيم نبيين منذرين﴿ أَ تَأْتُونَ الْفاحِشَةَ﴾ توبيخ عظيم على إتيان الرّجال﴿ ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعالَمِينَ﴾ عن علي (ع): أن أو ل من عمل عمل قوم لوط إبليس فإنه أمكن من نفسه﴿ إنكُمْ﴾ بهمزتين وواحدة على الإستفهام والإخبار﴿ لَتَأْتُونَ الرِّجالَ﴾ تغشوهم ﴿ شَهْوَةً﴾ مصدر في محل الحال﴿ مِنْ دُونِ النِّساءِ﴾ اللاتي أباح اللّه إتيانهن﴿ بَلْ أنتم قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ تجاوزتم الحد في الفساد.

[سورة الأعراف الآيات ٨٢ - ٨٧]

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾

﴿ وما كان جَوابَ قَوْمِهِ إلاَّ أن قالُوا أخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إنهُمْ أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ من الفواحش والخبائث، قابلوا الوعظ والنصيحة بالسفاهة، فأمروا بإخراج لوط ومن آمن به لتنزههم عن ذلك﴿ فَأنجَيْناهُ وَأهلَهُ﴾ المختصين به من الهلاك﴿ إلاَّ امْرَأتَهُ كانت مِنَ الْغابِرِينَ﴾ لم يقل: (الغابرات) لأنّها ممن بقيت مع الرّجال المتخلفين عن لوط الذين غبروا في ديارهم أي: بقوا فيها﴿ وأمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً﴾ عجيباً، كما قال: (وأمطرنا عليهم حجارة من سجّيل)[1]﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كان عاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ المتمردين﴿ وَ﴾ أرسلنا ﴿ إلى مَدْيَنَ أخاهُمْ شُعَيْباً﴾ بن مكيل بن يشخب بن مدين بن إبراهيم وأم مكيل بنت لوط، روي: أنه بُعثَ لأمتين: أصحاب مدين وأصحاب الأيكة، فأهلكت مدين بصيحة جبرائيل، وأصحاب الأيكة بعذاب يوم الظلة ﴿ قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّهَ﴾ وحده﴿ ما لَكُمْ مِنْ إله غَيْرُهُ قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ ﴾ شاهدة بصدقي﴿ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَو فُوا الْكَيْلَ والْمِيزان ولا تَبْخَسُوا النَّاسَ أشْياءَهُمْ﴾ ولا تنقصوهم حقوقهم، جيء بالأشياء للتعميم﴿ ولا تُفْسِدُوا في الأرْضِ﴾ بالحيف، والمعاصي﴿ بَعْدَ إصْلاحِها﴾ مرّ تفسيره﴿ ذلِكُمْ﴾ الذي أمرتم به ونهيتم عنه ﴿ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أعود عليكم، لأنّه إذا عرفتم بالنصفة والأمانة رغب الناس في متاجرتكم﴿ إن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بي، وإنما علّق الخير به على الإيمان لأنّ من لم يكن مؤمناً بالله وبالنبي لا يعلم أن ذلك خيرٌ له، فكأنه قال: كونوا مؤمنين لتعلموا إن ذلك خير لكم، والمراد: لا ينفعكم إيفاء الكيل والوزن إلا بعد أن تكونوا مؤمنين ﴿ ولا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِراطٍ تُوعِدُونَ﴾ قيل: كانوا يقعدون على طريق من قصد شعيباً

---

(١) سورة الحجر الآية ٧٤.

ليؤمن به فيخيفونه بالقتل، أو المراد: طريق الدّين﴿ وتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّه مَنْ آمَنَ بِه﴾ وتمنعون عن دينه من أراد أن يؤمن به﴿ وتَبْغُونَها﴾ أي: السبيل﴿ عِوَجاً﴾ عن الحق أي: تطلبون لها العوج بإيراد الشُبَه لتصدّوهم عن سلوكها﴿ واذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً ﴾ عدداً، أو عدداً بالنسل والمال﴿ فَكَثَّرَكُمْ﴾ وأغناكم، قيل: ان مدين بن إبراهيم الخليل تزوج بنت لوط، فولدت له حتى كثر أولادها﴿ وانظُرُوا كَيْفَ كان عاقِبَةُ الْمُفْسدِينَ﴾ قبلكم من قوم نوح وعاد وثمود وهود وقوم لوط وصالح﴿ وَإِن كان طائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا﴾ صدّقوا﴿ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا﴾ خطاب للطائفتين﴿ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنا﴾ بين الفريقين فينصر المحقّ على المبطل، وفيه وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين ﴿ وهُو خَيْرُ الحاكِمينَ﴾ لا يجور ولا يحيف وهووعد ووعيد أيضاً.

[سورة الأعراف الآيات ٨٨ - ٩٥]

قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ

ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَانُواْ هُمُ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩٥﴾

﴿ قالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخرِجَنَّكَ يا شُعَيْبُ والَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنا﴾ التي هي وطنك﴿ أو لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنا﴾ لعلهم كانوا يعتقدونه انه كان على دينهم، أو المراد الصيرورة والدخول، أو أن الخطاب على التغليب إذ من آمن معه كان كذلك﴿ قال﴾ شعيب﴿ أو لَوْ﴾ أي: تعيدونا في ملتكم ولو ﴿كُنَّا كارِهِينَ﴾ الدخول فيها﴿ قَدِ افْتَرَيْنا عَلَى اللَّهِ كَذِباً ﴾ فيما دعوناكم اليه﴿ إن عُدْنا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانا اللَّهُ مِنْها﴾ بالبراهين على بطلانه ووضوح الحق﴿ وما يَكُونُ﴾ وما يصح ﴿ أَن نَعُودَ فِيها إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللَّهُ رَبُّنا﴾ في تفسير المشيئة بعد العلم بأنه تعالى لا يشاء عبادة الأصنام وجوه وأقوال: منها: إن في شريعتهم أشياء يجوز أن نتعبد بها أي: إلا

أن يشاء اللّه أن يتعبدنا بملتكم وينسخ شريعتنا ومنها: أنه علق ما لا يكون بما علم أنه لا يكون كما في: (لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سمّ الخياط) أي: كما لا يشاء عبادة الأصنام فكذا لا نعود في ملّتكم ومنها: أن المراد إلا أن يشاء اللّه خذلأننا ومنعنا الألطاف لعدم القابلية، أو إلا أن يشاء اللّه أن يمكنكم من إكراهنا، أو يخلّي بيننا وبينكم فنعود إلى إظهارها كارهين أو إلا أن يشاء مشيئة إلجاء ومنها: أن ضمير (فيها) يعود إلى القرية أي: سنخرج من قريتكم ولا نعود فيها إلا أن يشاء اللّه إنجاز الوعد بأن يظهرنا عليكم فنعود﴿ وَسِعَ رَبُّنا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ تمييز محوّل عن الفاعل، أي: وسع علمه كل شيء مما كان ويكون﴿ عَلَى اللّهِ تَوَكَّلْنا﴾ في جميع أمورنا ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ﴾ أي: أحكم ﴿ بَيْنَنا وبَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ﴾ أي: بيّن أننا على الحق وأنهم على الباطل﴿ وأنت خَيْرُ الْفاتحينَ وقالَ الْمَلأُ الَّذينَ كَفَرُوا﴾ جماعة الأشراف﴿ مِنْ قَوْمِه لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً﴾ في دينه﴿ إنكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ﴾ والجملة جواب القسم سادّة مسد جواب الشرط﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة﴿ فَأَصْبَحُوا في دارِهِمْ جاثِمينَ﴾ في مدينتهم خامدين ﴿ الَّذينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً﴾ مبتدأ خبره: ﴿ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ أي: استؤصلوا كأن لم يعيشوا فيها مستغنين، أو كان لم يعمروا فيها، أو كان لم يقيموا بها ﴿ الَّذينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً﴾ كرّره من غير كناية لتغليظ الأمر في تكذيبهم شعيباً وتسفيه رأيهم﴿ كانوا هُمُ الْخاسِرِينَ﴾ بالهلاك والإستئصال ديناً ودنياً﴿ فَتَوَلَّى﴾ فأعرض شعيب﴿ عَنْهُمْ﴾ لما آيس منهم وأقبل العذاب إليهم ﴿ وقالَ يا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي﴾ فيما أمرني﴿ وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ فلم تؤمنوا﴿ فَكَيْفَ آسى﴾ أحزن، من (آسا يأسى أسى) من باب (تعب) والإستفهام بمعنى النفي﴿ عَلى قَوْمٍ كافِرِينَ﴾ ليسوا بأهل للحزن﴿ وما أَرْسَلْنا فِي قَرْيَةٍ مِنْ

نَبِيٍّ﴾ فلم يؤمنوا به بعد قيام الحجة﴿ إلاّ أخَذْنا أهلها بِالْبَأْساء﴾ من (البأس) و(البؤس)﴿ والضَّرّاء﴾ من (الضّر) وقيل: (البأساء) القحط والجوع، و(الضّراء): المرض ونقصان الأنفس والأموال وقيل: (البأساء): الشدة في أنفسهم، و(الضراء) ما نالهم في أموالهم﴿ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ بإدغام التاء في الضاد أي: لكي يتنبهوا ويعلموا أنه مقدمة العذاب ويتضرعوا ويتوبوا﴿ ثُمَّ بَدَّلْنا مَكان السَّيِّئَة﴾ البلاء والمحنة ﴿ الْحَسَنَةَ﴾ الرّخاء والعافية﴿ حَتَّى عَفَوا﴾ أي: تركوا حتى كثر عددهم وأموالهم، أو حتى أعرضوا عن الشكر﴿ وقالُوا قَدْ مَسَّ آباءَنَا الضَّرّاءُ والسَّرّاءُ﴾ كما هي عادة الدّهر فلم يتركوا ما هم عليه فكونوا كذلك﴿ فَأَخَذْناهُمْ بَغْتَةً ﴾ حال، أي: فجأة على غرّة﴿ وهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ بنزول العذاب إلا بعد حلوله.

[سورة الأعراف الآيات ٩٦ - ١٠٤]

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ

وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾

﴿ ولَوأن أهل القُرى آمَنُوا﴾ برسلنا﴿ واتَّقَوا﴾ الكفر والمعاصي﴿ لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ﴾ خيرات ناميات﴿ مِنَ السَّماءِ﴾ بأنزال المطر﴿ والأَرْضِ﴾ بإخراج النبات ﴿ ولكِنْ كَذَّبُوا﴾ رسلنا﴿ فَأَخَذْناهُمْ بِما كانوا يَكْسِبُونَ﴾ من المعاصي والمخالفة وتكذيب الرّسل فحبسنا السماء عنهم عقوبة على فعلهم﴿ أفَأَمِنَ أهل القُرى﴾ المكذبون لك يا محمد﴿ أن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا﴾ عذابنا﴿ بَياتاً﴾ وقت بيات﴿ وهُمْ نائِمُونَ أ وأَمِنَ﴾ بفتح الواو وبسكونها ـ على الترديد ـ﴿ أهل القُرى أن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا ضُحًى﴾ عند ارتفاع الشمس﴿ وهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ يشتغلون بما لا ينفعهم، وخص الوقتين لأنّه لا يجوز أن يأمنوا عذابه ليلاً ولا نهاراً﴿ أ فَأَمِنُوا مَكْرَ اللّهِ﴾ عذابه من حيث لا يشعرون، سمي العذاب (مكراً) لنزوله بهم من حيث لا يعلمون كالمكر،

القمي: المكر من الله: العذاب ﴿ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللّه إلاّ الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ ﴾ بترك النظر والإعتبار ﴿ أو لَمْ يَهْدِ ﴾ (الهمزة) للأنكار ﴿ لِلَّذينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أهلها ﴾ الذين أهلكهم الله بتكذيبهم الرسل هذا الشأن وهو: ﴿ أن لَوْنَشاءُ أَصَبْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ كما أصبنا من قبلهم، وأهلكناهم كما أهلكناهم، وعديت الهداية بـ(اللام) لأنّه بمعنى: التبيين ﴿ وَنَطْبَعُ عَلى قُلُوبِهِمْ ﴾ على الإستئناف لا أنه محمول على (أصبنا) وإلا لقال (وطبعنا) فيفضي إلى نفي الطبع عنهم، وقد مرّ تفسيره في البقرة ﴿ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ ﴾ الوعظ سماع تفهّم وقبول ﴿ تِلْكَ الْقُرى ﴾ التي مرّ ذكرها ﴿ نَقُصُّ عَلَيْكَ ﴾ يا محمد (ص) ﴿ مِنْ أنبائها ﴾ بعض أخبارها لتتفكر فيها وتخبر بها قومك ليعتبروا ﴿ ولَقَدْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ ﴾ أضيف الرّسل إليهم ـ مع أنهم رسل اللّه ـ لأنّهم ملكوا الأنتفاع بهم والاهتداء ﴿ بِالْبَيِّنات ﴾ بالمعجزات ﴿ فَماكانوا لِيُؤْمِنُوا ﴾ بعدأن جاءتهم الرسل بالمعجزات ﴿ بِما كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ ﴾ من قبل رؤيتهم تلك البينات ﴿ كَذلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلى قُلُوبِ الْكافِرِينَ ﴾ قيل: أنه تعالى شبّه الكفر بالصدأ لأنّه يذهب من القلوب بحلأو ة الإيمان ونور الإسلام كما يذهب الصدأ بنور السيف وصفاء المرآة ﴿ وما وَجَدْنا لأَكْثَرِهِمْ ﴾ لأكثر المهلكين ﴿ مِنْ عَهْدٍ ﴾ من وفاء عهد، كما يقال: فلأنٌ لا عهد له أي: لا وفاء له بالعهد فإن أكثرهم نقضوا عهد اللّه على ألسنة أنبيائه أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ﴿ وإن ﴾ مخففة ﴿ وَجَدْنا أَكْثَرَهُمْ لَفاسِقينَ ﴾ علمناهم خارجين عن الطاعة، لا يقال: كيف قال: (أكثرهم) وكلهم فسقة لكفرهم؟ لأنّ الكافر قد يكون عدلاً في دينه غير مرتكب لما يحرم في طريقه، وعن الكاظم (ع) أنها نزلت في الشكاك ﴿ ثُمَّ بَعَثْنا مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ بعد الرّسل الذي ذكرناهم ﴿ مُوسى بِآياتِنا إلى فِرْعَوْنَ ومَلَائِهِ ﴾ وأشراف قومه ﴿ فَظَلَمُوا ﴾ أنفسهم

﴿بِها﴾ بجحدها، أو بوضعها غير مواضعها، فأبدلوا الإيمان بالكفر ﴿فَانظُرْ كَيْفَ﴾ في محل النصب لأنه خبر (كان) أي: أنظر أيّ شيء ﴿كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي: ما آل اليه أمرهم من الهلاك ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ﴾ مبعوث ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إليك وإلى قومك.

[سورة الأعراف الآيات ١٠٥ - ١٢٠]

حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ

وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ﴿١١٦﴾ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾

﴿ حَقِيقٌ عَلى﴾ بتشديد الياء وتخفيفها﴿ أن لا أقُولَ عَلَى اللّهِ إلاَّ الْحَقّ﴾ مفعول (أقول) على غير حكاية اللفظ بل على الترجمة، والمعنى: على الأولى واجب عليّ قول الحق، وعلى الثانية كذلك إلا أنه قلب لأمن الإلتباس﴿ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ﴾ بحجة ومعجزة﴿ مِنْ رَبِّكُمْ فَأرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إسْرائِيلَ﴾ إلى الأرض المقدسة، وكان فرعون وقومه القبط إستعبدوهم، فأثقلوهم في الأعمال الشّاقة مثل: البناء ونقل الماء وحمل التراب﴿ قالَ إن كُنْتَ جِئْتَ بآيةٍ﴾ ممن أرسلك تشهد لك بما تقول، قيل: إن (إن) هنا لم تنقل الماضي إلى الإستقبال لقوّة (كان) لأنّها أم الأفعال، وقيل: المعنى: إن تكن جئت أي: أنّى يصح ذلك﴿ فَأْتِ بِها﴾ جواب الشرط، وجاز وقوع الأمر في جوابه لأنّ فيه معنى إن كنت جئت بآية فأنّى ألزمك أن تأتي بها﴿ إن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في الرسالة ﴿ فَألْقى عَصاهُ﴾ (الفاء) للجواب فكان جوابه لفرعون أن ألقى عصاه﴿ فَإذا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ﴾ ظاهرٌ أمره، وهو الحيّة العظيمة، ولا ينافي ذلك قوله: (فلما رأها تهتزّ كأنها جان)[1] و(الجان):

---

(١) سورة القصص الآية ٣١.

الحيّة الصغيرة إذ لعلها بصفة الجان في إبتداء النّبوة وثعباناً عند لقاء فرعون، أو أنها كالجان في نشاطها وسرعة حركتها، وكالثعبان في كبر خلقها وابتلاعها، وفي موضع آخر: (فإذا هي حيّة تسعى)[١] ويقال: كأنت العصا حيّة لموسى، وثعباناً لفرعون، وجاناً للسّحرة﴿ ونَزَعَ يَدَهُ﴾ من جيبه، أو من تحت إبطه﴿ فَإِذا هِيَ بَيْضاءُ﴾ لونها أبيض﴿ للنَّاظِرينَ﴾ لها شعاع يغلب على شعاع الشمس، وكان موسى شديد الأدمة[٢]﴿ قالَ الْمَلأُ﴾ جماعة الأشراف﴿ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ لفرعون، أو للأشراف قاله بعض لبعض على سبيل المشورة، أو لمن دونهم في الرتبة، وفي الشعراء: (قال للملأ حوله)[٣] ولعله قاله وقالوه، أو قالوا عنه﴿ إن هذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ﴾ بالسحر﴿ يُرِيدُ أن يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾ باستمالة بني إسرائيل إلى نفسه والتقوّي بهم ويخرجكم من بلدتكم﴿ فَماذا﴾ فأي: شيء﴿ تَأْمُرُونَ﴾ تشيرون﴿ قالُوا﴾ لفرعون﴿ أَرْجِهْ ﴾ بكسر الهاء بإشباع وبدونه بغير همز بعد الجيم، وبسكون الهاء بغير همز، وبضمها مهموزاً أي: أخّره﴿ وأَخاهُ﴾ هارون حتى ترى رأيك فيهما، روي: لم يكن في جلسائه يومئذٍ ولد سفاح، ولوكان لأمر بقتلهما قال (ع): وكذلك نحن لا يسرع إلينا إلاّ كلّ خبيث الولادة﴿ وأَرْسِلْ فِي الْمَدائِنِ﴾ التي حولك ﴿ حاشِرِينَ﴾ جامعين للسّحرة﴿ يَأْتُوكَ﴾ مجزوم في جواب الأمر والعامل محذوف أي: فإنك إن ترسل يأتوك﴿ بِكُلِّ ساحِرٍ عَلِيمٍ﴾ بالسحر ما هابه و(الباء) للتعدية والسحر: كلام أو رقية، أو عمل يؤثّر في بدن الإنسان، أو قلبه، أو عقله، وقيل:

---

(١) سورة طه الآية ٢٠.

(٢) أي: شديد السمرة.

(٣) سورة الشعراء الآية ٣٤.

لاحقيقة له ولكنه تخيّل، وفي الخبر: حلّ ولا تعقد﴿ وجاءَ السَّحَرَةُ﴾ وكانوا خمسة عشر ألف، أو أقل﴿ فِرْعَوْنَ قالُوا﴾ ولم يقل (فقالوا) إذ المعنى: لما جاءوا﴿ إن لَنا﴾ بهمزتين، أو واحدة على الإستفهام والخبر﴿لأَجْراً﴾ لعوضاً على عملنا، والتنكير للتعظيم﴿ إن كُنَّا نَحْنُ﴾ ضمير فصل، أو تأكيد﴿ الْغالِبينَ ﴾ لموسى (ع) ﴿ قالَ﴾ فرعون لهم: ﴿ نَعَمْ﴾ لكم الأجر﴿ وإنكُمْ﴾ مع الأجر﴿ لَمِنَ الْمُقَرَّبينَ﴾ فيه دلالة على عجز فرعون وحاجته﴿ قالُوا يا مُوسى إِمَّا أن تُلْقِيَ وإِمَّا أن نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ لعصينا وحبالنا، خيّروه مراعاة للأدب، وكان رغبتهم في أن يلقوا قبله، فنبّهوا عليه بتغيير النظم إلى ما هو أبلغ﴿ قالَ﴾ موسى:﴿ أَلْقُوا﴾ قلة مبالاة بهم وثقة بالتأييد الآلهي﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا﴾ حبالهم الغلاظ، وعصيّهم الطوال﴿ سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ بأن احتالوا في تحريكها بما جعلوا فيها من الزئبق حتى تحركت بحرارة الشمس، وغير ذلك من أنواع التمويه﴿ واسْتَرْهَبُوهُمْ ﴾ طلبوا رهبتهم وإخافتهم ﴿ وَجاؤُا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ روي: إنه خيّل للناس أنها تحركت كما تتحرك الحيّات العظام حتى ملأت الوادي وركب بعضها بعضاً﴿ وأَوْحَيْنا إلى مُوسى أن أَلْقِ عَصاكَ ﴾ أي: ألقها لأنّه تفسير ما أوحي إليه، أو بأن ألق عصاك﴿ فَإِذا هِيَ تَلْقَفُ ﴾ بتخفيف القاف وبتشديدها على حذف المطأو عة أي: تبتلع﴿ ما يَأْفِكُونَ﴾ أي: الذي حلّ فيه الإفك والكذب روي: أنها لمّا تلقفت حبالهم وعصيّهم، أو إبتلعتها بأسرها أقبلت على الحاضرين، فهربوا وازدحموا، حتى إذا هلك جمع عظيم، أخذها موسى فصارت عصى كما كأنت، فقالت السحرة: لوكان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصيّنا﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾ وثبت أمر موسى وصحة نبوته لظهوره﴿ وبَطَلَ ما كانوا يَعْمَلُونَ﴾ من السحر والمعارضة، و(ما) موصولة، أو مصدرية﴿ فَغُلِبُوا هُنالِكَ﴾ و(اللام) تدل على

بُعدِ المكان المشار اليه أي: قهر فرعون وقومه عند ذلك المجمع ﴿ وَانقَلَبُوا صاغِرِينَ ﴾ إنصرفوا أذلاَّء مقهورين ﴿ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ ساجِدِينَ ﴾ أتى بما لم يسم فاعله ليكون المعنى: ألقاهم ما رأوا من عظيم آيات الله ودعاهم إلى السجود قدرته الكاملة.

[سورة الأعراف الآيات ١٢١ - ١٣٠]

قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾

قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾

﴿ قالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعالَمِينَ رَبِّ مُوسى وَهارُونَ﴾ خصهما بالذكر بعد دخلوهما في (العالمين) لشرفهما، أو لئلا يتوهم إنهم أرادوا به فرعون﴿ قالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ﴾ بهمزتين، أو واحدة على الإستفهام والخبر﴿ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ في الإيمان به ﴿ إِنَّ هذا﴾ الصنع ﴿لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ﴾ وحيلة إحتلتموها أنتم وموسى﴿ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْها أَهْلَها﴾ يعني: القبط وتخلص لكم ولبني إسرائيل، أراد أن يوهم أن إيمان السحرة ليس عن علم﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمركم، وعيد مجمل تفصيله قوله:﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ﴾ أي: من كل شق طرفا﴿ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ تفضيحاً لكم وتنكيلاً لأمثالكم﴿ قالُوا إِنّا إِلى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ﴾ راجعون إليه وإلى جزائه﴿ وَما تَنْقِمُ مِنّا﴾ تطعن علينا﴿ إِلاّ أَنْ آمَنّا بِآياتِ رَبِّنا﴾ صدقنا بها ﴿لَمّا جاءَتْنا رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً﴾ واسعاً يغمرنا عند الصّلب والقطع حتى لا نرجع كفاراً أي: إلطف بنا حتى نصبر على عذاب فرعون ﴿ وَتَوَفَّنا مُسْلِمِينَ﴾ ثبتنا على الإسلام إلى الوفاة﴿ وَقالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ لمّا آمنت السحرة، تحريشاً له على موسى: ﴿ أَتَذَرُ مُوسى وَقَوْمَهُ﴾ أحياء﴿ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بعبادة غيرك، ودعوتهم إلى مخالفتك، فينقلبوا عليك فيفسد ملكك، عن ابن عباس: لمّا آمنت

السحرة أسلم من بني إسرائيل ستمائة ألف نفس واتبعوه﴿ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾ معبوداتك، القمي: كان فرعون يعبد الأصنام ثم ادعى بعد ذلك الربوبية، وعن علي (ع): انه قرأ (ويذرك وآلهتك) أي: عبادتك، وقيل: إن فرعون صنع لقومه أصناماً أمرهم أن يعبدوها تقرباً اليه، ولذا قال: (أنا ربّكم الأعلى)[1]﴿ قالَ﴾ فرعون﴿ سَنُقَتِّلُ﴾ بالتخفيف والتثقيل﴿ أَبْناءَهُمْ﴾ الذين فيهم النجدة والقوّة﴿ وَنَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ﴾ نستبقيهن للخدمة والمهنة﴿ وَإِنا فَوْقَهُمْ قاهِرُون﴾ لهم﴿ قالَ مُوسى لِقَوْمِه﴾ تسكيناً لهم لمّا سمعوا وعيد فرعون: ﴿ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ﴾ في دفع بلائه عنكم﴿ واصْبِرُوا ﴾ على دينكم﴿ إن الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِه﴾ ينقلها نقل المواريث، فيورثكم إيّاها كما أورثها فرعون﴿ والْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ فتمسكوا بالتقوى وهذا وعد لهم بالنصر وحسن العاقبة ﴿ قالُوا﴾ أي: بني إسرائيل لموسى﴿ أوذِينا ﴾ بقتل الأبناء واستخدام النساء، أو بأخذ الجزية﴿ مِنْ قَبْلِ أن تَأْتِيَنا﴾ بالرسالة﴿ ومِنْ بَعْدِ ما جِئْتَنا﴾ بها بإعادته، والقمي: من بعد ما جئتنا لما حبسهم فرعون لإيمانهم بموسى ﴿ قالَ عَسى رَبُّكُمْ أن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ ﴾ فرعون وقومه ﴿ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ﴾ من بعدهم﴿ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ من شكر، أو كفران وطاعة وعصيان﴿ وَلَقَدْ﴾ (اللام) للقسم﴿ أَخَذْنا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ خاصته الّذين يؤول أمره إليهم وأمرهم إليه، أي: عاقبناهم﴿ بِالسِّنِينَ﴾ بالجدب لقلة الأمطار والمياه﴿ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَراتِ﴾ بكثرة العاهات﴿ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ يخافون الله فيوحدونه.

---

(١) سورة النازعات الآية ٢٤.

[سورة الأعراف الآيات ١٣١ - ١٣٧]

فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا

صَبَرُواْۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

﴿ فَإِذا جاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ﴾ من الخصب وسعة الرزق وسلامة البدن﴿ قالُوا لَنا هذِهِ﴾ نستحقها على جاري العادة في بلادنا، ولم يعلموا إنها من عند الله فيشكروه عليها ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ من جدب وجوع ومرض﴿ يَطَّيَّرُوا﴾ وأصله: (يتطيّروا) أي: يتشاءموا﴿ بِمُوسى وَمَنْ مَعَهُ﴾ يقولون: ما أصابتنا إلا بشؤمهم، القمي: قال: (الحسنة) هاهنا الصحة والسلامة والأمن والسعة، و(السيئة) هنا الجوع والخوف والمرض ﴿ أَلا إنما طائِرُهُمْ﴾ إنما الشؤم الذي يلحقهم هوالذي وعدوا به من العقاب﴿ عِنْدَ اللَّهِ﴾ يفعله بهم في الآخرة لا ما ينالهم في الدنيا﴿ ولكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ ولا يتفكرون ليعلموا﴿ وَقالُوا﴾ أي: قوم فرعون لموسى:﴿مَهْما ﴾ (ما) الشرطية ضمت إليها (ما) المزيدة للتأكيد كـ(حيثما وكيفما) وأبدلت ألفها (هاء) لدفع توهم التكرار، وقيل أصلها (مه) بمعنى: اكفف، و(ما) الجزائية ومحلها الرفع على الإبتداء أو النصب بفعل يفسره: تأتنا ﴿ تَأْتِنا بِهِ﴾ وضمير (به) يعود عليها، وفيه دلالة على إسميتها ﴿ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنا بِها﴾ لتموّه علينا وتنقلنا عن دين فرعون إلى دينك، وسمّوها آية على إعتقاد موسى لا على إعتقادهم﴿ فَما نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ بمصدقين بل مصرّون على تكذيبه وإن أتى بجميع الآيات﴿ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطوفان﴾ أم ر من الله، طاف بهم الماء الغالب الهادم للبناء والقالع للشجر، أو الموت الذريع، أو الطاعون، أو الجدري، وهم أول من عذبوا به فبقي في الأرض، وقيل للصادق (ع): ما الطوفان؟ فقال: هو طوفان الماء والطاعون﴿ والْجَرادَ والْقُمَّلَ﴾ قيل هو صغار الجراد

الذي لا أجنحة له المسمى بـ(الدّبا) وقيل: كبار القردان﴿ والضَّفادِعَ والدَّمَ آياتٍ ﴾ نصب على الحال﴿ مُفَصَّلاتٍ ﴾ بعضها عن بعض لإمتحان أحوالهم، وكان بين كل اثنين منها ستة أشهر، وامتداد كل واحدة إسبوع، أو بينات واضحات لا تخفى على عاقل أنها آيات الله﴿ فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن قبول الإيمان﴿ وكانوا قَوْماً مُجْرِمينَ ﴾ عاصين بالكفر﴿ ولَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ العذاب من الطوفان وغيره، وعن الرضا (ع): هو الثلج، وعن الصادق (ع): أصابهم ثلج احمر لم يرده قبل ذلك، فماتوا فيه وجزعوا، وأصابهم مالم يعهدوه قبله﴿ قالُوا﴾ أي: فرعون وقومه﴿ يا مُوسَى ادْعُ لَنا رَبَّكَ بما عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ بعهده عندك أنّا لوآمنا لرفع عنا العذاب﴿ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾ بأنك نبي﴿ ولَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرائِيلَ﴾ نطلقهم من الإستخدام وتكليف الأعمال الشاقة﴿ فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُمُ الرِّجْزَ﴾ رفعناه عنهم ﴿ إلى أَجَلٍ هُمْ بالِغُوهُ﴾ لعله الأجل الذي عرفهم الله فيه﴿ إذا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ أي: فاجؤوا نقض العهد الذي يجب الوفاء به﴿ فَأَنتَقَمْنا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْناهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ في البحر الذي لا يدرك قعره﴿ بأنهُمْ كَذَّبُوا﴾ أي: فعلنا ذلك بهم جزاء تكذيبهم﴿ بِآياتنا﴾ الدالة على صدق موسى﴿ وَكانوا عَنْها غافلينَ﴾ عن نزول ذلك بهم﴿وأورَثْنا الْقَوْمَ﴾ أي: بني إسرائيل﴿ الَّذِينَ كانوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾ بالإستعباد وذبح الأبناء﴿ مَشارِقَ الأَرْضِ وَمَغارِبَهَا﴾ أي: الأرض كلها، بإخراج الزروع والثمار وصنوف النباتات والأشجار والعيون والأنهار، وهي أرض مصر والشام، أو أرضهما ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة، وتمكنوا في نواحيها﴿ الَّتِي بارَكْنا فِيها وتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنى عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ ﴾ بإنجاز الوعد بإهلاك عدوهم واستخلافهم في قوله:

(ونريد أن نمن على الذين استضعوا...)[1] الآية، ووصفت بالحسنة وكلها حسنة لأنّه وعد بما يحبون ﴿ بما صَبَرُوا﴾ بسبب صبرهم على أذى فرعون وقومه ﴿ ودَمَّرْنا ﴾ خرّبنا﴿ ما كان يَصنَعُ فِرعَونُ وقَوْمُهُ ﴾ من القصور والأبنية ﴿ وما كانوا يَعْرِشُونَ ﴾ من الجنان، أو يرفعون من البنيان.

[سورة الأعراف الآيات ١٣٨- ١٤٣]

وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿١٤١﴾ ۞وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ

---

(١) سورة القصص الآية ٥.

مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

﴿ وَجاوزْنا بِبَني إِسْرائيلَ الْبَحْرَ ﴾ وهونيل مصر بعد مهلك فرعون يوم عاشورا ﴿ فَأَتَوْا﴾ فمرّوا﴿ عَلى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ ﴾ بضم الكاف وبكسرها﴿ عَلى أَصْنامٍ لَهُمْ﴾ يقيمون على عبادتها﴿ قالُوا يا مُوسَى اجْعَلْ لَنا إِلهاً﴾ أصناماً نعبدها﴿كَما لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ أوثان يعبدونها، قيل: القائل جهالهم دون أحبارهم، قال رأس الجالوت لعلي (ع): لم تلبثوا بعد نبيّكم إلا ثلاثين سنة حتى ضرب بعضكم وجه بعض بالسيف، فقال (ع): وأنتم لم تجف أقدامكم من ماء البحر حتى قلتم: إجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ﴿ قالَ إِنكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ نعمة ربّكم، أو عظمته، ولو عرفتم لما قلتم ذلك ﴿ إن هؤلاءِ﴾ الذين عبدوا الأصنام﴿ مُتَبَّرٌ ما هُمْ فِيهِ﴾ أي: مهلك أي: إن الله يهدم دينهم ويحطم أصنامهم﴿ وَباطِلٌ﴾ مضمحل﴿ ما كانوا يَعْمَلُونَ﴾ من عبادتها، و(ما) مصدرية فاعل (باطل)﴿ قالَ﴾ موسى لقومه﴿ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ﴾ مفعول ثان أي: أطلب لكم معبوداً، وتعدى (أبغي) إلى اثنين دون (اطلب) لأنّ معنى (بغاه الخير): أعطاه الخير و(غير) منصوب على الحال التي لو تأخرت لكأنت صفة للنكرة، وتقديره: أبغيكم﴿ إِلهاً﴾ غير الله﴿ وهُوفَضَّلَكُمْ عَلَى الْعالَمِينَ﴾ أي: عالمي زمانكم، أو خصّكم بنعم لم يعطها غيركم﴿ وإِذْ أَنجَيْناكُمْ﴾ واذكروا إذ خلّصناكم

﴿ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ﴾ يبغونكم ويكلفونكم شدة العذاب ﴿ يُقَتِّلُونَ﴾ بالتخفيف والتشديد للتكثير ﴿ أَبْناءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نساءَكُمْ وفِي ذلِكُمْ بَلاءٌ﴾ وفيما بكم من النجاة نعمة ﴿ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ قدرها، أو فيما نالكم من العذاب إبتلاء عظيم ﴿ وواعَدْنا مُوسى ثَلاثِينَ لَيْلَةً﴾ ذي القعدة ﴿ وأَتْمَمْناها بِعَشْرٍ﴾ من ذي الحجة ﴿ فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ مر تفسيره في سورة البقرة، عن الباقر(ع) إنّ موسى قال لقومه: إني أتأخر عنكم ثلاثين يوماً ليسهل عليهم، ثم زاد عليهم عشراً ليس في ذلك خلف لأنّه إذا تأخر عنهم أربعين ليلة فقد تأخر ثلاثين قبلها ﴿ وقالَ مُوسى لأَخِيهِ هارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ فاسدهم في غيبتي ﴿ ولا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ من قبيل إياك أعني، المراد: قومه ﴿ ولَمَّا جاءَ مُوسى لِمِيقاتِنا﴾ أنتهى إلى المكان الذي وقتناه له ﴿ وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ من غير سفير كما يكلّم الملائكة، وذكر في موضع آخر انه اسمعه كلامه من الشجرة، وربّما قيل: إنه اسمعه كلامه من الغمام ﴿ قالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قالَ لَنْ تَرانِي﴾ و(لن) لنفي التأبيد ﴿ ولكِنِ أنظُرْ إلى الْجَبَلِ فَإِن اسْتَقَرَّ مَكانَهُ فَسَوْفَ تَرانِي﴾ علّق رؤيته باستقرار الجبل في الحالة التي صار فيها دكاً من قبل حتى يلج الجمل في سم الخياط ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ﴾ ظهر أمره وآياته وبرز ملكوته ﴿ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ بالقصر والتنوين أي: مدقوقاً مع الأرض، وبا لمدّ أي: قطعاً صغاراً، قيل: إن الجبل صار مستوياً بالأرض، وقيل: ساخ فيها حتى فني، وقيل: تقطع أربع قطع قطعة نحوالمشرق وقطعة نحوالمغرب وقطعة سقطت في البحر وقطعة صارت رملاً، وعن النبي (ص): صارت ستة جبال، ثلاثة بالمدينة (أحد) و(ورقاء) و(رضوى)، وثلاثة بمكة: (ثور) و(ثبير) و(حراء)﴿ وخَرَّ مُوسى صَعِقاً ﴾ مغشياً عليه من هول ما رأى ﴿ فَلَمَّا أَفاقَ﴾

من صعقته ﴿قالَ﴾ تعظيماً لما رأى ﴿سبْحانكَ﴾ تنزيهاً لك عمّا لا يليق بك من الرؤية وغيرها ﴿تُبتُ إليْكَ﴾ من الجرأة على هذا السؤال ﴿وأنا أولُ المُؤمنينَ﴾ بأنك لا تُرى ـ كما عن الصادق (ع) ـ وعن الرضا (ع): لما كلّم الله موسى وناجاه قال قومه: لن نؤمن لك حتى نسمع كلامه كما سمعته، وكانوا سبعمائة ألف فاختار منهم سبعين ألفاً، ثم اختار منهم سبعة آلاف، ثم اختار منهم سبعمائة، ثم اختار منهم سبعين، فخرج بهم إلى طور سيناء، فأقامهم من سفح الجبل وصعد إلى الطور، وسأل الله ذلك فكلّمه الله وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام فقالوا: لن نؤمن بأنه كلام الله حتى نرى الله جهرة إلى أن قال (ع): فقال (ع): إن الله لا يرى بالأبصار ولا كيفية له، وإنما يعرف بآياته فقالوا: لن نؤمن لك حتى تسأله فقال موسى: يا رب إنك قد سمعت مقالة بني إسرائيل وأنت أعلم بصلاحهم، فأوحى الله إليه: سلني ما سألوك فلن أؤاخذك بجهلهم فعند ذلك قال رب أرني إنظر إليك... الخبر.

[سورة الأعراف الآيات ١٤٤ - ١٤٩]

قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِى ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَىۡءٍ مَّوۡعِظَةً وَتَفۡصِيلًا لِّكُلِّ شَىۡءٍ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٍ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَا ۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَـٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَـٰتِىَ

ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

﴿ قالَ يا مُوسى إني اصْطَفَيْتُكَ﴾ إخترتك وفضّلتك ﴿ عَلَى النَّاسِ﴾ الذين في زمانك وهارون ـ وإن كان نبياً ـ لكنه كان مأموراً بإتباعه، ولم يكن صاحب شريعة ﴿ بِرِسالاتِي﴾ وقرئ بالإفراد أي: أسفار التوراة ﴿ وبِكَلامِي﴾ بتكليمي إياك من غير رسالة، وخص الناس لأنّ الله كلّم الملائكة كذلك ﴿ فَخُذْ ما آتَيْتُكَ﴾ من التوراة وغيرها ﴿ وكُنْ مِنَ الشّاكِرِينَ﴾ المعترفين بنعمتي القائمين بشكرها، روي: أن السؤال للرؤية كان يوم عرفة، وإعطاء التوراة يوم النحر ﴿ وَكَتَبْنا لَهُ فِي الألْواحِ﴾ في

التوراة، قيل: كانت من خشب نزلت من السماء، عن الصادق (ع): كانت زبرجدة من الجنة﴿ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في أمور الدّين﴿ مَوْعِظَةً وتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه من الأوامر والنواهي والحلال والحرام﴿ فَخُذْها بِقُوَّةٍ﴾ بجد وصحة عزيمة وقوة قلب﴿ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِها ﴾ بما فيها من حسن المحاسن كالصبر والعفو بالإضافة إلى الإنتقام والقصاص والفرائض والنوافل، بالإضافة إلى المناجاة فهوكقوله: (واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم)[1] والمراد: الحسن كما قال تعالى: (وهو أهون عليه)[2] ﴿ سَأُرِيكُمْ دارَ الْفاسِقِينَ﴾ في الآخرة، وهي جهنم، أو في الدنيا وهي منازل القرون الماضية لتعتبروا بها، فإنها خاوية على عروشها﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آياتِيَ﴾ سأمنع عن نيل الكرامة المتعلقة بآياتي والإغترار بها﴿ الَّذينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ فيرون لأنفسهم فضلاً على الناس، فاستأنفوا عن الأنقياد للأنبياء وقبول الحق﴿ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيةٍ﴾ منزلة، أو معجزة ﴿لا يُؤْمِنُوا بِها﴾ لإختلال عقولهم بالأنهماك في الهوى والتقليد﴿ وإن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ ﴾ بضم الواو وسكون الشين وبفتحها، لغتان﴿ لايَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً﴾ لأنفسهم ﴿ وَإِن يَرَوْاسَبِيلَ الغَيِّ﴾ طريق الضلال﴿ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً﴾ القمي قال: إذا رأوا الإيمان والصدق والوفاء والعمل الصالحين لا يتخذوه سبيلاً، وإن يروا سبيل الشرك والزنى والمعاصي يأخذوا بها ويعملوا بها﴿ ذلكَ﴾ إشارة إلى صرفهم عن الآيات، أو إلى إتخاذهم سبيل الغي وتركهم سبيل الرشد﴿ بأنهُمْ كَذَّبُوا﴾ بسبب

---

(١) سورة الزمر الآية ٥٥.

(٢) سورة الروم الآية ٢٧.

تكذيبهم﴿ بآياتنا وَكانوا عَنْها غافلينَ﴾ لا يتفكرون فيها ولا يتعظون بها﴿ وَالَّذينَ كَذَّبُوا بآياتنا ولِقاءِ الآخرَةِ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ﴾ لا ينتفعون بها لوقوعها على خلاف المأمور به﴿ هَلْ يُجْزَوْنَ إلاَّ ما كانوا يَعْمَلُونَ﴾ إنْ خيراً فخيراً وإنْ شراً فشر ﴿ واتَّخَذَ قَوْمُ مُوسى﴾ إتخذ السامري ونسب إلى الباقين لرضاهم به﴿ مِنْ بَعْدِه﴾ بعد ذهابه للميقات﴿ مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ بضم الحاء وكسر اللام جمع (حلي) وبكسرهما على الإتباع، وهي التي إستعادوها من القبط لما أرادوا الخروج من مصر، فالإضافة لأدنى ملابسة﴿ عِجْلًا جَسَداً﴾ بدل منه أي: خالياً من الروح﴿ لَهُ خُوارٌ﴾ صوت البقر، وقد مرّت القصة في البقرة، والمشهور أن السامري أخذ قبضة من تراب أثر فرس جبرئيل يوم قطع البحر، فقذف ذلك التراب في فم العجل فتحول لحماً ودماً وكان معتاداً﴿ أَلَمْ يَرَوْا﴾ إنكار أي: ألم يعلموا﴿ أنهُ لا يُكَلِّمُهُمْ﴾ بما يجدي عليهم نفعاً، أو يدفع عنهم ضراً﴿ ولا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً﴾ إلى خير ليأتوه ولا إلى شر ليجتنبوه﴿ اتَّخَذُوهُ﴾ إلهاً وعبدوه، والتكرير للذم﴿ وَكانوا ظالِمينَ ﴾ بوضعهم العبادة غير موضعها، فلم يكن اتخاذ العجل بدعاً منهم﴿ ولَمَّا سُقِطَ﴾ وقع البلاء ﴿ فِي أيدِيهِمْ﴾ أي: وجدوه وجدان من يده فيه، كناية عن إشتداد ندمهم، أي: لما لحقهم الندم على ما عملوا﴿ ورأو ا أنهمْ قَدْ ضَلُّوا﴾ عن الصواب بعبادته حين رجع إليهم موسى﴿ قالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنا ربُّنا﴾ بقبول التوبة﴿ ويَغْفِرْ لَنا﴾ بالتجاوز عن الخطيئة، وقرأ بالتاء في الفعلين ونصب (ربنا)﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾ باستحقاق العذاب.

[سورة الأعراف الآيات ١٥٠ - ١٥٥]

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ

تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾

﴿ ولَمَّا رَجَعَ مُوسى إلى قَوْمِه﴾ بني إسرائيل ﴿ غَضْبان﴾ حال ﴿ أَسِفاً﴾ شديد الغضب، أو حزناً على ما أصابه ﴿ قالَ بِئْسَما خَلَفْتُمُوني مِنْ بَعْدِي﴾ بعد ذهابي إلى ميقات ربي، حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله ﴿ أ عَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ﴾ وعده الذي وعدني من الأربعين ليلة فلم تصبروا له، وقدرتم موتي لما لم آتاكم على رأس الثلاثين ﴿ وأَلْقَى الأَلْواحَ﴾ طرحها من شدة الغضب حميّة للدين على عبادة العجل روي: أنه لمّا ألقاها إنكسرت فذهب بعضها، وعن علي (ع): إن منها ما إنكسر ومنها ما بقي ومنها ما إرتفع ﴿ وأَخَذَ بِرأس أَخِيه﴾ بشعره ﴿ يَجُرُّهُ إِلَيْه﴾ مستعظماً لفعلهم منكراً لما كان منهم كما يفعل الإنسان بنفسه عند الغضب، فيقبض على لحيته ويعضّ على شفتيه، فأجرى أخاه مجرى نفسه، وعن الصادق (ع): وذلك إنه لم يفارقهم لما فعلوا ذلك ولم يحلق بموسى، وكان إذا فارقهم ينزل بهم العذاب ﴿ قالَ ابْنَ أُمَّ﴾ بالكسر على حذف الياء وبالفتح على جعل الإسمين واحداً كـ(خمسة عشر) والنسبة للأم للإستعطاف وعنه (ع): لم يقل: (يا ابن أبي) لأنّ بني الأب إذا كأنت أمهاتهم شتى لم تستبعد العداوة بينهم إلا من عصمه الله منهم، وإنما تستبعد العداوة بين بني أم واحدة، وعن علي (ع): أنه كان أخاه لأبيه ولأمه، قيل: كان هارون أكبر من موسى بثلاث سنين، وكان حمولاً ليناً ولذا كان أحب إلى بني إسرائيل، وعن الباقر (ع): أن الوحي ينزل على موسى، وموسى يوحيه إلى هارون، وكان موسى الذي يناجي ربّه ويكتب العلم ويقضي بين بني إسرائيل ولم

يكن لموسى ولد، وكان الولد لهرون﴿ إن الْقَوْمَ﴾ الذين تركتني بين أظهرهم ﴿ اسْتَضْعَفُونِي﴾ ولم آل جهداً في إنذارهم﴿ وَكادُوا﴾ قاربوا﴿ يَقْتُلُونَنِي﴾ لشدة إنكاري عليهم﴿ فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْداءَ﴾ أقام الظاهر مقام الضمير للعلّة بأن تفعل بي ما يوهم خلاف التعظيم والشماتة﴿ ولا تَجْعَلْنِي﴾ معدوداً﴿ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ العابدين للعجل بإظهار الغضب والموجدة عليّ﴿ قالَ﴾ موسى حين نبّهه أخوه ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ ما صنعت بأخي﴿ ولأَخِي﴾ وهوعلى وجه الإنقطاع والتقرب إليه تعالى ـ لا لذنب ـ كما قال النبي (ص): إني لأستغفر الله كل يوم سبعين مرّة من غير ذنب، أو لأنّ المباح بالنسبة إلى الأنبياء ذنب، فأن حسنات الأبرار سيئات المقربين، فلا ينافي عصمتهم عن ذنوبنا﴿ وأَدْخِلْنا فِي رَحْمَتِكَ﴾ نعمتك وجنتك﴿ وأنت أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ أرحم بنا منّا على أنفسنا﴿ إن الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ إلها من دون الله﴿ سَيَنالُهُمْ غَضَبٌ ﴾ عقوبة﴿ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ ولعله ما أمروا به من قتل أنفسهم﴿ وذِلَّةٌ﴾ وصغر في أنفسهم﴿ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا﴾ ولعله خروجهم من ديارهم، وأخذ الجزية عليهم﴿ وَكَذلِكَ﴾ مثل هذا الجزاء﴿ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ في قوله: (هذا إلهكم وإله موسى) وعن الباقر (ع): أنه تلا هذه الآية فقال: فلا نرى صاحب بدعة إلا ذليلاً ولا مفترياً على الله وعلى رسوله وأهل بيته إلا ذليلاً ﴿ والَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئاتِ﴾ من الكفر والمعاصي﴿ ثُمَّ تابوا مِنْ بَعْدِها وَآمَنُوا﴾ وعملوا بما يقتضيه الإيمان﴿ إن رَبَّكَ﴾ يا محمد (ص) ﴿ مِنْ بَعْدِها﴾ أي: التوبة ﴿ لَغَفُورٌ﴾ لذنوبهم﴿ رَحِيمٌ﴾ بهم﴿ ولَمَّا سَكَتَ﴾ سكن﴿ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ ﴾ وزال لأنهم تابوا وزالت فورتهم﴿ أَخَذَ الأَلْواحَ﴾ التي ألقاها﴿ وفِي نُسْخَتِها﴾ وفيما نسخ منها وكتب﴿ هُدىً﴾ دلالة وبيان لما يحتاج إليه من أمور الدين﴿ ورَحْمَةٌ﴾

نعمة ومغفرة﴿ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ يخشونه ولا يعصونه، و(اللام) لتقوية العمل، ولو تأخر المفعول لم يجز أن يقال: يرهبون لربهم، إذا كان المعنى يخشون معاصيه من أجله جاز كما يقال: (ردف لكم)﴿ واخْتارَ مُوسى قَوْمَهُ﴾ من قومه ﴿ سَبْعِينَ رَجُلاً لِميقاتنا﴾ حين خرج ليكلمه الله بحضرتهم فيكونوا شهداء له عند بني إسرائيل﴿ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ وماتوا كما مرّ﴿ قالَ﴾ على سبيل التمني قبل أن يرى ما رأى﴿ رَبِّ لَوشِئْتَ أَهلكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وإيايَ أَ تُهْلِكُنا بما فَعَلَ السُّفَهاءُ مِنَّا﴾ من التجري على طلب الرؤية، عن الرضا (ع): انهم لما سألوا الرؤية أخذتهم الصاعقة، فاحترقوا عن آخرهم، وبقي موسى وحيداً، فقال: يا رب اخترت سبعين من بني إسرائيل، فجئت بهم وأرجع وحدي، فكيف يصدقني قومي بما أخبرتهم؟ فلوشئت أهلكتهم من قبل وإياي﴿ إن هِيَ﴾ الرجفة﴿ إلاَّ فِتْنَتُكَ﴾ إبتلاؤك حين أسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية﴿ تُضِلُّ بِها﴾ تصيب بالرجفة ﴿ مَنْ تَشاءُ﴾ فتهلكه﴿ وتَهْدي مَنْ تَشاءُ﴾ فتصرفها عنه﴿ أنت وَلِيُّنا﴾ ناصرنا﴿ فَاغْفِرْ لَنا وارْحَمْنا وأنت خَيْرُ الْغافِرِينَ﴾ الساترين، تستر وتبدّلها بالحسنة.

[سورة الأعراف الآيات ١٥٦ - ١٥٩]

وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي

يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ لا أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

﴿ واكْتُبْ لَنا فِي هذه الدُّنيا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ حسنة﴾ قيل: الحسنة في الدنيا الثناء الجميل وفي الآخرة الرحمة، وقيل: في الدنيا التوفيق للطاعات وفي الآخرة الرحمة﴿ إنا هُدْنا﴾ رجعنا بتوبتنا﴿ إِلَيْكَ﴾ والهود: الرجوع﴿ قالَ اللَّه﴾ مجيباً لموسى: ﴿ عَذابِي أُصِيبُ به مَنْ أشاءُ﴾ تعذيبه ممن عصاني، وعلّق بالمشية لجواز الغفران﴿ ورَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ لودخل فيها الجميع لوسعتهم، إلا أن فيهم من لا يدخلها لضلالة﴿ فَسأَكْتُبُها﴾ في الآخرة﴿ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الكفر ويجتنبونه

﴿ ويُؤتُونَ الزكاةَ﴾ خصت بالذكر لأنها من أشقّ الفرائض﴿ والَّذينَ هُمْ بآياتنا يُؤْمنُونَ﴾ ولا يكفرون بشيء من حججنا ﴿ الَّذينَ﴾ مبتدأ خبره: يأمرهم، أو خبر محذوف، أو بدل (من الذين يتقون)﴿ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ﴾ روي: أن الرسول الذي يظهر له الملك فيكلمه، والنبي يرى في منامه، وربّما اجتمعتا لواحد كما هنا ﴿ الأُمِّيَّ﴾ المنسوب إلى (امّ القرى) ـ كما عن الباقر والصادق (ع) ـ وقيل: الذي لا يكتب ولا يقرأ، أو المنسوب إلى الأمة، وكأنت العرب لا تحسن الكتابة، أو إلى الأم لأنّه على ما ولدته أمّه قبل تعلم الكتابة ﴿ الَّذي يَجدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ في التَّوْراةِ والإنجيل﴾ عن الباقر (ع): يعني اليهود والنصارى صفة محمّد وإسمه ﴿ يَأمُرُهُمْ﴾ لعلّه تفسير لما كتب ـ لا حال من المفعول الأول ـ لأنّ الاسم والنعت لا يأمران﴿ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبائِثَ﴾ القبائح وما تعافه النفس عكس الطيبات﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ وقرأ (أرصاهم) بالجمع، والإصر: الثقل﴿ والأَغْلالَ الَّتي كانت عَلَيْهِمْ﴾ تخفيف عنهم ما كلّفوا من التكاليف الشاقة، فروي: أنه إذا أصاب أحدهم قطرة بول قرضوا لحومهم بالمقاريض، وإن توبتهم أن يقتل بعضهم بعضاً﴿ فَالَّذينَ آمَنُوا بِهِ﴾ بالنبي ﴿ وعَزَّرُوهُ﴾ عظموه بالتقوية والذب عنه﴿ ونَصَرُوهُ واتَّبَعُوا النُّورَ﴾ القرآن هو نور في القلوب يهتدي به الخلق﴿ الَّذي أنزل مَعَهُ﴾ أي: في زمانه، أو عليه، وعن الباقر (ع) النور: عليّ، عن الصادق (ع): النور في هذا الموضع علي والأئمة (ع)﴿ أولئكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بالثواب الناجون من العقاب﴿ قُلْ يا أيها النَّاسُ إني رَسُولُ اللَّه إِلَيْكُمْ جَميعاً﴾ حال من المجرور عامله معنى الفعل في (رسول) أي: إلى كافة الناس﴿ الَّذي لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ والأَرْضِ ﴾ بلا منازع﴿ لا إِلهَ إلاّ هُوَ﴾ لا معبود

سواه﴿ يُحيي﴾ الأموات﴿ ويُميتُ﴾ الأحياء﴿ فآمنُوا باللّه ورَسُولِه النَّبيِّ الأُمّيِّ الّذي يُؤمِنُ باللّهِ﴾ لم يأمركم بالإيمان حتى آمن هو أولاً ﴿ وكَلماته﴾ من الكتب المتقدمة، والوحي، والقرآن﴿ واتَّبعُوهُ لَعَلّكُمْ تَهتَدُونَ﴾ إلى الثواب والجنة﴿ ومِنْ قَوْمِ مُوسى أُمّةٌ﴾ جماعة﴿ يَهْدُونَ بالحَقّ﴾يدعون إليه﴿ وبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ في حكمهم، قيل: هم الذين آمنوا بالنبي من اليهود مثل: عبد اللّه بن سلام، وابن صوريا، وأضرابهم.

[سورة الأعراف الآيات ١٦٠ - ١٦٣]

وَقَطَّعْنَاهُمُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟

يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

﴿ وقَطَّعْناهُمُ ﴾ صيّرناهم قطعاً متميزاً بعضهم من بعض ﴿ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ ﴾ فرقة، على حذف التّميز، ولذلك أنث ﴿ أَسْباطاً ﴾ بدل من (اثنتي عشرة) ولذلك جمع ﴿ أُمَماً ﴾ نعت الأسباط، والأسباط: وِلْد الوِلْد ﴿ وأوحَيْنا إلى مُوسى إِذِ اسْتَسْقاهُ قَوْمُهُ ﴾ طلبوا منه السقيا ﴿ أن اضْرِبْ بِعَصاكَ الْحَجَرَ ﴾ فضرب ﴿ فَانبَجَسَتْ ﴾ قيل: الإنبجاس: خروج الماء الجاري، والإنفجار خروجه بكثرة ﴿ مِنْهُ اثْنَتا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أناسٍ ﴾ سبط ﴿ مَشْرَبَهُمْ وظَلَّلْنا عَلَيْهِمُ الْغَمامَ ﴾ لتقيهم حرّ الشمس ﴿ وأنزلنا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ والسَّلْوى ﴾ وقلنا لهم: ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ وما ظَلَمُونا ولكنْ كانوا أنفسهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ مرّ تفسيره في سورة البقرة ﴿ وإِذْ قيلَ ﴾ اذكر إذ قيل ﴿ لَهُمُ اسْكُنُوا هذه الْقَرْيَةَ ﴾ بيت المقدس ﴿ وكُلُوا مِنْها حَيْثُ شِئْتُمْ وقُولُوا حِطَّةٌ وادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً نَغْفِرْ ﴾ بالتاء وضمّها وفتح الفاء، وبالنون وكسر الفاء ﴿ لَكُمْ خَطاياكُمْ ﴾ بغير همز على جمع التكثير، و(خطيئاتكم) على جمع السلامة ورفع الياء وكسرها، و(خطيتكم) بالتوحيد ورفع التاء ﴿ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ ﴾ على الذين ظلموا ﴿ رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بما كانوا يَظْلِمُونَ ﴾ مرّ تفسيره في سورة البقرة ﴿ وسْئَلْهُمْ ﴾ أي: اليهود، وهو سؤال تقريع بقديم كفرهم وتعديهم حدود الله ﴿ عَنِ الْقَرْيَةِ ﴾ عمّا وقع بأهلها ﴿ الَّتي كانت

حاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ وهي (أيلة) بين (مدين) و(الطور) على شاطئ البحر﴿ إِذْ يَعْدُونَ﴾ منصوب أي: سلهم عن وقت عدوّهم﴿ فِي السَّبْتِ﴾ أي: تجاوزهم حدود الله في أمر السبت بصيد السمك فيه وقد نهوا عنه﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ﴾ في وقت إنسباتهم﴿ حِيتانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ ﴾ إسم (يوم) أو مصدر (سبتت) اليهود إذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة﴿ شُرَّعاً﴾ حال من حيتان أي: ظاهرة على وجه الماء، وقيل: متتابعة، وقيل: رافعة رأسها كأنت تشرع إلى أبوابهم مثل الكباش البيض، لأنّها كأنت آمنة يومئذ﴿ وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ ﴾ بل تغوص في الماء﴿ كَذلِكَ نَبْلُوهُمْ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ﴾ أي: مثل ذلك الإختبار نختبرهم بفسقهم، القمي: كان العلّة في تحريم الصيد عليهم يوم السبت أن عيد جميع المسلمين وغيرهم كان يوم الجمعة، فخالف اليهود، وقالوا عيدنا السبت فحرّم الله عليهم الصيد يوم السبت، ومسخوا قردة وخنازير.

[سورة الأعراف الآيات ١٦٤ - ١٧٠]

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ

رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

﴿ وإذْ قالَتْ﴾ عطف على (إذ يعدون)﴿ أُمَّةٌ مِنهُمْ﴾ جماعة من أهل القرية الذين لم يصطادوا، وكانوا ثلاثاً: فرقة قابضة، وفرقة واعظة، وفرقة ساكتة، فقال الساكتون للواعظين: ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ إذ لا ينفع الوعظ من لا يقبله والله مهلكه في الدنيا﴿ أو مُعَذِّبُهُمْ عَذاباً شَدِيداً﴾ في الآخرة لتماديهم في العصيان ﴿ قالُوا﴾ في جوابهم: ﴿ مَعْذِرَةً﴾ بالرفع خبر محذوف أي: موعظتنا إياهم معذرة وبالنصب على المصدر، أو العلة أي: اعتذرنا به معذرة، أو وعظناهم معذرة﴿ إلى رَبِّكُمْ﴾ حتى لا ينسب إلى التفريط في النهي عن المنكر﴿ ولَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ إذ اليأس لا يحصل إلا بالهلاك﴿ فَلَمَّا نَسُوا﴾ تركوا ترك الناسي﴿ ما ذُكِّرُوا بِهِ﴾ من الوعظ،

ولم ينتهوا عن إرتكاب المعصية بصيد السمك﴿ أنجيْنا﴾ خلصنا﴿ الّذينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وأخَذْنا الّذينَ ظَلَمُوا﴾ أنفسهم﴿ بِعَذابٍ بَئِيسٍ﴾ غير مهموز وبكسرها وهمزة ساكنة بعدها على عدّ الفعل إسماً ـ كما يقال: ينهى عن قيل وقال ـ وبفتح الباء وهمزة مفتوحة بعد الياء مثل: ضيغم، وبفتحها وهمزة مكسورة بعدها كـ(رئيس) أي: بعذاب شديد﴿ بِما كانوا يَفْسُقُونَ﴾ بسبب فسقهم، عن الصادق (ع):كانوا ثلاثة أصناف: صنف ائتمروا وأمروا ونجوا، وصنف ائتمروا ولم يأمروا فمسخوا، وصنف لم يأتمروا ولم يأمروا هلكوا، وعنه (ع): انه هلكت الفرقتان ونجت الفرقة الناهية﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ ما نُهُوا عَنْهُ﴾ تكبروا عن ترك ما نهوا عنه، والعتوّ: الخروج إلى أفحش الذنوب﴿ قُلْنا لَهُمْ كُونُوا﴾ أي: جعلناهم﴿ قِرَدَةً خاسِئِينَ﴾ مطرودين مبعدين من كل خير﴿ وإِذْ تَأَذَّنَ﴾ إذكر إذا علم﴿ رَبُّكَ﴾ وأقسم القسم الذي يسمع بالإذن﴿ لَيَبْعَثَنَّ﴾ البعث هنا هو الأمر والإطلاق، أو التخلية﴿ عَلَيْهِمْ﴾ على اليهود﴿ إلى يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ﴾ بذنوبهم﴿ سُوءَ الْعَذابِ﴾ شدته بالقتل وأخذ الجزية، قيل: بعث الله عليهم بعد سليمان بخت نصّر فخرّب ديارهم، وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريهم، وضرب الجزية على من بقي منهم، وكانوا يؤدونها إلى المجوس حتى بعث الله محمداً ففعل ما فعل وضرب عليهم الجزية ولا تزال مضروبة إلى آخر الدّهر﴿ إن رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقابِ﴾ لمن يستوجبه وإن كان مؤخراً إلى القيامة، لأنّ كل آت قريب، أو سريع العقاب لمن يشاء أن يعاقبه في الدنيا ﴿ وإنهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ لمن تاب وآمن﴿ وقَطَّعْناهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَماً﴾ فرّقنا اليهود فيها فرقاً مختلفة لا تكاد تخلوبلد من فرقة منهم﴿ مِنْهُمُ الصّالِحُونَ ﴾ المؤمنون بمحمد (ص) وعيسى﴿ وَمِنْهُمْ﴾ جماعة﴿ دُونَ ذلِكَ ﴾ منحطون عن الصّلاح،

وهم الكافرون بالله ورسله، أو عن الصالح في الدرجة وهم الذين تمسكوا ببعض الأوامر دون بعض وعملوا ببعض المعاصي﴿ وبَلَوْناهُمْ بِالْحَسَناتِ والسَّيِّئاتِ﴾ اختبرناهم بالرخاء في العيش والسعة في الرزق وبالشدائد في العيش والمصائب في الأنفس والأموال﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إلى الله وينيبوا إلى طاعته﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ ﴾ بدل سوء، وهوبالتسكين جار في السوقة، وبالتحريك في الخير﴿ وَرِثُوا الْكِتابَ﴾ التوراة صفة (خلف)﴿ يَأْخُذُونَ﴾ حال من ضمير (ورثوا)﴿ عَرَضَ هذَا الأَدْنى﴾ حطام هذا الشيء العاجل أي: الدنيا﴿ ويَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنا وإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ﴾ من العذاب ﴿ يَأْخُذُوهُ﴾ وهذا دليل على إصرارهم وإنهم تمنّوا المغفرة مع الإصرار﴿ أَ لَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ﴾ على هؤلاء المرتشين في الأحكام﴿ مِيثاقُ الْكِتابِ﴾ الميثاق في التوراة﴿ أن لا يَقُولُوا عَلَى اللهِ إلاّ الْحَقَّ﴾ ولا يكذبوا عليه، ولا يضيفوا إليه إلا ما أنزله على موسى في التوراة، وليس فيها ميعاد المغفرة مع الإصرار ﴿ ودَرَسُوا﴾ قرءوا﴿ ما فِيهِ﴾ فهم ذاكرون لذلك، أو عطف على (ورثوا) والمعنى: ضيّعوه وتركوا العمل به، عن الصادق (ع): إن الله خصّ عباده بآيتين: أن لا يقولوا حتى يعلموا، ولا يردّوا ما لا يعلموا، قال عز وجل: ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق، وقال: بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه﴿ والدَّارُ الآخِرَةُ﴾ وما أعدّ الله لأو ليائه فيها من النعيم المقيم﴿ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ محارمه ويعملون بطاعته مما يأخذه هؤلاء من الرشوة ونحوه﴿ أَ فَلا تَعْقِلُونَ﴾ فيعلمون أن الأمر على ما أخبر به تعالى﴿ والَّذِينَ يُمَسِّكُونَ﴾ بسكون الميم وبفتحها وتشديد السين بمعنى واحد أي: يتمسكون﴿ بِالْكِتابِ﴾ بالتوراة لا يحرفونه ولا يكتمونه، أو بالقرآن والمعني بهم: أمة محمد (ص) ﴿ وأَقامُوا الصَّلاةَ﴾ خصّها بالذكر لجلالة

موقعها وشدة تأكدها﴿إنا لا نُضيعُ أجْرَ المُصْلحينَ﴾ جزاء عملهم بل نثيبهم على ما يستحقونه، وهو خبر (الذين) ـ إن جعلت الواو للإستئناف ـ وحذف العائد لدلالة الكلام عليه، ووضع الظاهر موضع المضمر لأنّه في معناه، فإن المصلحين هم الذين يتمسكون بالكتاب، وعن الباقر (ع): نزلت في آل محمد (ص) وأشياعهم.

[سورة الأعراف الآيات ١٧١ - ١٧٨]

وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ

ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِيۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

﴿ وإِذْ نَتَقْنَا﴾ واذكر إذ قلعنا﴿ الْجَبَلَ﴾ من أصله فرفعناه فوقهم، وكان عسكر بني إسرائيل فرسخاً في فرسخ﴿ كأنهُ ظُلَّةٌ﴾ غمامة﴿ وظَنُّوا أنهُ واقِعٌ بِهِمْ﴾ ساقط عليهم، لأنّ الجبل لا يثبت في الجوّ، ولأنّهم كانوا يوعدون به﴿ خُذُوا﴾ أي: قائلين، أو قلنا لهم: خذوا﴿ ما آتَيْناكُمْ﴾ الزمناكم من أحكام كتابنا وفرائضه﴿ بِقُوَّةٍ﴾ بعزم من قلوبكم وأبدانكم من غير تقصير ولا توان، سئل الصادق (ع) عن الآية أقوّة في الأبدان أم في القلوب؟ قال: فيهما جميعاً﴿ واذْكُرُوا ما فِيهِ﴾ بالعمل بما فيه من الأوامر والنواهي﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ربكم وتخافون عقابه﴿ وإِذْ أَخَذَ ﴾ واذكر لهم يا محمد إذ أخرج﴿ ربُّكَ مِنْ بَنِي آدمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ بدل بعض من كل من (بني آدم)﴿ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ على الإفراد، و(ذرّياتهم) على الجميع﴿ وأَشْهَدَهُمْ عَلى أنفسهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى شَهِدْنا﴾كراهة﴿ أن تَقُولُوا﴾ أو لئلا يقولوا إذا صاروا للعذاب﴿ يَوْمَ الْقِيامَةِ إنا كُنَّا عَنْ هذا غافِلِينَ﴾ لم ننبه عليه ولم تقم لنا به حجة ﴿ أو تَقُولُوا إنما أَشْرَكَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ﴾ حين بلغوا وعقلوا﴿ وكُنَّا ذُرِّيَّةً ﴾ أطفالاً ﴿ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ لا نعقل فاقتدينا بهم، لأنّ التقليد عند قيام الحجة والتمكن من العلم بها لا يصلح عذراً﴿ أَ فَتُهْلِكُنا بما فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ أي: آباءهم المبطلين بتأسيس الكفر﴿ وَكَذلِكَ﴾ التفصيل﴿ نُفَصِّلُ الآياتِ﴾ للعباد نبّينها، ليتمكن من الإستدلال

بكل واحدة منها﴿ ولَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إلى الحق من الباطل، سئل الباقر (ع): عن هذه الآية، فقال: اخرج من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة، فخرجوا كالذر فعرفهم نفسه، وأراهم صنعه، ولولا ذلك لم يعرف أحد ربّه﴿ واتْلُ عَلَيْهِمْ ﴾ يا محمد ﴿ نَبأَ الَّذِي آتَيْناهُ آياتِنا فَانسَلَخَ مِنْها﴾ فخرج من العلم بها بالجهل، كالإنسان ينسلخ من ثوبه، والحيّة من جلدها﴿ فَأَتْبَعَهُ الشيطان﴾ لحقه وأدركه، وصار قريناً له حتّى أضلّه﴿ فَكان مِنَ الْغاوِينَ﴾ من الضالين، قيل: هو أحد علماء بني إسرائيل، وقيل: أمية بن ابي الصلت، كان قد قرأ الكتب، وعلم إن اللّه مرسلٌ رسولاً في ذلك الزمان، ورجا أن يكون هو، فلمّا بعث محمد (ص) حسده، وكفر به وعرض على النبي (ص) بعض أشعاره، وفيها إقرار بالبعث، فقال النبي (ص): آمن شعره وكفر قلبه، والقمي: نزلت في بلعم بن باعورا، وكان من بني إسرائيل أوتي علم بعض كتب اللّه ﴿ ولَو شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها﴾ لرفعنا منزلته بتلك الآيات﴿ ولكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلى الأَرْضِ﴾ مال إلى الدنيا بإيثار الراحة والدعة﴿ واتَّبَعَ هَواهُ﴾ إنقاد له في إيثار الدنيا على الآخرة ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ صفته كصفته في أحسن أحواله﴿ إن تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾ بالطرد والزجر، من (الحَمْلَة) لا من (الحَمْل)﴿ يَلْهَثْ ﴾ يخرج لسانه من فيه بالنفس الشديد﴿ أو تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ فهودائم اللهث، بخلاف غيره من الحيوانات، فإنه إذا هيج يلهث، وإلا فلا، والمعنى، إن وعظته فهو ضال، وإن لم تعظه فهو ضال في كل حال﴿ ذلكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بآياتنا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ﴾ أخبار الماضين﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيعتبرون ولا يفعلون مثل فعالهم، فيحل بهم ما حل بهم﴿ ساءَ مَثَلاً الْقَوْمُ﴾ بئس المثل مثلاً مثل القوم﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا بآياتنا﴾ حذف المثل الأول لدلالة المنصوب عليه لأنّه تفسير له، والثاني لقيام المضاف إليه مقامه

﴿ وأنفسهُمْ كانوا يَظلِمُونَ﴾ لأنّ عقاب معاصيهم يحل بهم دون غيرهم﴿ مَنْ يَهْدِ اللّهُ فَهُو الْمُهْتَدِي﴾ إلى الإيمان والخير﴿ ومَنْ يُضْلِلْ﴾ عن نيل الثواب، عقوبة على كفره وفسقه﴿ فَأولئكَ هُمُ الخاسرُونَ﴾ أنفسهم والجنة ونعيمها، وأفرد الأول وجمع الثاني لإعتبار اللفظ والمعنى تنبيهاً على أن المهتدين كواحد لإتحاد طريقهم بخلاف الضالين، وذا كأنت الناجية من الفرق الثلاث وسبعين فرقة واحدة والباقية هالكة.

[سورة الأعراف الآيات ١٧٩ - ١٨٧]

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ

عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

﴿ ولَقَدْ ذَرَأْنا﴾ خلقنا﴿ لِجَهَنَّمَ﴾ (اللام) للعاقبة﴿ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ والإنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها﴾ الحق﴿ ولَهُمْ أعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها﴾ الرشد﴿ ولَهُمْ آذان لا يَسْمَعُونَ بِها﴾ الوعظ، لأنهم يعرضون عن جميع ذلك أعراض من ليس له آلة الإدراك، وعن الباقر (ع): لهم قلوب لا يفقهون بها يقول: طبع الله عليها فلا تعقل، ولهم أعين عليها غطاء عن الهدى لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها جعل في آذانهم وقر فلم يسمعوا الهدى﴿ أولئِكَ﴾ الموصوفون﴿ كَالأنعام﴾ في عدم الإدراك﴿ بَلْ هُمْ أضَلُّ سبيلاً﴾ فإنها إذا زجرت إنزجرت، وإذا أرشدت إهتدت، بخلافهم ﴿ أولئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ﴾ الكاملون في الغفلة عن آيات الله، أو عمّا يحل بهم في الآخرة، عن علي (ع): أن الله ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوة بلا عقل، وركّب في بني آدم كليهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم ﴿ ولِلَّهِ الأسْماءُ

الْحُسْنى﴾ لحسن معانيها، كالجواد والرحيم﴿ فَادْعُوهُ بِها﴾ وعن الصادق (ع): نحن والله الأسماء الحسنى الذي لا يقبل من أحد إلا بمعرفتنا، فادعوه بها﴿ وذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمائِه﴾ بضم الياء وكسر الحاء، وبفتحها من: ألحد والحد: مال عن القصد، أي: يسمون بها أصنافهم، ويغيرونها بالزيادة والنقصان، كما اشتقوا (اللات) من (الله) و(العزى) من (العزيز) و(مناة) من (منّان) أو المعنى: يصفونه بما لا يليق به، أو بغير ما وصف به نفسه﴿ سَيُجْزَوْنَ ما كانوا يَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا والآخرة، أو في الآخرة﴿ ومِمَّنْ خَلَقْنا أُمَّةٌ﴾ جماعة﴿ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وبِه يَعْدِلُونَ﴾ يحكمون، عن الباقر (ع) هم الأئمة، وعنهما (ع): نحن هم، والقمي هذه الآية لآل محمد وأتباعهم﴿والَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتنا﴾ الدالة على صدق النبي﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ نأخذهم قليلاً قليلاً ولا نباغتهم، كما يرتقي الراقي في الدرجة شيئاً فشيئاً حتى يصل، أو من الدرج الذي يطوى فكانه يطوى منزلة بعد منزلة﴿ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾ ما يراد بهم حتى تحق عليهم كلمة العذاب، القمي: قال تجديد النعم عند المعاصي، وعن الصادق (ع): هو العبد يذنب الذنب فيجدد له النعمة تلهيه تلك النعمة عن الإستغفار من ذلك الذنب﴿ وأُمْلِي لَهُمْ﴾ وأمهلهم ولا أعاجلهم بالعقوبة إذ لا يفوتوني ﴿ إن كَيْدِي مَتِينٌ﴾ عذابي قوي لا يمنعه مانع سمّي كيداً لنزوله بهم من حيث لا يشعرون﴿ أو لَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ يعني قريشاً المكذبين لمحمد (ص) في أقواله وأفعاله ﴿ ما بِصاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّة﴾ ليس به جنون روي: أنه (ص) علا الصفا، فدعاهم فخذاً فخذاً يحذرهم بأس الله، فقال قائلهم: إن صاحبكم لمجنون بات يصوّت إلى الصباح، فنزلت﴿ إن هُو إلاَّ نَذِيرٌ﴾ ينذرهم المخالفة والعقاب﴿ مُبِينٌ ﴾ لهم عن أمر الله﴿ أ ولَمْ يَنْظُرُوا﴾ ويتفكروا﴿ فِي مَلَكُوتِ السَّماواتِ والأَرْضِ﴾ وعجيب

صنعهما، فيستدلوا بذلك على وجود الصانع وصفاته﴿ وَما خَلَقَ اللّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ من أصناف خلقه التي لا يمكن حصرهما، ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد ﴿ وأن﴾ أو لم ينظروا في أنه ﴿ عَسى أن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ فيزهدوا في الدنيا، ويسارعوا في طلب العقبى﴿ فَبِأي حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾ بعد القرآن﴿ يُؤْمِنُونَ﴾ إذا لم يؤمنوا به مع وضوح دلالاته وعجزهم عن الإتيان بسورة مثله﴿ مَنْ يُضْلِلِ اللّهُ فَلا هادِيَ لَهُ ونذرهم﴾ بالنون والرفع، أي: (وإنا نذرهم) وبالياء والرفع أي: (وهو يذرهم) وبالياء والجزم عطفاً على موضع الفاء وما بعده﴿ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ في ضلالهم يتحيرون، القمي قال: يكله إلى نفسه﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ السّاعَةِ﴾ أي: القيامة﴿ قُلْ إنما عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي﴾ إستأثر بوقت قيامها﴿ لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها﴾ لا يظهرها في وقتها﴿ إلاّ هُوَ﴾ فلا يعلم أحد غيره متى تكون و(اللام) للتوقيت ﴿ ثَقُلَتْ فِي السّماواتِ والأَرْضِ﴾ عظمت على أهلها من الملائكة والإنّس والجن لهولها، أو لا تطيق السموات والأرض حملها﴿ لا تَأْتِيكُمْ إلاّ بَغْتَةً ﴾ مصدر في موضع الحال من الضمير في (تأتيكم) أي: فجأة على غفلة، وعن النبي (ص): إن الساعة تهيج بالناس والرّجل يصلح حوضه، والرّجل يسقي ماشيته، والرّجل يقوّم سلعته في سوقه، والرّجل يخفض ميزانه ويرفعه﴿ يَسْئَلُونَكَ كأنكَ حَفِيٌّ عَنْها﴾ أي: عالم بها، من (أحفيت السؤال عن الشيء حتى علمته) أي: استقصيت فيه ﴿ قُلْ إنما عِلْمُها عِنْدَ اللّهِ﴾ لم يؤته أحداً من خلقه إلا من علّمه إياه﴿ ولكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ أه العالم بها، روي: أنهم قالوا: سلوه عن الساعة فإن إدّعى علمها فهو كاذب.

[سورة الأعراف الآيات ١٨٨ - ١٩٥]

قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ

أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ۗ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾

﴿ قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفسِي نَفْعاً﴾ أجلبه﴿ وَلا ضَرّاً﴾ أدفعه﴿ إلاَّ ما شاءَ اللَّهُ﴾ أن يملكني إياه﴿ ولَوكُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيرِ وما مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ الضرّ والفقر، أو التكذيب، وعن الصادق (ع): يعني الفقر، والقمي: كنت اختار لنفسي الصحة والسلامة﴿ إن إنا إلاَّ نَذيرٌ﴾ بالعذاب﴿ وَبَشيرٌ﴾ بالثواب﴿ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصّهم لأنهم المنتفعون به﴿ هُوَ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ﴾ هي آدم ﴿ وجَعَلَ مِنْها﴾ من فضل طينتها﴿ زَوْجَها ﴾ حوّاء﴿ لِيَسْكُنَ إِلَيْها﴾ ليأنس بها ويطمئن إليها﴿ فَلَمَّا تَغَشَّاها﴾ جامعها﴿ حَمَلَتْ حَمْلاً خَفيفاً﴾ هو الماء الذي في رحمها﴿ فَمَرَّتْ بِهِ ﴾ فاستمرت بالحمل على الخفة تقوم وتقعد كما كانت﴿ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ﴾ بكبر الحمل في بطنها﴿ دَعَوَا اللَّهَ﴾ سأل آدم وحوّاء﴿ رَبَّهُما لَئِنْ آتَيْتَنا صالِحاً﴾ ولداً سويّاً سالماً من الآفات، ومطيعاً مصلحاً غير مفسد﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لأنعمك علينا﴿ فَلَمَّا آتاهُما صالِحاً﴾ كما إلتمساه﴿ جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ﴾ بصيغة الجمع، أو بكسر الشين مصدر﴿ فِيما آتاهُما فَتَعالى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ قيل: مرجع ضمير (جعلا) إلى النّسل الصالح، وثنّى لأنّ حواء كانت تلد في كل بطن ذكراً وأنثى، أي: هذان الصنفان جعلا له شركاء فيما أعطاهما من النعمة فاضافا تلك النعمة إلى الّذين اتخذوهم آلهة مع الله ـ كما عن الرضا (ع) ـ واشراكهم: أنهم كانوا يسمّون (عبد العزى) و(عبد اللات) و(عبد مناة) وقيل: راجع إلى آدم وحواء على حذف مضاف أي: جعل أولادهما له شركاء فيما أتى أولادهما، وقيل:

الضمير راجع إلى (آدم وحوّاء) أي: جعلا له شركاء في التسمية سمّياه (عبد الحارث)﴿ أَ يُشْرِكُونَ ما لا يَخْلُقُ شَيْئاً وهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ توبيخ للمشركين، وقال: (يخلقون) على لفظ العقلاء لإرادة الأصنام وعابديها، فغلب من يعقل﴿ ولا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً﴾ ويشركون به من لا يستطيع نصر عابديه﴿ ولا أنفسهُمْ يَنْصُرُونَ ﴾ بأن يدفعوا عنها من أراد الضرّ بها﴿ وإن تَدْعُوهُمْ إلى الْهُدى لا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ بفتح الباء مخففاً، وبكسرها مشدداً﴿ سَواءٌ عَلَيْكُمْ أَ دَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أنتم صامِتُونَ﴾ أي: دعاؤهم والسكوت عنهم سواء، ولم يقل (أم صمتم) مقابل (أ دعوتموهم) ليفيد الماضي والحال، فإن المقابلة تدل على الماضي فقط، وصورة اللفظ تدل على معنى الحال﴿ إن الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: الأصنام التي اتخذوها آلهة﴿ عِبادٌ ﴾ مخلوقة مملوكة﴿ أَمْثالُكُمْ﴾ مسخرون مذللون لأمر الله، وحيث كانت الأصنام غير ممتنعة عمّا يريد الله بها كانت في معنى العباد ﴿ فَادْعُوهُمْ﴾ في مهماتكم وكشف الأسواء عنكم﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ و(اللام) للأمر، والمراد به: التعجيز﴿ إن كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ إنها آلهة تنفعكم وتنصركم ﴿ أَ لَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِها﴾ في مصالحهم﴿ أَمْ لَهُمْ أيدٍ يَبْطِشُونَ بِها﴾ في الدفع عنهم﴿ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِها أَمْ لَهُمْ آذان يَسْمَعُونَ بِها﴾ يعني: ليس لهم هذه الحواس التي هي لكم، فأنتم أفضل منهم، فكيف تعبدونهم؟﴿ قُلِ﴾ يا محمد ﴿ ادْعُوا شُرَكاءَكُمْ﴾ هذه الأوثان، واستعينوا بها في عداوتي﴿ ثُمَّ كِيدُونِ﴾ بياء وبدونها وصلاً ووقفاً فيهما، والإثبات على الأصل والحذف، والمعنى: ثم بالغوا فيما تقدرون عليه من مكروهي أنتم وشركاؤكم جميعاً﴿ فَلا تُنْظِرُونِ﴾ فلا تمهلوني فإني لا أبالي بكم إعتماداً على نصر الله.

[سورة الأعراف الآيات ١٩٦ - ٢٠٦]

إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ

وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾

﴿ إن وَلِيِّيَ﴾ وناصري ودافع كيدكم عني﴿ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ﴾ عليّ﴿ الْكِتابَ﴾ القرآن﴿ وهُو يَتَوَلَّى الصَّالِحينَ﴾ ينصر المطيعين بالدفع عنهم، وبالحجة لهم ﴿ والَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِه﴾ الهة﴿ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ﴾ ولا الدفع عنكم ﴿ ولا أنفسهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ كرّره لأنّ ما تقدم كان على وجه التقريع والتوبيخ، وهنا على وجه الفرق بين صفتي: من تجوز له العبادة، ومن لا تجوز﴿ وإن تَدْعُوهُمْ إلى الْهُدى﴾ أي: تدعوا الأصنام إلى الرشد، أو هؤلاء المشركين إلى الدّين﴿ لا يَسْمَعُوا﴾ دعاءكم﴿ وتَراهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ فاتحين أعينهم نحوك﴿ وَهُمْ لا يُبصِرُونَ خُذِ﴾ يا محمد (ص)﴿ الْعَفْوَ﴾ ما عفا وفضل لك من أموال الناس، كان (ص) يأخذ الفضل من أموالهم ثم نسخ بآية الزكاة، أو ما عفالك من أفعال الناس وأخلاقهم، واقبل الميسور منها وتساهل في القضاء والإقتضاء، وعن الصادق (ع): خذ منهم ما ظهر وما تيسّر، قال: (والعفو): الوسط، أو المعنى: خذ العفوعن المذنبين في قبول عذر المعتذر وترك المؤاخذة بالإساءة﴿ وأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ بالمعروف، وهو:كل ما حسن في الشرع من الأفعال الجميلة والأخلاق الحميدة﴿ وأعْرِضْ عَنِ الجاهلين﴾ عند قيام الحجة عليهم واليأس من قبولهم، وعن الباقر (ع): في تفسير الآية: أن تصل من قطعك وتعفوعمّن ظلمك وتعطي من حرمك وعن الصادق (ع): أمر اللّه نبيه بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن أجمع لمكارم الأخلاق منها﴿ وإمَّا يَنْزَغَنَّكَ﴾ وإنْ نالك يا محمد﴿ مِنَ الشيطان نَزْغٌ﴾ وسوسة ومحنة في القلب بما يسوءك

كإعتراء غضب، روي: لما نزلت آية خذ العفوقال النبي (ص): كيف يا رب والغضب؟ فنزلت هذه الآية﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ فسل الله أن يعيذك منه﴿ إِنَّهُ سَمِيعٌ ﴾ بالمسموعات، ومنها الإستعاذة﴿ عَلِيمٌ﴾ بالخفيات والمصالح﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الله بإجتناب معاصيه﴿ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ لمّة منه، من طاف الخيال أي: ألمّ به في المنام﴿ تَذَكَّرُوا ﴾ ما عليهم من العقاب بذلك﴿ فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ مواضع الخطأ ومكائد الشيطان عن الصادق (ع): هوالعبد يهمّ بالذنب، ثم يتذكر، فيمسك، وفي آخر: فيدعه، والقمي قال: إذا ذكرهم الشيطان المعاصي وحملهم عليها يذكرون إسم الله فإذا هم مبصرون﴿ وَإِخْوَانُهُمْ﴾ الضمير لـ(الشيطان) بإعتبار الجنس أي: إخوان الشياطين﴿ يَمُدُّونَهُمْ﴾ بضم الياء وكسر الميم، وبفتح الياء وضم الميم أي: يمدهم الشياطين﴿ فِي الْغَيِّ﴾ بأن يزينوا لهم المعاصي، ويحملوهم عليها﴿ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ لا يكفون عن إستغوائهم، ولا يرحمونهم﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ﴾ يعني: قريشاً﴿ بِآيَةٍ﴾ من القرآن، أو مما اقترحوه﴿ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ هلاّ اخترتها لنفسك، وطلبتها من ربك، أو جمعتها تقولاً من عند نفسك ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ هذا القرآن﴿ بَصَائِرُ﴾ دلائل ظاهرة وحجج واضحة﴿ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يبصر بها الإنسان أمر دينه﴿ وَهُدًى﴾ إلى الرشد﴿ وَرَحْمَةٌ﴾ نعمة في الدّين والدنيا﴿ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصّهم لأنّهم المنتفعون به دون الكفّار﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ في الصلاة خلف الإمام إذا سمعت قراءته، أو في الخطبة يوم الجمعة، أو في الخطبة والصلاة معاً، أو مطلقاً، والروايات مختلفة في ذلك ولا يبعد الإطلاق﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ لكي ترحموا بذلك وتتعظوا بمواعظه ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ في كل ذكر قراءة، أو دعاء﴿ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ مصدران

في موضع الحال أي: متضرعاً وخائفاً، فإن الدعاء بهما أقرب للإجابة﴿ ودُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ باللسان عطف على(تضرعاً) أي: وغير رافعين أصواتكم حتى تبلغ حد الجهر أي: إرفعوها قليلاً ولا تجهروا جهراً بليغاً بل عدلاً بين ذلك﴿ بِالْغُدُوِّوالآصالِ﴾ لشرف هذين الوقتين، أو المراد دوام الذكر﴿ ولا تَكُنْ مِنَ الْغافِلِينَ﴾ عن ذكر اللّه اللاّهين عنه، وعن أحدهما (ع) في الآية معناه: إذا كنت خلف امام تأتمّ به فانصت وسبّح في نفسك، يعني: في ما لا يجهر الامام فيه بالقراءة﴿ إن الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ القمي: يعني: الأنبياء والرسل والأئمة، وقيل: الملائكة، وفي إضافتهم إلى نفسه تشريف لهم﴿ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِهِ﴾ مع جلالة قدرهم وعلو أمرهم﴿ ويُسَبِّحُونَهُ﴾ وينزّهونه عمّا لا يليق به﴿ ولَهُ يَسْجُدُونَ﴾ يخصونه بالخضوع، أو الصلاة، أو بالسجود فيها، ولا خلاف أن هنا سجدة هي أول سجدات القرآن.

تمّت ـ وللّه الحمد ـ سورة الأعراف وتفسيرها.

فهرس الكتاب

[سورة النساء]

[سورة المائدة]

[سورة الأنعام]

[سورة الأعراف]